



# **TIGHT BINDING BOOK**



190427



# OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۸۹۲۵۷۳۴۳۳ Accession No. ۱۷۳۱۱  
 Author جعفری محمد ۸۹۲۷۳  
 Title فناء غنائت خندان ۱۷۳۱۱

This book should be returned on or before the date last marked below.



# فَتَايَا حَسَنًا

— رواية تاريخية غرامية —

✽ تشرح حال الاسلام من أول طهوره ✽  
✽ الى فحش الشام والعراق مع بسط عوائد العرب ✽  
✽ في آخر جاهليتهم وأول الاسلام ووصف ✽  
✽ أخلاقهم وأزبائهم وسائر أحوالهم ✽



تأليف

حرجي زيدان

« مشىء الهلال بصر »



الجزء الثاني

---

« طبعت بطبعة ( الهلال ) بأول شارع النجالة بصر سنة ١٨٩٨ م »

---

# الهلال

❖ مجلة علمية شرقية ادبية تاريخية ❖

لشها

جرجي زيدان

أُنشئت بمصر في أول سبتمبر سنة ١٨٩٢

تبحث في كل المواضيع المصرية وفي التواريخ الشرقية وخصوصاً  
الادلامية مع رسوم مشهيرة الس وتواريخهم ومستحدثات الاختراع ورسوم  
مشهيرة المعمر وتاريخ الحوادث الجارية في كل اقطار العالم وروايات تاريخية  
اسلامية تبدأ ظهور الاسلام وتندرج فيه دولة دولة وعصرًا وعصرًا على  
اسلوب حديث كثير التشويق للمطالعة تصدر مرتين في الشهر في كراس  
كبير صفحاته اربعون صفحة جيدة الورق جميلة الحروف متقنة الطبع  
بدل اشتراكها في السنة خمسون غرضًا داخل اقطار المصري واما خارجة  
فهو ١٢ شلماً او ١٥ فرنكاً او ٢ روية او ٣ ربالات اميركانية او ٣  
ريالات مجدية ونصف تدفع سلفاً فمن اراد الاشتراك فيها فليخبر « ادارة  
الهلال بمصر » واذا اراد احده الحصول على مثال منها فليطلبه فيرسل  
اليه مجاناً

❖ هدايا الاصدقاء ❖

افضل هدية تهديها الى صديقك اذا كان ممن يحبون المطالعة  
« اشتراك سنة في مجلة الهلال » فان قيمته زهيدة ومطالعة سهلة ومواضيعه  
لذيذة مفيدة

# فتاى احسنا

✽ رواية تاريخية غرامية ✽

✽ نترح حال الاسلام من أول ظهوره ✽  
✽ الى فوح النام والعراق مع بسط عوائد العرب ✽  
✽ في آخر جاعلنهم وأول اسلامهم ووصف ✽  
✽ أخلاقهم وأرائهم وسائر أحوالهم ✽



تأليف

جرجى زيدان

« منشىء الهلال بصر



الجزء الثاني

---

« طبعت بمطبعة ( الهلال ) باول شارع البحالة بصرسة ١٨٩٨ م »

---



# مقدمة

✽ الجزء الثاني من فتاة غسان ✽

هذه هي الرواية السادسة من رواياتنا التاريخية ولكنها تمتاز عنها كلها بأنها الحلقة الاولى من سلسلة روايات متتابعة تضمن تاريخ الاسلام من اول ظهوره الى الآن سنتشرها تباعاً في مجلتي "الملال" فهذه الرواية الاولى منها وتضمن الحوادث التي وقعت من ظهور الاسلام الى فتح الشام والعراق وتليها رواية في فتح مصر وهذه سبق اننا نشرناها في السنة الرابعة من الملال وهي "ارمانوسة المصرية" ولم يكن في عزنا تأليف هذه السلسلة اما وقد عزمنا على ذلك فصار "ارمانوسة المصرية" الحلقة الثانية من تلك السلسلة

واما الحلقة الاولى التي نحن في صددها "فتاة غسان" فقد نشرنا الجزء الاول منها في السنة الخامسة من الملال وهذا الجزء الثاني نشر في السنة السادسة وبناء على الخاضع حضرات اقراء طبعها على حدة رغبة في نشرها وسنقبها برواية اخرى ننشرها في السنة السابعة تتضمن مقتل عثمان وخروج الخلافة من اهل البيت الى بني امية ثم روايات اخرى في اهم حوادث الدولة الاموية في الشام وفي الاندلس وحوادث الدولة العباسية والفاطمية والايوية وهكذا الى آخر تاريخ الاسلام

فحسب ان يلاقي هذا المشروع اقبالاً من حضرات القراء الادباء فنشأ  
على العمل والاتكال على الله

## الفضل التاسع والأربعون

### ❖ المناجاة ❖

تركنا حماداً وسلمان في مكة وقد غلب عليها اليأس بعد ان تكبدنا مشاق الاسفار ولم يظفرا بشيء ما أملاه وخصوصاً حماد فإنه اصبح يئساً تنفادفه عوامل الحسب من جهة وعوامل الشهامة من جهة اخرى وهو بين ذلك لا يرجو لقاء والذ ولا يأمل الظفر بمحييته فكان كلما تصور ذلك تارت الحمية في رأسه وعظم عليه العود الى اللقاء فحدثه نفسه ان يتعد عن الناس ويأوي الي مكان لا يعرفه فيو احد او ان يقم في دير او نحو لان الحياة اصبحت لديه شراً من الموت

أما سلمان فإنه ادرك حال سيئه وعلم ما هو فيه من اليأس فنارت في نفسه عاطفة الشهامة وعول على ان يبذل نفسه في سبيل تعزيتهم فخرج من الفرقه ذات صباح متظاهراً بحاجه ينتش عنها وترك حماداً وحده فله خلا حماد بنسوه خرج من الغرفة وصعد الى سطح الخان وقد ضاق صدره وصغرت نفسه والسطح ظللة خيمة من ورق النخيل مجلس على وسادة واخذ ينظر الى مكة وما يحيط بها فاذا هي عبارة عن ارض متبسطة في واد تحف به الجبال فلم تنفله تلك الماظر الا هنيهة ثم عاد الى هواجسه فتذكر حبيته والذ وتصوّر مقدار ما تراكم عليه من الهموم ما ألم به من النشل وقد قطع البراري والقفار حتى جاء الكعبة للبحث عن قرطبي مارية مهراً لخطيبته هند ومرضاة لمولدها فعلم من حرب الخزاعي ان القرطبي لا يمكن المنور عليها هناك وبعد ان كان على أمل من لقاء والذ مع أبي سميان في مكة تحقق ضياعه وبس من حياته فتصور نفسه مغلول اليدين مقصوص الجناحين فعظم الامر عليه كثيراً واشتد به اليأس حتى تناثرت الدموع من عينيه ثم تذكر انه في غربة لا يجدد به الاستسلام للعواطف فامسك نفسه ولكن اليأس غلب عليه فانقضت نفسه واشتد به الهيام فاخذ يناجي هداً قائلاً

آه منك يا هند بل آه من هذا القلب الذي عصاني واطاعك ونعم ما فعل

فانك والله جديرة بحبي ولكن والدك آه من والدك فاه انما اراد مستجيلاً فطلب مني  
 مهرًا العشاء اقرب مثلاً منه وكأني بولا يرصاني لؤ صهرًا وعذره مقبول طالما كان  
 نسي مجهولاً . . . . . والقرطاس لم يوجد مهدي بعيد المال مي آه يا هند أعود اليك  
 بصفة المغبون وإذا عدت كذلك ما يكون رأيك . . . . . لا ريب عندي ان  
 ذنبك القرطين لا يهلك امرها ولا رضيت ان اشقي في سبيل التفتيش عنهما الا بمجارة  
 لوالدهك . . . . . ولكن ما هذا يا حماد كيف تعود الى هند صفر اليدين وكيف تقابل  
 جبلة وماذا تقول له لا لا لا لن اعود الى البلقاء على هذه الحال وقد فقدت والذي  
 في بلاد لا اعرف فيها اليافاً ومن يدري اين هو واين الذر ووفاء الذر يا ليته قص  
 شعري قبل ضياعه فقد كنت على موعد مئة امة مئة وفي الذر وقص الشعر يطلمني  
 على امور تهمني وقد يكون لها علاقة بامر رواجي فابن والذي الآن آه يا ابتاه اين  
 انت ألعلك لا تزال في قيد الحياة من بعلي اين مترك فاطير اليك مسرعاً أما اذا  
 يشت منك ومن هند فلا يعود لي في الحياة ما رب فاما ان الجا الى دير او صومعة  
 أفضي بقية الحياة منرداً لا اري ايساً او ان ألقي نسي في نهكة . . . . . ولكن لا لا  
 ان قتل النفس ضعف ومذلة وكيف اعمل ذلك وسعي رهبة امر هند وهند لا  
 تريد قتلها اذن لا صبر صبر الرجال واعيد الكفة في المحر في القرطين فاذا  
 ثبتت فقد انهما عمدت الى هند وسطت لها امري وأطلعنها على كه صهري فاذا  
 رأيتها تؤثر مرضاة والديها وحفظ تقاليد عائلتها على رصاي قلت على الدنيا ومن  
 فيها السلام والآفاني ارضي من الدنيا رصاها فتعاقد وتراضي على امر يكون لنا فيه  
 منجاة من والديها . . . . . وإما والذي آه اين انت يا ابتاه ان ضياعك عرقل مساعي  
 وغل بدني ولا ريب انك لو شاركتني في هذا الامر لسهلت كل صعب وهديتني  
 صراطاً مستقيماً . . . . . ولكن الاقدار أبت الا معاندي فصراً جليلاً . . . . .

مررت كل هذه الخيالات في ذهن حماد وهو متكئ على الوسادة تارة يكي  
 وطوراً يحرق اسنانه وآونة يصبر ثمه وكان لم يمت في الليل الماضي الا قليلاً فغلب  
 عليه التعب والملل والضجر فجاهد العاس فغمضت جفناه



## الفصل الخمسون

❖ حسان بن ثابت الانصاري ❖

مضى بعض ذلك النهار وحمام بين يائمه وهاجس فوق السطح لم يذق طعاماً حتى  
اذا كان العصر أفاق من صوت سلمان خادمه ففتح عيبيه فراه واقفاً فوق رأسه سناديه  
وعلى وجهه امارات الشر كآفة أتى امرأ جديداً فانتسخت من حماد هيب من رقاده  
وحلس وصاح ما وراءك يا سلمان  
قال ما ورأيي إلا الخير باذن الله

قال ارى على وجهك امارات الشرف هل اعتدبت المة طريق حديد يوصلنا  
الى ساحة الدرج

قال نعم يا سيدي اظني توقفت الى شيء من هذا القبيل  
قال قل ما هو

قال خرجت في هذا الصباح على ركبة الله وقد عونت في باطن سري ان لا اعود  
اليك الا بشري خير فسررت في اسواق مكة واما اتوسل الى الله ان يلهني رشداً وسداداً  
او يهديني سبيلاً اخفف به اليأس عن مولاي فمررت ببعض البيوت فرأيت عند باب  
نقلة عليها ردة ثيبة والى جانبها غلام فحدثني نفسي ان اسأله عن صاحب النقلة فقال  
هو حسان بن ثابت شاعر الانصار فتذكرت اني اعرف هذا الاسم فأخذت في التفكير  
لعلني اذكر الرجل ففعلت اني كتبت اسمع اسمه مذكمت في العراق وانه كثيراً ما كان  
يأثم الحيرة فيبظم القصائد في مدح الملك العباس رحمه الله وكثيراً ما كان يند على  
ملوك بني غسان فيمنح جبلة والحارث بن ابي تمر ' ' وغيرهم فقلت في نفسي اظني  
اصت ضالتي ان الرجل يجالس اعظم ملوك العرب فربما كان له المأم بامر القريظين  
فسألت الغلام عن حسان فقال انه في البيت فاستأذنت في الدخول فخلو فاذن  
فدخلت عليه حتى اقبلت على الرجل فاذا هو جالس على وسادة في بعض زوايا الغرفة  
فتأملت فاذن به قد تبدلت حالة عما كنت اعرفه فاحناه الكبر وضعف بصره وشاب

شعر واسترسلت الحية<sup>(١)</sup> فبادرت الى يد قفيلتها وجبته فرد التحية ورحب بي واجلسني الى جاسو وسألني عن امري فما زلت ادخل معه في حديث واخرج من آخر حتى توصلت الى القرطين فسألته عما يعرفه من امرها ففكر قليلاً ثم قال اظني سمعت ذكرها في بعض مجالس النعمان بن المنذر في الحيرة فقلت وكيف كان ذلك

فقال بقلب علي ظني ان بعض تجار الفرس الذين يحملون الاقمشة الفارسية الى مكة عاد منها ذات عام ومعه قرطاً مارية فعرضها على النعمان واظنه اشتراها منه فاذا صدق ظني كان القرطان الآن في خزينة الملك النعمان في الحيرة

فلما سمعت ذلك هزلت اليك مسرعاً لتسيرا اليه فهل تسير معي

قال نعم ولا بد من المسير اني ارى في كلام الشاعر ما بالفرج هلم بنا فنهض حماد وقد انبسطت نفسه وعادت اليه بعض الآمال وإن لم يكن في الخمر ما يدعو الى الامل ولكن المرء اذا كان في ضيق كان سريع التعلق بالامل ولو كان اوهى من خيط العنكبوت . واحسن حماد بفراغ معدته فناول شيئاً من التمر يسد بها جوعه وخرج مع سلمان ماشيين حتى اتيا بيت حسان فاستأذنا ودخلا ففقدوا سلمان فسلم وذكر اسم حماد امام حسان وقال انه سيك وإنه من امراء العراق ولما سمع بوجود حسان هناك اراد المثل بين يديه فتقدم حماد وهم تنقيل يدي التبع فنعته ولكنه رفع نظره اليه وتبرس فيه كأنه يراجع في ذاكرته صور امراء الحيرة لعله يعرف حماداً فتشابه عليه امرؤ فسألته عن اسمها واسم عائلي

فقال حماد اني حماد بن الامير عبد الله

فقال حسان لا اذكر رجلاً بهذا الاسم في بلاط النعمان اولي سبته فقد قتل النعمان رحمه الله قتلوه غدرًا منذ ثيف وعشرين عاماً وتفرقت اصداقاه على اني انقطع عن الحيرة قبل ذلك العهد فلم اعد اقدمها ولا رأيت احداً من امرائها ولكن متى الله تلك الربوع واعاد سلطة المناذرة فقد كانت زينة الدولة الفارسية وبيت قصيد وخصوصاً النعمان بن المنذر رحمه الله وجازى الباغيين عليه شرًا

فقال حماد وهل كنت قد عليه كثيراً

قال لم يمس العام قبل ان ازوره مراراً فاركب ناقتي من المدينة حتى آتي البلقاء فادخل على جلة بن الاعم او الحارث بن ابي شمر الغسانيين ثم اقصد العراق فادخل

جلس النعمان بن المنذر فيخلع علي الخلع ويأمرني بالعطايا وهكذا كان يفعل الغسانيون ايضاً ثم كان ما كان من امر قتله فاقطعت عن العراق الى البلقاء حتى ظهر الاسلام واسلم اهل المدينة فكنت في جملة من تشرف بالاسلام ولازمت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسير معه او الحق به حيثما اقام . وقد عاد الآن يجهت الى المدينة ولا البت ان اتبعه عاجلاً

فقال سلمان ذكرت بامولاي ان الفرطين يما لهلك النعمان فاذا تم لها بعد موتي قال لا ادري وربما كانا في جملة ما استولى عليه قائلوه من الخف فاذا صح هذا الظن كان الفرطان في خزينة ملوك الحيرة الآن

وكان حسان يخاطب سلمان وعيناه لم تقولا عن وجه حماد وهو يفرسه وبلاخط حركانه كانه يعرف له شياً وحماد غافل عن ذلك بما كان غارقاً فيه من المواجه بعد ان سمع ما سمعه من امر الفرطين وصعوبة الحصول عليها بعد وصولها الى خزينة ملوك الحيرة ولكنه عول على البحث عنها ما استطاع الى البحث سبيلاً

وبعد قليل تم حماد بالخروج فساء له حسان ابن تقصودن

قال سلمان انا قصد منزلاً لنتهيأ للخروج في الغد

قال هل تريدون الذهاب الى المدينة

قال ربما مررنا بها في طريقنا الى البلقاء

قال ارى انكما غريبان فرمبا عسر عليكما المسير منفردين وقد آنت فيكما عنصراً جيداً فهل تقبلان مرافقتي الى المدينة تقيان فيها ريثما تعزمان على اللقاء وربما ارفقتكما بمن يوصلكما اليها

فنهض سلمان نهوض الاحترام واتى على حسان تناء طيباً وقال انا ن شكر لفضل الشاعر شكراً جزيلاً ولا نعد ذلك منه الا كرمًا ومنه عرف بها عرب الحجاز منذ القدم قال عفراً يا اخا نحم الي لا اجود الال بال المناذرة ولا ارتع الال في بحبوحة خيرم فاني لا انكر فضل العراق علي وعلى كل من نزل ديارهم من الغرياء وذلك امر مشهور لا يجهل احد فكيف باهلها فاذا شئنا المستير الى منزلكم الليلة فاصبروا حوائكم وها اتي مرسل معكم من يحملها اليها فنبيت الليلة هنا ونصعب سائر من ان شاء الله

## الفصل الحادي والخمسون

### الفناء

فانزلوا تلك الليلة في منزل حسان واصبحوا جميعاً قاصدين المدينة وحسان يطرفهم في اثناء الطريق لطائف مفاوماته في مدح ملوك الحربة وملوك غسان وحماد يستزيه ما يظلمه في حلة من الابهيم ويطرب كل بيت يسمعه ولم يكن ذلك الا ليزيد انجاءه ويدكر بحبيبته هند ثم تذكر نعلته واماء الحارث بن ابي شمر فقال

وكيف رأيت الحارث بن ابي شمر  
قال رأيت كرمًا محمًا للشعراء ولكنه كان حاسداً لجليلة فكنت اذا مدحت جليلة في حصرتي كان الحمد يطهر على وجهه مع ما كان يحاول اخفائه من عواطفه (١)  
فتعققت حماد ان نعلته انما ورث ذلك الخلف عن والد وزاد عليه اللوم والحساسة ولما تذكر ذلك غلب عليه الانفاس واوحس خيفة على هد من عدوه اثناء غيابه وخصوصاً اذا عاد خالي الموطاب فاستولى عليه السكوت فادرك سلمان منه ذلك فاراد اخفاء الامر عن حسان فقال وكيف رأيت جليلة

قال رأيت شهياً عزيز النفس كريم الحلق كثيراً ما عرضت بحمد الحارث امامه وهو لا يبالي بل كان يلتمس له عذراً ويقالطني متعاملاً فكنت لا اراد الا انجاءاً به فقال سلمان واي الملكين اشد تعاضاً الآن

قال ان جليلة ارفع مقاماً واعز جاساً ولكن بعض النادمين علينا من اللقاء انبأنا بوفاة الحارث

فغضت سلمان واتته حماد من هواجس فقال سلمان وهل تحققت وفاته  
قال نعم وقد قلة البنا بعض الذين ارسلناهم لتحسس احوال الروم بعد واقعة موته (٢)  
فالتفت سلمان الى حماد فرآه يقيم ولكن البغته ما زالت ظاهرة على وجهه يتخللها

(١) الاطاني

(٢) لم يرد في تواريخ العرب ذكر السنة التي توفي فيها الحارث ولكنهم ذكروا انه كان في واقعة موته ثم اغفل خبره

بعض الاقباض فاشار اليه ببلاخ وجهه اشارة فهم حماد منها انه يهتف بانكسار شوكة  
ثعلبية لكنه تحول حالاً الى حسان وقيل له وما ظلك بمن يريث الامارة بعد  
قال لا اظن احداً من اهلنا اهلاً لهك الامارة والغالب ان تجتمع كلمة قائل  
غسان تحت لواء جيلة بن الایم

فانشرح صدر حماد ولكن امر القرطيين بما زال حاجزاً بينه وبين كل سرور  
وساروا حتى انزل المدينة فوصلوها صاحباً فوجدوا اهلها في فرح وعز لما اوتوا  
من النصر بنفخ مكة المخرفة ورأوا الناس عكوفاً على الصلاة وما زالوا سائرين حتى  
اماخوا جمالم امام منزل حسان فهم الخدم يحمل الامتعة الى المنزل واخذوا الجبال  
الى العلف ونزل سلمان وحماد وقد اعجبوا بما آتاه من عكوف المسلمين على الصلاة  
وما رأوا من خشوعهم وتدينهم فصلاً عما شاهدوه من سالتهم في فتحهم مكة  
اما حسان فلم يكذب بل منزلته حتى طلب الراحة من وعناء السفر لتخفف عنه وعجزه  
ودعا ضيفه اليه فجلسا متأدبين فقال لها تذكرت امرأ اظنه يهكم كثيراً وقد فاتني  
ذكره لكما قبل الآن

قال سلمان وماذا عسى ان يكون ذلك  
قال ذكرت لكم واقعة مؤنة واظنكم لم تهملوا ما هي  
قال سلمان كلا يا سيدي لم فهم المراد جيداً

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل حنظلاً من المسلمين لحرب الغساسين  
في العام الماضي فسار الحنظل وجارهم في مكان يقال له مؤنة بالقرب من بصرى  
وسمعمون خرب هذه الواقعة الآن ولكي اردت ان اوجه اليها فماتت الى رجل اسره حنظلاً  
في أثناء تلك الحملة وقد حملوه اليها فلما رأته معهم عرفت انه أسر ظلاً ولما سألته  
عن خبره علمت انه ليس من اهل البلقاء بل هو عراقي ومن اهل الحيرة بذكرائه كان  
يراني أثناء وفودي على الملك العمان منذ ثيف وعشرين عاماً وبما انكم من اهل  
العراق فربما اسنا نسمة بالرجل والوطن احسن جامعة بين الناس قال ذلك ونادى  
رجلاً واقفاً بالباب فحضر فقال له ادع ضمينا العراقي

قال ليك وخرج ثم عاد يتبعه رجل كهل ملتف بعباءة منقطبة الوجه وكان  
حماد وسلمان لا يزالان مخبرين بخمار السفن فحالما وقع نظر سلمان على ذلك الرجل



أحس بخفتان قلبه كأنه آس فيه مشابة لسيده عبد الله ولكنه رأى في محتواه ملاح  
تخالفت ما لعبد الله أهمها أن عبد الله كان طويل الشاربين مستدقها ومستمر شعر  
الحية مع خفية أما هذا فهو قصير الشاربين والحية على أن سلمان ما زال ينظر إليه ويتأمله  
حتى دما مة فوقف له وهم بمصافحو فلم يكذبهم بأول كلمة حتى تحقن سلمان أنه من  
سيده بعينه فهم به وقيلة وناداه باسمه

وكان حماد في شغل من هواجبه في هند والقرطيين ووالده فلم ينتبه إلا وسلمان  
يادي بأعلى صوته سيدي الأمير اهلاً سيدي الأمير فالتفت حماد فإذا هو والده  
عبد الله فنهض ونهض سلمان فهم عبد الله بحمد وضمة وجعل يذلة ودموع الفرح  
تساقط على وجهه وسلمان يقل يد عبد الله رهنها بعضها ببعض فانبسطت وجوه  
الجميع وزالت منهط العسوة وجلسوا وعد الله بجانب حماد فاضاً على يد بين يديه  
وحسان جالس إلى جانب وقد عجب لما رآه وسمعه فسأله عن أمرهم فاحكى له  
عبد الله عما تم من الاتفاق الغريب وإن حماداً ووالده وسلمان جاؤوا معه ففرح  
حسان لما تم على يد من الخير . ثم جلسوا يتحدثون

فقال سلمان لقد رأيت في وجه سيدي تغييراً كاد يحول بيني وبين معرفتي فإني  
أعهد شعر وجهه طويلاً مسترسلاً فما لي أراد قصيراً  
فصحك عبد الله وقال إن لهذا التغيير حدثاً غربياً سأقصه عليك بعد أن اسمع  
حديثكم وما كان من أمر الاسد وضباع المرس

## الفصل الثاني والخمسون

### ❖ واقعة مؤتة ❖

تحكى سلمان حكايته مع حماد والاسد وكيف نجوا منه بتسليق تلك الشجرة وما  
ثم لم بعد ذلك من حديث هند والدتها ووالدها وحب حماد لها ثم ما كان من  
خطبة حماد وما اقترحه عليه جلة بن الابهيم مهر الاسد وما لاقاه حماد في سبيل  
ذلك من الاسفار والاحطار حتى جاؤوا مكة وشهدوا فتحها وكيف يسلم من وجود  
القرطيين هناك حتى تجدد املهم بوجودها في خربة النعان بن المنذر في الحيرة

وكان عبد الله في اثناء الحديث مصفياً صامتاً وإمارات الاستقرار ظاهرة على وجهه كأنه سمع أموراً لم يكن يتوقع حدوثها ولا يرضاها ولكنه سكن عن ذلك واخذ يقص عليهم حديثه فبدأ بوقوعه بالأسر في غمام ثم مسيره الى بيت المقدس ومقاتلته هرقل امبراطور الروم وما سمعه من حديث ابي سفيان ثم سفره معه وما كان من مشاهدته الفرس واستدلاله منها على ضياع حماد وكيف رافقه ابوسفيان في مسبعة الزرقاء للثبيث عن حماد وما شاهدته من عظام الفرس الآخر وبعض الآثار حتى انتهى الى مسيرته منفرداً الى عان ووقوعه اسيراً بين يدي الحجاز بن الذين ساروا لمحاربة اهل الشام وما دارينه وبين بعضهم عن السبب الذي جاءت تلك الحملة من اجله الى ان قال

فلنلت اسيراً عندهم وإما على مثل الجمر لان املى لم ينقطع من لقاء ولدي حماد على اني كنت في بعض الاحايين لا ارتاب من فقدك وإحياناً اراجع ما شاهدته من الأدلة على ذلك فلا ارى ما يقطع بوقوع القضاء فكان يحجني في معسكر جيش الحجاز قيلاً ثقيلاً عليّ وخصوصاً انهم متبعوا القرى عني فقد كنت استأس به فبعد ان قضيت مدة مجياري عان علمت ذات يوم ان الروم قد جندوا جنداً كبيراً بلغ عدده نحو مئتي الف وفيهم الروم والعرب من بني غسان ونجم وجنام وبهرام<sup>(١)</sup> فلما بلغ المسلمين ذلك خافوا العشل لان عددهم لا يزيد على ثلاثة آلاف فضلاً عما في جند الروم من المعدة والسلاح وبلغني ان امراء جند المسلمين اجتمعوا في خيمة ابن رواحة احد امراءهم وتشاوروا في الامر فقال اكثرهم نكتب الى رسول الله في المدينة نخبره الخبر فاما ابن عديس بالرجال وإما ان يأمرنا بأمر فمضى له فقام فيهم ابن رواحة وخطب خطباً انهم همهم فقال « يا قوم والله ان التي تكرهون لي التي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما تقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما تقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا انما هي احدى الحسنين اما ظهوراً وما شهادة » فقال الناس « والله صدق ابن رواحة »<sup>(٢)</sup> واشتدت عزائمهم وصمموا على الحرب وكنت اعجب ليسألهم واقدامهم واتحاد كلمتهم واستهلاكهم في سبيل نصرة دينهم فبعد ايام نودي بالجند فقاموا وسرت انافهم مخفوناً ارى كل حركاتهم وسكناتهم

فما زلنا ساعرين حتى دبونا من بلدة على رحلتين من بيت المقدس يقال لها مؤنة وكان جند الروم قد عسكر هاك فالتفت الى ذلك الجند فاذا هو مالى السهول هاك وفيهم الفرسان والمشاة ورأيت في وسط المشاة مشاة عليهم ملابس كثيرة الالوان تنهر النظر ثللاً في ضوء الشمس فلم أكن اظن الحجارين ينظرون الى ذلك الجند حتى يعودوا القهري وجلاً ومهابة ولكن رأيت فيهم ثباتاً لم أر مثله في اساري كلها وما ذلك الا لثوقهم بربهم وعدم ميلانهم بانفسهم في سبيل نصره دينهم

وخلاصة القول ان المسلمين تقدموا تحت قيادة ثلاثة من الامراء ساروا امامهم مشاة على اقدامهم وما ذلك الا لاستهلاكهم في الجهاد والطاعة حتى التقى الجيشان وانتهت الحرب وكان اللواء اولاً يد اخذهم زيد بن حارثة فقاتل وهو يعلم ضعف الجند ولكنه ظل مكافحاً حتى قتل طعناً بالرمح فتقدم الامير الثاني وهو جعفر بن ابي طالب فقاتل به وهو على فرس شفاء فأججته القتال واحاط به فزل عن فرسه وقرعها وقاتل حتى قتل فأخذ اللواء عبد الله بن رواحة وهو على فرسه ثم رل عن فرسه وحارب حتى قتل موقع الرعب في قلوب المسلمين وكادوا يقتلون لولم يبق فيهم رجل لم أر مثله باسلاً اسمه خالد بن الوليد وسمعت بعضهم يسميه سيف الله فجمع كلمة الجند وهجم هجمة واحدة فقتل الروم ان نجدة قد جاءتهم فاستولى الخوف على جند الروم وفسلوا وغم المسلمون منهم شيئاً كثيراً<sup>(١)</sup> واكتهم لم يبقوا على الحرب فعاد المسلمون يريدون المدينة وكنت اما في اثناء هذه الموقعة في حيرة شديدة ولو كانت الحياة عزيزة عليّ لفررت من المعسكر ساعة اشتغال المسلمين بالحرب ولكنني وددت ان اصاب بنبله اقتل بها فلم يقض الله بذلك فلما عاد المسلمون الى هنا عدت اما معهم أسيراً فاصابي في اثناء الطريق انحراف صحي فاصبحت وشعر لحيتي يتساقط وكذلك شعر شاربي حتى لم يبق منه الا القليل فلما وصلت المدينة التقيت بناعرنا ( وشار الى حسان ) فتعارفنا ودعاني للاقامة في داره فأقيمت عنده كما ترون وفي اثناء ذهاب الجند الى مكة للفتح الذي شهدته زارني الحرث بن كلفة طبيب العرب<sup>(٢)</sup> فوصف لي دهاناً من عشب فأخذ الشعر ينمو وارجوان يعود الى ما كان عليه

## الفصل الثالث والخمسون

### ❖ يوم الشعانين ❖

فلما اتم عبد الله حديثه هنا ولما اعصم بعضاً بالسلامة ثم قال حماد وابن مربي الآن  
قال هومعي هنا فهل تريد ان تراه

قال نعم وخرجوا الى سستان بالقرب من المنزل وكان النجود مشدوداً الى نخلة  
فلما وقع نظره على صاحبة اخذ في الصهيل كأنه يرحب بقدومه وتقدم حماد اليه فمس  
جبهته وقبلة بين عينييه ثم عادوا جميعاً والفرح ملء قلوبهم الا حماد فانه عاد الى هواجسه  
في هند وابيها والفرطين فلما وصلوا المنزل وجلسوا نظر عبد الله الى حماد وقال له  
الملك لا تزال مصمماً على الاقتران بهند

قال نعم يا ابناء ولا اظنني قادراً على العدول عنه بعد ان كان ما كان  
قال وهل نسيت نذرنا لدبر بحيرة  
قال واي نذر

قال نذر يوم الشعانين الذي سنتص فيه شعرك

قال وما دخله بمسألة الاقتران

قال ان له دخلاً كبيراً لاني سأتلو عليك في ذلك اليوم حكاية وإطلعك على  
امور ذات بال لها علاقة كبرى بامر الزواج

فخاف حماد ان يكون هناك ما يحول بينه وبين هند

فقال وهل في ذلك السرما يمتني من هند

قال لا اقدر على التصريح بشيء من ذلك الآن ولكن احد الشعانين يكشف لك  
كل شيء

فقال ان يوم الشعانين بعيد فهل يسوع لنا استبداله بسواه

قال كلاً يا ولدي بل يجب علينا انما النذر حرقاً حرقاً فوقع حماد في حيرة واوجس  
خيفة لئلا يكون في قصة يوم الشعانين ما يحول بينه وبين هند فود ان يطلع على  
حقيقة ذلك ليعلم كيف يتصرف وقد كان عازماً على العبيرة للبحث عن الفرطين وكان

يظن ان والدك سيكون اكبر مساعد لك على ذلك لكثرة اصدقائك هناك فاصبح بعد ما سمعته منه لا يستطيع مكاشفته بالامر لانه قال لك صريحاً ان لا يخطو خطوة في مسألة الاقتران قبل يوم الشعانين فصمت برهة يفكر في الامر فخطر له ان يستطلع سلمان على حدة لعله يكون عالماً بشيء من ذلك السر

فاندر يوم في مسألة ذلك اليوم وسأله عما يطمح من امر يوم الشعانين فقال له ان سر ذلك اليوم مكتوم عن كل بشر اعرفه وقد قضيت مع سيدي والدك احوالاً منذ كنت طفلاً حتى صرت شاباً وانا اسمع انه نذر قص شعره في دير بجبراء عند ما تلغ هذا السن وانه سيطلعك في ذلك اليوم على امور نهمك كثيراً ويكون لها علاقة بكبرى بمستقبل حياتك واعترف لك اني بذلت قصارى جهدي في استطلاع شيء من ذلك السر فلم اتوفق وتراني أكثر رغبة منك في معرفته فإنا الآن الانتظار الى يوم الشعانين

فقال وكيف اقضي هذه الايام وماذا افعل بهند . فقد افصح لك عن امور انت تعلم اني اكتمها عن سائر العالمين فهل يخفى عليك ما بيني وبين هند من المحبة والرابطة وقد تركتها على موعد من اللقاء فصمت سنة منذ تركتها ولم افعل شيئاً ما نهضت لها يوم بعد فان القرطبي لم تقف لها على اثر ولا ارى ان اعود اليها الا والقرطبان في يدي وعلمت ان الامل معقود بالتفتيش عنها في العراق ولا يستطيع ذلك الا بمساعدة والدي وقد سمعت قوله الدال على رغبتي في ايقاف كل حركة قبل يوم الشعانين فكيف اقضي هذه المدة واما بعيد عن هند أنظنها لا تزال على عهدي

قال سلمان اما ما عرفته من حبها لك وشأنها في حلك فلا يترك محلاً للشك في بقائها على عهدك وانها لا يمكن ان تتحول عنك يمينه ولا يسره ولكنني ارى ان تكسب اليها كتاباً او تنفذ اليها رسولا تنبها ما عندك وتستعملها في انفاذ المهمة التي است سائر بشأنها وتطلب منها جواباً ومن جوابها تنهم ما يكره ضميرها

فقال سلمان وهل نظن والدي عازماً على البقاء هنا الى يوم الشعانين قال لا اظنه يطيل البقاء هنا لان اهل المدينة لا يفترون عن الاستعداد للحروب اما لغزو اولدفع مهاجم ولا وطرنا في ذلك فبالغالب انه يفضل الذهاب الى بصرى يقيم فيها بقية هذا العام

قال فاذا كنا ذاهبين الى مصرى فليس ثم حاجة الى الهامة لاني الاقيها هناك واجتمع بوالديها او تأخدا وتلو عليها ما وقع مما عليك الا اقناع والدي بالذهاب بنا الى اللقاء

قال حسناً ولكنك اذا اردت مقابلتها هناك فليكن ذلك على غير علم من والدك قال نظر في ذلك ثم اقترقا واخذ سلمان في تخريض مولاة عبد الله على الخروج من المدينة والاقامة بنية ذلك العام في اللقاء وخصوصاً لأن الحارث قد مات وخرج الننوذ من يدي استو ثعلبة

فوافقه عبد الله على ذلك فقصوا بضعة ايام في المدينة يشاهدون ما أحدثه المسلمون فيها من الابية واحسنها المسجد الجامع على اهم كامل يعاهدون في كل يوم شيئاً جديداً من الاعدادات الحربية للفرز او غير ما زادهم تهيئاً لجند المسلمين وحسوا لمستقبل دولتهم حساباً كبيراً

ثم أخذوا في الاستعداد للسير فودعوا حسناً فارقتهم بدليل بعرفة وساروا يقطعون البراري والقفار حتى أتوا مصرى فتساوروا في مكان يقيمون فيه فانتفى رأيهم على الاقامة في دير بجيرة فأتخذوا فيه غرفة اقاموا فيها

اما حماد فان عودته اتي ذلك الدير اذ كثرته اموراً هاجت اشجاء فتذكر اجتماعه بهد هناك لأول مرة وما كان من عجيبة تعلقة بعنة الى آخر ما حدث في حبه ثم عزم على المسير الى جيلة للسلام عليه ثم الى صرح الغدير للقاء هدى وثمها ما في ضميره وما بلغت اليه مهمته وما يرجوه من العثور على القرطيين في العراق ولكنه كان كلما تصوّر وقوفه امامها موقف المعتذر او المستعمل انما تارت نفسه وعسر عليه ذلك الموقف



## الفصل الرابع والخمسون

### ❁ هدد في صرح القدير ❁

فلترك حمادًا ووالده وسلمان ولعدا إلى صرح القدير لترى ماذا تمّ له بعد سفر حماد لثلاثين الفارسخة أنا نسيما عواطها وتجانها ولم يبال بما قاسته أثناء غيابه من الوحشة والخوف عليه ولا سيما بعد أن سمعت بنق مكة ودخول المسلمين إليها عنق. وهي تعلم أن حمادًا إنما سار إلى هناك الناسًا للقرطين

ودعت هدد حمادًا يوم سنو وقلبي واجف عليه ليلها أنه سار في تلك المهمة والخطر ظاهر فيها ولكن ثقها بشجاعته وتعقله هوأت عليها الأمر لأوّل وهلة ثم اشتغلت عنه بالاضطرابات والخاوف أثناء حرب مؤتة وحدث الله لغيابه خوفًا عليه أن يصاب بسوء إذا تعرض لسهام الحجازيين -

فلما انقضت الحرب وعادت اللقاء إلى الكينة عادت هي إلى الاضطراب واستبطأت حمادًا لأنها كانت تتوقع رسالة أو خبرًا عنه فلما طال الأمد ولم تسمع عنه شيئًا انقضت نفسها واستولت عليها المخاوف

وكانت والدتها ترافق حركاتها وسكناتها وقد أدركت ما بها فاخذت تشاغلها بالآمال ونوحيها بالوعود وهي لا يهدأ لها مال ولا ترتاح إلى حديث على أنها كانت تعطل نفسها بالذهاب إلى دير بجيرا، أيام مرور قوافل الحجاز به لعلها تسمع من أحد حديثًا يخلصها. وصارت تستأجر من التجار بين وترتاح إلى كل قادم من التجار وخصوصًا الذين يقدمون من مكة ولكنها كانت كلما سمعت اسم الكعبة اختلج قلبها واضطربت جوارحها وهي مع ذلك لا يهدأ لها بال إلا بالسؤال عنها والبحث عن أخبارها حتى التفت يومًا بقافلة قادمة من مكة فسمعت الناس يتحدثون عن فتحها وما كان من دخول المسلمين إليها عنق وقتل بعض أهلها فارتعدت فرائضها وتصورت حمادًا في تلك المدينة عرضة لسبوف المسلمين فازدادت بلبالها وودت لو أنها تطير إلى الحجاز فتري ما تمّ لها فيها

ثم رأت نرددها إلى الدير واستماع تلك الأحاديث لا يزيد بها إلا قلقًا فامطعت

عنه وإنزوت في صرح الغدير لا ترى احداً ولا تسمع خيراً مخافة ان يكون في ما تسمعه بأس يسودها . ثم سمعت موت الحارث بن ابي ثمر والد ثعلبة فاحست بارتياح لعلها ان موته يقلل من مؤذاسه لدى والدها . على ان ذلك لم يزد شيئاً من اسباب معادتها فاليوم ما زالت تتراكم عليها وليس لديها من تشكوها اليه غير والدتها لكنها كانت تخاف محاطتها بهذا الشأن لئلا تسمع منها ما يزيد بها بأساً فضلت الكتمان وهي مع ذلك لا ترداد الا نحولاً وانقاصاً وميلاً الى الخلوّة

وكانت كلما خلت منها نظرت الى الاساور في يدها وفعلت ثقلاً وتثنيتم منها رائحة حماد فاذا اشتد بها الهيام نكت وتحرقت وفشت على والدتها لانها أعدت حماداً عنها وخيل لها انها انما ارسلته الى تلك الاصقاع للتخلص منه وما زال هذا الفكر يتمكن منها حتى اصبح بمنزلة الاعتقاد وصارت تنفر من مجالسة والدتها ونسيه الغان بها فلم يرد لها ذلك الا رغبة في الخلوّة والاعتصام عن الناس

وأما والدتها فقد كانت لساقتها وحدها ذهناً لا تفعل عن خاطر يرث في ذهن ابنتها وناس تعدها على ذلك لانها شعرت في ايضاً بارتكابها امراً قبيحاً بارسال حماد في مهمة خطيرة الى هذا الحد . وقد زاد لديها خبر وفاة الحارث بن ابي ثمر وضعف مؤذ ثعلبة مع كره هذله فتخففت عند ذلك ان هذلاً يستحيل عليها الاقتران به وقد أصبح لعدم موت والده وضعف المنزل ولم يعد جلة يخشى بطنه لو ردّه طلبة

فاصبحت سعدى بسبب ذلك شاعرة بخطأ فظيع ارتكبه امام الله فاحرمها شهياً بحبها ونحسها وصارت في اكثر رغبة من هند في عود حماد وصمت في باطن سرها على انه اذا عاد ولو خائفاً لتساعدته في الحصول عليها ولو أني والدها . على انها لم تكن تستحسن محاطة هند بهذا الشأن ائلاً توطد آمالها ثم ربما لا يعود حماد من الحجار فيكون ذلك سبباً في زيادة احزانها فصرت منها لثري ما يأتي به القدر ولكنها ما برحت تنتمس الاخبار لعلها تسمع شيئاً جديداً

أما جلة فقد كان في اللقاء مشغلاً عن مثل هذه الامور بما كان من الحرب في مؤنة فما عزم ان رجح المسلون حتى توفي الحارث فزاد اشتغاله وعظم اهتمامه بضم قبائل العرب في الشام واللقاء اليولان العرب المتصرّة هالك قبائل وبطون لكل منها راية وامير وكانت في زمن الحارث منقسمة الى فئتين احداها تابعة للحارث



والأخرى لجليلة فلما توفي الحارث اشتغل جليلة بضم بعض قاتل الحارث اليه ان لم يكن كلها ولم يفتع بذلك إلا لعلها تضعف ثعلبة عن القيام بما قام به والد ثعلبة ولاعتقاده ان امراء القبائل انفسهم يكرهون ثعلبة لدنائه وشراسته اخلاقه . فوقع بسبب ذلك تناحر بين جليلة وثعلبة واحس هذا بصغوه وخاف العاقبة لكن سوء خلقه لم يهده الى سبيل يسترضي نومه فاخذ يطلع في امام الامراء يريد تحقيق في اعينهم فلم ينجحوا الا ثعلبة وبلغ ذلك جليلة فحقدتها عليه وراد سبعة حتى اخرج كل العرب الغساسنة من حوزته ولم يترك له منهم الا شردمة قليلة

فارداد ثعلبة لولمّا وسناهة واخذ يطلع في جليلة واستو وسائر اهل بيتهم فندم حلة لما وقع منه في حق حماد وأسف لانفاذه في تلك الرسالة الخطرة ولم يزد مع الرمان الا دماً ولكنه كتم دمه ينتظر ما يجيء به القدر ولكنه صم في باطنه ان يكفر عما ارتكبه في حق حماد بان يروجه استو سواء عاد بالفرطين او بدونها فصلاً عما في ذلك من النكابة في حماد

## الفصل الخامس والخمسون

### هند والقمر

وما رالت هند حال هند حتى كاد ينقضي العام ولم تسمع عن حماد خيراً فترجح لديها انه اما قتل او قتل ونفق عليه الرجوع خائناً فهاجر الى مكان بعيد او لعلته فك ببسوه فراراً من انتقال القتل وتحلّصاً من عذاب الحب فتراكبت عليها الميهم . وفي ذات يوم قضت هند نهارها في مثل هذه المواقف والدنيا تسارقها للحظ وتفتن فرصة لتخاطبها وهي تتجاهل وتتعد فلما سدل الليل ثيابه دخلت الى غرفتها واوصدت الباب وراءها وجلست الى النافذة المظلمة على الحديقة والفت جنبها على وسادة وجعلت رأسها على كعها وكانت الليلة مغمرة والجو صامياً والبرد عندا دول بزوجه من وراء التلال وقد ارسل اشعة على الاودية والجبال . فاخذت تتأمل بما احدثه من الاظلال الطويلة على السهول والبساتين ونظرت الى حديقة القصر فترأت اشجارها متشاعخة تناطح السحاب لكن اظلالها اطول منها كثيراً وقد وقعت تلك الاظلال على

ما هنالك من اغراس الرمان وغيره من انواع العفريات فحتمها عن العصر ولكنها لم تحجب رائحتها فاصوع التصرمها . وقد هذات الطبيعة واوت الضور الى اوكارها وسكت الرياح فلم تسمع الا خبر ماء الغدير وسط السنان وبطرت الى ضفاف ذلك الغدير قرأت اشجار الحور مرنة صنوها كأنها عذارى حن الاستقاء فهالهن سكون الطبيعة فهتن ووقتن على ضفاف الغدير صامتات .

فما برح القمر ان اعلى وظهر وجهه واضحا فاستيقظت همد وحملت تأملات فاحست بارتياح الى منظر فتذكرت ارتياحها الى رؤية حبها فاحتلج قلبها فعدت الى الانقراض فارسلت نظرها الى القمر لعلها تسترح ذلك الارتياح فامنع عليها

ولكنها ما لتت ان تأملت وجه القمر حتى تفرقت الدموع في عينيها واخذت تحاطبة قائلة « العلك مشرق الآن على مارل مكة وحالها العل حبي هالك يغفر اليك ويستغفرك بوجهه ليته يفعل ذلك فيلتي طرفا ما عندك فضع على بعد الدار »

الى الطائر السري انظري كل ليلة » فانيه اليه في العتمة ناظر

عنى يلقي طرفي وطرفك عدك » فشكر اليه ما تنكب الضمائر

« نعم اني ارى على وجهك صورة كأنها ظل وجهه مهل يرى هو مثل ذلك ايضا »

ثم عادت الى الكاء فاطلقت لفسها النعان حتى لم تتالك عن الشفق وهي تضيئ نفسها منيرة لا يسمعها احد ولكنها ما لتت ان سمعت قارعا بفرع الباب فعلمت انها والدتها سمعت صوت مكانها مجاءت لتعربنها فودت القفا في حلونها فتظاهرت

بالنوم ولم تنهض لفتح الباب ففرغت والدتها الباب تاتية واجت عليها ان تخذ فسمعت عيونها ونهضت ففتحت الباب ولم يكن في الغرفة نور غير ضوء القمر الداحل من الزاوية فدخلت سعدى وهمت بهند وضمتها وحملت نقاتها وتطر الى رجليها لتحق بكاءها

وهند صامتة مطرقة لا تبدي حراكا فقالت سعدى ما مالك يا ولداه ما الذي بكيك لماذا لا تنكبن الي هلك الست والدك اما انت ولدي وفلة من كدي لا تعلمين انني احبك

فلثت همد صامتة ولكنها نظرت الى والدتها نظرف عينيها نصف التأنيب ولم تنه بكلمة ففهمت سعدى انها توبخها لما ارتكبتها سنان حماد ولكنها ارادت معانظتها فاخذتها بيدها الى السرير واجلستها الى جانبها وقالت ما بالك لا تحييني يا همد اتكتبن عني

شيئا ألم أكن خراة اسرارك قولي يا ولداه ما يبكيك  
فقطرت هداياها وكان ضوء القمر واقعاً على وجهها فرأت سعدى الدموع تنالاً  
وهي ساقطة من عينيها فانظر لما قلبها وهمت بها ناية وصممت وتناولت منديلها  
وحملت تمنع لها الدموع محوالت هداياها نحو المائدة وتهدت وهي تنظر الى القمر  
وصوته على السهول والجبال

فهضت سعدى ووقفت معتصة بيها وبين النافذة وقالت لما قولي يا ولداه  
ما الذي يبكيك لتدخضعت قلبي ولم يعد لي صبر على بكائك ألا نعرفين قلب الوالدة  
فوقمت هداياي تمت نحو المائدة والديتها تعترضها وتمسك يدها ثم وقفت وقفة  
من يتنظر حياءً . فطار هداياها تذرّاً وقالت " نعم يا امامه اني اعرف قلب  
الوالدة ولكن الوالدة لا تعرف قلب ابنتها "

فادركت سعدى مرادها فقالت ومن قال لك يا هند اني لا اعرف قلبك  
فقلت لوعرفت قلبي ما سببت لي هذا الشقاء لاني اعرف حوك  
قالت كيف لا اعرف قلبك يا ولداه وقد كنت في غوامض اسراره  
قالت اداً عرفت حاله ولم تنقني عليه فلا بأس ساعلك الله وسامح والدي  
و... وشرقت بدموعها

فاندربتها سعدى واطهرت الاستغراب قائلة كيف تقولين ذلك يا هند كيف لم  
تنتقي على قلبك وكل ما حصل اما حصل بمصادقك ورضاك لما فيه من الفخر لك  
مزت هند رأسها وهمت بالجواب ثم سكنت فائت والديتها الكلام قائلة ومع ذلك  
فان الاحوال قد تغيرت بهوت الحارث واذلال نعلته فصلاً جاء حماد بالقرطبيس ام  
جاء دونها فليس ثم من يقف في سبيله

فلما سمعت اسم نعلته ارنعتت جوارحها فقالت " آه يا امامه لقد قضى الامر...  
اين حماد الآن... آه اين هو... هل تعلمين اين هو وقد انقضى العام منذ سار من هذا  
المكان ولم يسمع عنه شيئاً " ثم حولت وجهها نحو النافذة وقالت وهي تبكي " آه يا حماد  
آه يا حماد سامح الله من كان سبباً في معادك... انكي يا امامه على هداياها واريتها  
ولا ينسب ضميرك او تنسبني على ما حدث لي ولله على يدك ويد والدي انما هي الاقدار  
قد كتبت عليها هذا الشقاء " ثم قالت وقد غلب عليها الشفق وعلا صوتها

« آه يا حماد حيي اين انت الآن العلك على الارض ام في السماء ام اين است من بحري  
بمكالك لكي اطير اليك فاما ان اعيش قمرك او ان ادفن تحت قدميك فقد كذابي  
ما سبته لك من النقاء وما جزاء عملي هذا غير الموت - الموت الموت ! .. »

قالت ذلك ورمت نفسها على السرير والدتها لا تزال مسكة يدها تحاول  
تلطيف ما بها فلما التت منها خافت سعدى ان يغى عنها فيادرت الى الماء لترتبا  
يو وامسكتها يدها: وجعلت تحايطها وقلبا يتقمع ولولا اشتغالها تعزيتها لكنت هي  
المغنى عليها لا محالة ولكن اشتغال الاسان بن محبة بنسيو نمت: فهمت بها وخاطبتها  
ففتقت انها لم يبق عليها فحاولت اجلاسها وجعلت تقيها وهد مشتغلة بالبكاء والشهيق  
وبداها على وجهها

فراأت سعدى ان تتركها هية ريثما يهدأ روعها فلبثت صامتة مطرقة تنكر في  
امرها حتى اذا آست منها سكتة وهدوء جاءت بكاس من الماء وقدمته اليها لتشرب  
فشرت وهي مطرقة خجلاً لما ظهر من عواطفها رغماً عنها  
فاندبرتها والدتها قائلة خذي علك يا ولداه فالت متال الثعلف والرزاة عدنا  
فكيف اطلقت لاسك العنان

فصنعت هداياها توجعها فقالت كذابي توجعاً فقد علمت اني اتيت امراً يعاب  
عليه امثالي واكن الكاس قد طمخ والامر مد  
قالت سعدى لم يند شيء بعد يا هدا ان حماداً نصيبك وقد قلت لك سواء  
جاء بالفرطين ام لا فانه لك وايت له

فتهدت سعدى وقالت هذا اذا قدر لنا ان نراه لا اظنه اذا فشل في مهمته  
الا ضاراً في بطن الارض ولا يعود اليها صفر اليدين  
قالت تدري الامر بالصر والحكمة واتكلي على الله انه قادر على كل شيء وهلم  
بنا نصلي ونطلب اليو نعال ان يعينه سالماً

فتأملت هدا في حديث والدتها فترجى عدها انها تقول الصدق بشأن حماد  
واقترأ بها سواء جاء بالفرطين ام لا فصرها ذلك ولكنها ارادت ان تستطلع ما يكمه  
والدها من هذا القيل فقالت لو ادتها  
هي امك رضىت بذلك شفقة على صباي مهل برضى والدي يو

قالت ان ذلك اكثر رعة مني في الامر وخصوصاً بعد ان وقع ما وقع بينه وبين ذلك الغاس من الذبور على اروقائه اثارته هضبي سماً وقرى عينا وانكلي على الله ولعلب اليه تعالى ان يخط لك حبيبك ويعيد اليك سالماً معافى ونسى انعامنا مسكن روع هد ومارت الى فراشها وسلمت امرها الى الله

## الفصل السادس والخمسون

### نثر 'بشارة'

واستحت في اليوم الثاني معاد اليها الاكتاب فودت اها لم تسفيظ او ايتها نفل نائمة فلا تسى ان تسى صوت حماد فستت في الراش تلمس النوم واخذت تنقلب عينا فلما كان الصبح جاءت والدتها تستفدها فلما رأتها في الراش اشغل بالها واستطلعت السب فستت لما تكاسلها عن القيام فجلست الى حايها تحادثها بما يذهب عنها الهواص وهذا تسمع واتكلمها نائمة حتى كانت الضهيرة فسمعت صوتاً خارج الصرح بنادي " من سر يدراً لحران الممارك " فحق قلب هد لذلك الصوت وهت من فراشها نعتاً ونعتت ايضاً والدتها لانها سمعتا منه صوت سلمان وتذكرنا قدومه اليها فحلاً فتأخر حماد مبروليا الى الدار فقرأنا راءها على فرس مثلاً رانا سلمان فحلاً فتحققنا انه هو بعينه فحالت هد سها في سام لقدومو عليها نعت على غير انتظار فاداته فتحول ودخل محرمت معدى لاسمالي وطلت هد في العرفة جالسة وركناها ترتجبان من اثنا تروم تستضع الوقوف ان بعد هنية وقد سمعت وقع اقدام الرجل مع والدتها داخلين الى القصر فوقست لاستقبالها فوصل الرجل الى باب غرفتها وحالما وقع نظرها عليه عرفته فعانها الفتنة ولم تعد تعلم كيف تكلمه فاندردا هو بالسلاام وتبسم وم بتقبل يديها فنعته وساحت ما وراءك يا سلمان وكانت والدتها قد اغلقت الباب

قال ما وراي الا اخبر يا سيدتي كيف انت

فالت نحن في خير وكيف حماد وابن هو اخبرنا

قال هو في خير وقد تركته في دير مجيراء ينتظر اموك ويدعوك

قالت هل هو في خير وعافية

قال نعم يا مولاتي انه في خير وقد النى بواله في المدينة  
فحرّت هند الى الارض فقلتها وقالت نحمد الله على سلامتو قالت ذلك وقد  
انبسط وجهها وارتقت اسرتها

فقالت سعدى ابن هو حماد ولما ذالم يأت معك

قال انه بقي في الدير خجلاً من مقابلتكم  
قالت وما الذي يحجله اسلا لا يريد منه شيئاً غير سلامتو .  
قال والفرطان

قالت لا حاجة سا اليها فتد زال انسيب الذي دعا الى طلبها

قال ان امر الفرطين قد عاد علينا بالمثل قطعاً النيا في والفتار حتى انها  
الكعبة فلم تقف لما على خير - وفصّ عليها حكاية سفرهما من يوم خروجها من صرح  
القدبر الى اس سادا وكذب القيا بعد الله وما عرما عليو من البحث عنها في العراق  
فقالت هند دعنا من الافراط قد اغماها الله عنها

فحجب لذلك التغير ولراد ان يعلم اذا كان جبلة ايضاً في مثل رأيها  
فقال وهل سيدي الملك جبلة في خير

قالت سعدى نعم هو في خير ينتظر قدوم صهر حماد بفارغ الصبر  
ولما سمع قولها ( صهر ) زاد اطميناناً رضاها عن حماد فقال وهل هو ايضاً  
مفضل امر الفرطين

قالت انه لا يريد شيئاً غير سلامة ولدنا حماد فادعه الينا لثراء

قال انه يود ذلك من صميم قلبه فأذن لها بفرصة آتي و اليكم  
قالت فليأت باقرب وقت ولكننا نود حضوره وواند هند حاضر ليفرح بمودتي

وليكن ايضاً والد مع ليم المرح

ففرح سلمان بهذه الاخبار ولكن خاطراً مرّ بذهنو فاسكنه بفنّه فلعلت هند شيئاً  
غره فقالت ما بالك يا سلمان ما الذي اسكنك فهل هناك ما يمنع حضوره اخبرني  
قال كلاً يا مولاتي انه ينظر هذا الاجتماع اضمار الظئان الماء الزلال وهو اما

تعمل الاخطار ومشاق الاسفار طعماً بذلك ولكنه ...  
فكنت هند وسعدى معاً وقالنا ما الذي يدعوك الى ترددك قل يا لحان لنا  
شغلت بالنا

قال لا يخفى عليك ان -بيدي حماداً تشرف بحظبة -بيدي هند ووالد لا يعلم  
ولما علم بذلك يوم اجتماعنا في المدينة سرّ كثيراً ولكنه استهل حماداً في انمام هذا  
الامر ريثما يأتي يوم الشعابين  
قالت سعدى وبأ علاقة يوم الشعابين بذلك

قال لا علاقة له بو الأمن حيث الذر فقد علم ان سيدي حماداً مذكور ان ينص  
شعر في دير بجبراء من يوم ولادة وار .كون قصة في يوم الشعابين في السنة الحادية  
والعشرين من عمره فلما كان اليوم المعين -بد عامين حدث ما حدث له .اعطاه وفر ولم  
يمكن من وفاة الذر فلما عاد من هذا السفر قال سيدي عبد الله لولع انه سيفقد شعره  
في يوم الشعابين القادم بعد بضعة اشهر .وتقدم اليه ان لا ينشر علماً بها قل ذلك  
اليوم لانه سيطلمع فيو على امور تهمة واكدي لا ظن لها علاقة .هذا الامر  
فلما سمعت هند ذلك التلام تعودت بالله ما هو محمداً لما سيف في عالم الغيب  
وقالت في نفسها اللع اما ما عرا قبل اخرى غير التي انقضت

فقالت سعدى لا بأس ولكن ذلك لا يبع -بيدك من المحصور ابنتي بوالدهد  
وخصوصاً لانه غريب فقد يعتأس به ويؤثر بهمهم .على بين في النقاء .اما ذلك الامر  
فما نحن في عجل اليه وانما المراد ان نفهم قلوبنا ويبدأ بالنا ويرى بعضاً وقد  
تمتدت العقبات بموت الحارث وسقوط .بود بضعة بين الله .ثل

فقال لحان نحمد الله على عبوه ولا أقدر ان اصف لكم .قد ار -رور مولاي حماد  
بهذه الاخبار فعينك المكان والزمان النذين تريدان الاجتماع بهما لاخير سيدي  
قالت هند فليأت حماد أولاً لنراه ثم نعين يوماً يجتمع به واللدان لانا نخشى  
اذا انتظرنا اجتماعهما ان يطول الاجل فان والذي في البلقاء وربما لا يستطيع المحي  
الأ بعد بضعة ايام .ولادت هند بذلك ان تجتمع بمجاد قلاً على اسرار استوضح امر  
الذر وعلاقته بالاقتران

فقال لحان ما اتي ذاهب لادعوه وأطه يكون هنا في صباح الغد ان شاء الله

فخرج وقد دم على ما فرط منه في حديثه عن عبد الله وعلم انه اخطأ فيما ذكره بشأن الذر وخاف ان يثنى ذلك على حماد فعول على التخلص من هذه البعثة بالحملة فاسرع حتى اتى الدبر في مساء ذلك اليوم وكان قد سار في هذه المهمة ولم يخبر عبد الله لعلوا انه لا يريد ذلك

فلما وصل الدبر كان حماد في انتظاره فاستقبله وهو يظن الى وجهه لعله يقرأ على لهجو ما يشع فرآه يتشم وجهه منبسط فرحب بوسألة عن الخبر فقال ابشر يا مولاي ان الله قد محاك كل شفاء كتب علينا وزالت كل الموانع التي كغاف وقوعها بيلك وبين هدي

قال وكيف هدي هل هي مسرورة رجوعي وهل علمت اننا لم نعتز على القرطين وماذا قالت

فصكت سلمان وقال ان القرطين لم يعد لما دخل في امر اقتراكنا فقد تغير وجه المسألة بموت المحارث من اي تهر وقصّ عليه الخبر الى ان قال واذا شئت الامتنان في صباح الغد فهو لك لان والدة الفتاة والدة ارضيان بك لا يريدان منك شيئاً واما هند فاست تعلم قلبها قال وهل طلبت مواجعتي

قال كيف لا وقد طلبت ايضاً ان يشرف سيدي والدك على ان يكون الملك جلة موجوداً لنتم المعرفة بينها واني واثق باقبال نجم سعدنا لان اقتراكك بهند فضلاً عن انه من أم اسباب سعادتنا فهو سبيل الى اكتسابك نفوذاً لدى ملك غسان فقال ولكك تعلم ان والدي لا يرضى الذهاب معي بهذا الشأن قال أعلم ذلك وقد ذكرته امام سيدي هند فبغت حماد وقال كيف ذكرته وماذا قالت

قال ذكرته على اسلوب لطيف فقلت ان سيدي عبد الله سرّ كثيراً بخطبكما واكمه يود وفاء الذر قبل عقد الاقتران

قال حماد اخشى ان تكون هند قد فهمت شيئاً بجملها على اساءة الظن قال لا اظنهم فهمت شيئاً من ذلك وعلى كل فانك ذاهب اليها في صباح الغد وقد اجلنا اجتماع والديكما الى فرصة اخرى فاذا اجتمعنا انهما الحكاية كما تريد



قال إذا نذهب الى صرح الغدير في صباح الغد وماذا نعمل مولدي هل نخب  
قال أرى ان نخب باننا ذاهبون لطاعة اهل الصرح نعودنا واننا لا نتحدث بشأن  
الخطبة أو الاقتران مطلقاً  
قال هذا هو الصواب

## الفصل السابع والخمسون

### \* حماد وهند \*

وفي مساء ذلك اليوم خاطب حماد والدة في امر هند وقال له ان وفاة الحارث  
ربما سهلت امر اقتراؤنا وربما عدلنا عن طلب القرطين واظهر حماد سروره  
بذلك فلم يجب عبد الله بكلمة

فقال حماد ألم تسر يا سيدي بذلك

قال اني اسر لسرورك ولكني لا ازال الخ عليك بالاعتصار في هذا الموضوع  
ربما يأتي يوم الشعانين وتفي نذرنا

قال اعاهدك بانني لا اباشر امراً قبل ممي ذلك اليوم ولكني عازم في صباح الغد  
على الذهاب الى الصرح لاشاهد عدناً ولانها لاجل الاطمان واظنهم يودون مشاهدتك  
قال دع ذلك لبعد يوم الشعانين اما انت فاذهب لمشاهدة اهل صرح الغدير

واحذر ان تقضي امراً

قال حسناً يا مولاي

وفي صباح اليوم التالي ركب حماد باكراً وركب سلمان معه وسارا قاصدين الصرح  
اما هند فانها لم تتم ليلتها تلك اعظم تأثراً فراحاً فقدم حماد الأعد الفهر  
فاغضض جناها فانامت هنيهة فافاقت والشمس قد طلعت فظنت نفسها قد ابطأت  
في الفراش وخافت ان يأتي حماد وهي نائمة فنهضت ولم يؤثر فيها المهرشيتا لثبته  
عواظها فاعلمت ولبست ثيابها وعادت الى غرفتها وفيها نامدة تدرف على طريق  
بصري فجلست اليها وعينها شاتعان نحو الافق لعلها ترى حماداً قادماً وكانت كلما

رأت شجراً أو ظلاً أو سمعت صوت صهيل أو وقع اقدام خفق قلبها ولا يكاد يحدث في الصرح صوت إلا سمعته كأنها كلها آذان لعظم تأثرها  
 أما سعدى فقد كانت توصي الخدم في اعداد ما يلزم للضيافة من الذبائح ونحوها فلما فرغت من ذلك فكرت في هند وما يكون من حالها عند ملاقاتها حاداً بعد طول غيبته فتأملت من شدة تأثرها كلاً بظهر منها ما تعاب عليه أو يؤثر في صحتها فرأت ان تسير اليها وتشاعها لتذهب ما بها من قلق الاضطرار فقامتها فاذا هي في مثل ما خافتة عليها

فلما سمعت هند وقع اقدام والدتها كادت تغتص لولا تعودها صراع ذلك فاستقبلت والدتها باشة فاستدعها سعدى قائدة ما بالك منفردة يا هند اظنك تسنين عدول حماد عن المحبة فضمكت ولم تجيب

فقالت هيأتنا الى الحديقة تنسم رائحة الازهار لان مواءك هنا مل قالت ذلك واستمكت بيدها ومشتا حتى نزلتا الى المكنان وابغنا بين الاشجار وهند تسارق النظر من بين الشجر اهلها ترى حبيبها قادماً ولكن والدتها سارت بها في الحديقة حتى غابت عن الطريق وكانت هند انما تشي محارة لها وقلبها يجيشها بالرجوع الى النصر لئلا يصل حماد اثناء غيابها

وفيا هما في ذلك سمعتا صوت صهيل عرفت هند حالاً انه صهيل جواد حماد فغفقت قلبها فظنرت اليها سعدى مخافة فاذا هي قد بغتت وهمت بالرجوع فقالت لها دعينا هنا فانه لا يلبث ان يأتي فداراه وقد ارادت سعدى ان يكون الملتقى على انفراد مخافة ان يحدث في اثناء ذلك الاجتماع ما لا يفسد اطلاع اهل النصر عليه

فسكنت هند وأكتمها ما فتئت نظرها من خلال الاشجار نحو باب الحديقة تنتظر محبي حماد بفارغ الصبر ولم تنص هنية حتى رأتها قادماً وعلى رأسه الكوفية والمقال وقد تقلد الحسام تحت عانة حريرية مزركفة بالنصب فلما وقع نظرها عليه زاد خفان قلبها واصفر وجهها ثم ما لبثت ان علتة المحمرة وظلت واقفة اما والدتها فتقدمت حتى التقت بحماد فسلمت عليه فهم يتقبلانها بحفاوة فمضت وهند لا تزال واقفة

وقلبها بمحدثها الماسير نحو ولكن الحشمة والحياء منعاهما  
اما هو فاسرع نحوها ومد يده مملأاً ووجهه يطرح سروراً وعيناه شاخصتان  
اليها تنفذان ذكاءاً وهياماً

مدت يدها وهي تنظر الى الارض خجلاً ولكن الالباس غلب عليها ولما امسكت  
بده شعرت بقوة انثى في كل اعضائها ثم نوردت وحناءها وطرفت أسرتها كأن  
تلك القوة مجرى كهربائي أنتشر في اعضائها ثم انحصر في وجهها فاضاً . فقال حماد  
كيف انت يا هند لقد اطلت الغيبة عليكم ولكني عدت مع ذلك بخفي حين  
فقلب عليها الحياء ولكنها نظرت اليو بعينين راقبتين تسعت أشعة الهيام منها  
وقالت لا حاجة بنا الى الخمين ولا الفرطين وإنما حاجتنا الى عودتك سالماً فالحمد لله  
على ذلك . قالت ذلك ودموع المرح تنتثر من عينيها وهي تنسم فارادت اخفاء دموعها  
فتموت نغمة تجر بانقرب منها فتحتها مقعد من حجر للجalous وتحول حماد وسعدى  
والكل سكوت ولكن قلبي العاشق ينكلمان او لعلها بضمكن فقط ولو تركا على  
اسرادل لا تطلق لسانها وتعاتبا وتفازلا ولكن وجود سعدى حملها على الاكتفاء  
بحديث القلبين

ولما استقر بهم المجلس قالت سعدى لقد اطلت الغيبة علينا فانشغل بالناس كثيراً  
ولما سمعنا حكاية سفركم من سلمان حمدنا الله على عودتك سالماً بعد ما قاسيناه من الخطر  
قال لا بهمني من امر سفر في هذه نية ولا احببني انيت امراً ولا نعلمت شفاء  
طالما كان سري عقيماً وان يكن ذلك لغیر قصور مني لان السبب فقدان الفرطين  
من الكعبة اثناء هدمها . وسأعها اما انا فاني عازم على مواصلة البحث عنها في العراق  
او غيرها حتى اتي بها

فابتدرته هند قائلة لا لا حاجة بنا الى الاقراط فان عندنا من فضل المولى ما  
يكفيها مؤونة هذه الاسفار

قال وماذا يقول الناس عني وقد عدت صديقاً اليك عاراً على حماد ان  
يرجع خائفاً عن امرطلته هند !! قال ذلك وعيناه تنظران الى هند ويكاد النور  
ينبثق منها

فالتفتت في اليو وقالت وهي تنهم لم يعد حماد خائفاً لانه جاهد في سبيل

الفرطين جهاداً حسناً ولا يزال ساعياً في التفتيش عنها في خرائن الحيرة وكسا نحر حولاء عن عزمه فما ذلك من قبيل الخيبة لا سمح الله

ثم قالت سعدي ان امر الفرطين يا ولدي لا بهما مطلقاً فبذل هذه الافراط كبير عندنا من نعم الله . من ذلك لؤلؤتان معلتان تاج الملك جلة هما مثل لؤلؤتي قرطي مارية تماماً حتى لقد مجسهما بالناس نفس الفرطين <sup>(١)</sup>

قال حماد اني لا أجهل نعم الله على ملوك غسان زادكم الله بها ولكني وددت ان اجعل لي سيلاً استحق به هداً فان نمي وحداً ولا حسي بخولاني هذا العرف ولكن ذلك أحسن من جلة كرم الغسانيين على الغراء . قال ذلك وتسم والنسب الى هند فاذا هي تنسم ابصاراً وتظن الى الارض

فالتفت سعدي اليه وقالت ان السبب يا ولدي لا يجعل الانسان انساناً وان الرجل باصغريه لا يردو فان ما شهدناه من شهامتك وكرم اخلاقك لجدير بان يرفع منزلتك الى أوج الملوك وكم من ملك تحطه دبابرة الى مصاف الصدهاء وشاهدنا على ذلك قريب . قالت ذلك ونظرت الى هند كأنها تذكرها بدابة تعلية والمقابلة بينه وبين حماد فادرك حماد ذلك فاطرق خجلاً لما سمعه من الاطذاب ولكن قلبه رقص طرباً لتخلصه من امر الفرطين وتمثل له ملاك السعادة طوع ارادته فارقت اسرته ثم تذكر يوم الشعابين وتأخير الافتران بسببه فانقبضت نفسه على ان اجتماعهم في تلك الساعة انشاء كل قباض . ثم اتت سعدي كلامها قائلة ارى على ثيابك اثر الفسار الا تحتاج الى تدبيل وغسيل فاذا شئت هلم بنا الى النصر

قال لا اشعر شعوب وان القليل والتدبيل امران مستدركان ولكن الجلوس في هذه الحديقة بين الاشجار وبحاري المياه والاستظللال تحت هذه الشجرة ما ترتاح اليه نفسي . ولا اخفي على سيدي اني لم اكن ارجو مثل هذا الاجتماع بعد ما قاسيت من المشاق ولا انسى يوماً قضيت في مكة على سطح غرفتي لا اذكر يوماً كنت فيه كما كنت في ذلك اليوم لا اعاده الله

قالت هند وكيف كنت

قال لا فائدة من ذكر ذلك غير الكدر واكني امثل لك الامر مثلاً . نصوري

اني ركبت متن الاسفار وقطعت البراري والقفار فلبثت عن فرطى مارية مهراً الحبيبتى  
هدد والعينين عن والدي فنزلت ملداً شهدت فيه حرماً وحطراً ثم تحققت فقدان  
الفرطين وضياح والدي فلما تراكمت كل هذه المنصائب عليّ صعدت الى سطح غرفتي  
وقد ضيق صدري وتذكرت هماً والدي وما انا فيه من الرأس فماذا تكون حالتي  
فقال سعدى لقد سرّما العنور على والدك هل هو في خير وهل ينوي زيارتنا  
فاني احب تعريفة بملك جلة لئيم - رورنا فقد زالت كل المحاجز ونهدت كل  
العقبات والحمد لله

فتذكر حماد مسألة الذر وحكاية يوم المعامين فقال في سنة لم ترل امامنا  
عنة لا ندري ما وراءها - ولكنه اجاب سعدى قائلاً ان سيدي انوالد بمركباً  
بمقاله الملك جلة وهو شرف ينهـاء امثابا ولكنه الان في شاعل ويغنم اول فرصة  
بمقاله سيدي الملك واما كذلك

## الفصل الثامن والخمسون

### \* جلة \*

وفيما هم في مثل هذه الاحاديث آتوا في اهل الفصر حركة وإهتماماً ثم جاءهم  
محمدر بهم من جاء بهم قدوم الملك جلة الى الصرح فغبت الجميع لقدومو على  
عور اسطار ونهضوا يطلبون الفصر ينتظرون قدوم الملك  
متمثل صانين كل منهم بمكر في امر وكان حماد اكثرهم بفتة وإهتماماً لانها  
اول مرة - يقال بها جلة بعد عودته مخاف ان يكون قشة في البعث عن الفرطين  
سبباً في فنور تحتولة واما هدهد فكانت تنزع من والدها حقاً الى حماد ساء على ما سمعت  
من والدتها واما سعدى فلم تستغرب قدومه لانها هي التي اتذنت اليو رسولاً بالامس  
بمحمدر محبي حماد وانه - يزورهم في ذلك النهار فاذا استطاع المحبي فعل  
فوصلوا الفصر ودخلوا قاعة الجلوس وما استقر بهم المقام حتى نودي في الفصر  
بمجي الملك فخرج اهله لا استقبالاً وخرج حماد وهند والدتها الى الحديقة

وكانت الفرسان قد وصلت فتقول جيلة عن جواده وعليه لباس السفر من العباءة والكوفية وقد تقلد الحسام ومشي بلفت ذات اليمين وذات الشمال يبحث عن حماد حتى اذا وقع نظره عليه دنا منه فتقدم حماد وهو يقدم قدماً وبؤخر اخرى ليرى ما يبدو منه . اما جيلة فاسرع اليه وسلم عليه مصافحة وقلة قبله الوالد لولك والماس ينظرون . وكانت هند تراقب حركات والدها فلما رأت منه ذلك وقص قلبها طرأ وتناثرت دموع الفرح من عينيها وكذلك والدها اما حماد فانه قبل يدي عمه وقد تحقق رضاه عنه . فقال له جيلة اهلاً بولدي وعزيزي نحمد الله على عودتك سالماً فاجابه حماد ( وملاحح الامتنان ظاهرة على وجهه ) له الحمد على كل حال ولكنني احب ان اسمع مني رضا ملك غسان فانها نعم لا اقدر على تقديرها يا عمه

ثم تحول جيلة نحو هند فقبلت به وقبلها وحماد ينظر ففكرت فهو عاطفة الفروع عليها حتى من والدها ثم حياً سعدى ومشي الجميع نحو القاعة وعينا حماد على هند كما يريد ان يلتفتها بنظره وقد شق عليه مفارقتها بعد ان تقرر له الحصول عليها وكان سلمان في جملة اهل النصر الوقوف في انتظار جيلة ولم يبدأ دخول الحديقة على حماد عند اول مجيئ مراعاة لما قد يدور بين المحبين من عبارات الغتاب مما لا يكون الفروع هو امام احد

ودخل جيلة وسعدى وهند وحماد القاعة فسأل حماد عن سلمان فجاء فدعاه للجلوس هناك فتوقف توقيراً للجملة فنهض حماد واسكته بينه وقدمه الى الملك فأتلا اقدم لكم يا عمه رفيقي وصديقي سلمان فانه كان معتمدي في اسفاري وهو محب لغيره للملك جيلة وسائر آل منزله

فرحب بوجيلة وامر بالجلوس فجلس والجميع جلوس ثم التفت جيلة الى حماد وسأله عن والد فقال اني تركته في دير مجبراً علي ان يحظى بمقابلة مولاي في فرصة اخرى

قال لقد سررت كثيراً باجتماعكما بعد طول التفتت بسبب ذلك الغلام الفتر ( يريد ثعلبه ) وقد كست في غفلة عن امره الى ما بعد وفاة والدك فتبعثر اصدقاؤه فاحبرني بعضهم بما ارتكبه هذا الخائن في سبيل الفلك بك على اثر ما اظهرته من

الشهاد وكرم الاخلاق ويكفي انك عصوت عن قتلو في حلبة السباق بعد ما عاينت من غدره وسوء قصده ولكن ذلك الخائن قد نال حزا - ما جنة يده وكان الناس اما يرمقونه ببعض الاحترام مراعاة لمصعب والدك فاكاد يتوفى الحارث حتى تبذ نذ النواة وصار مضفة في الافعال ومن انتقل المصائب عليه ان يعلم بمحبتك ونيل مرامك ولا اظلم بسمع بافتراكك حتى يقع ميتا لشدة اؤمو وحمد قبه الله وكان جبلة يتكلم ولحمته تهتز وعينه تنقدان غضبا مع محاولتي اخفاء ما في نفسي وتخفيف ما به فلما اتم كلامه اخذ يتلاني بنشاط لحيتو باصابعه ويداعل نظره بالالتفات الى خيل مربوطه خارج النصر كانت تتراحم وتتضارب

اما المحضور فانهم لبشوا بعد اتمام حديثه - مكرنا نهبنا من غصوه ولكن قلوبهم كادت تطفح سرورا بما قاله عن ثعلبة - ثم وجه جبلة خطاة الى سعدى قائلا اسقينا شيئا مرطب يا اجفانا ونشره نخب اجتماعنا فرحا بقدم صهرنا سالما - فقالت الا ترى ان نجلس الى المائدة فتناول الطعام والمداام - ها قال حسنا تفعلين

فصمتت فجاء غلام - فقالت هل تمت معدات الطعام

قال نعم يا مولاتي

فنهض جبلة ومشى فتحة الجميع حتى دخلوا غرفة ملئت فيها الاسطة وعليها الاطباق والمطعمين وكلها من الذهب او الفضة ' ' فجلسوا يأكلون ويشربون والمرح شامل لهم

فلما فرغوا من الطعام وقاموا عن المائدة تقدم جبلة الى حماد وأشار اليه ان اتعفى فتبعه حتى خرجا من النصور وجعلا يتشبان في بعض طرق الحديقة فلما خلوا قال جبلة اعلم يا حماد انك الآن بممرلة وادي وقد قسم الله ان تكون صهرآ لي وهذا امر احببه من حظ هند لانك شهم ينقر شهادتو وشجاعته ما يربو على الافتخار بالحسب والنسب - وقد تركت اليك تعيين زمن الاقتران ولكنني اوجه التفاتك الى امر واحد وهو ان هندآ كما تعلم وحيدة ليس لها ولد سواها فيبقى عاليا فراها فأشترط عليك اذا تم الاقتران ان نقيم عدتنا انت والدك ومن تريد من ذويك فتتولون على الرحب

واحدة فان البلاد تحتاج الى من يتولاها وليس لي واد ذكر فاذا احسنت السياسة مع القبائل اجتمعوا بعدي تحت لوائك وكنت ملكاً عليهم فلم يعد يعرف حماد كيف يفكر نعمه ولكنه وقف وكانا ماشين فوق جبل فقال حماد ان هذه النعم وهذه النعم ما يقصر لسان الناس عن اداء الشكر عليها - ان شرطاً اشترطوه يا عماء ان هو الا نعم احسنت بها علي جزاك الله عني خيراً - اما وقت الاقتران فلا يمكننا تحديده الا ان للدواع لا اخفيها عنك قال وما هي

قال لعل مولاي رأى طول شعري لما لبست الدرع يوم السباق قال نعم اذكر ذلك وما سبب طولك

قال ان والدي نذر اني اذا عشت لا يقصر شعري الا في السنة المحادية والعشرين من عمري في دير مجبراء وضرب لذلك اجلًا يوم ادهاين فان ذلك اليوم منذ عام وبضعة اشهر فجننا البلقاء فحدث ما حدث من سعي تعبته ضدي والنقص على والدي ثم لم نجتمع الا من امد قريب في المدينة فهري والدي ان نتلر يوم الشعانين القادم ونقص شعري في الديرو قد اخبرني ان عندك حكاية سينصها علي في ذلك اليوم وواعزائي ان لا اقطع باهر من الامور المهمة الا بعد ذلك اليوم فما رأي مولاي فجبب جبلة لذلك السر وقال لا ارى مانعا من تأجيل الاقتران الى ما بعد الشعانين ففجئلة في يوم القيامة ولكنني استغريت هذا السر الا تعلم ما موضوعة قال كلا يا عماء لا اعرف عنه شيئاً ولا يعلم به احد سوى والدي وقد اخبرني انه لما وقع في الخطر من وخاف الموت لم يأسف على شيء اكثر من اسفه على ضياع ذلك السر

قال جبلة فلننتظر يوم الشعانين وكل آت قريب ثم تحولوا نحو النصارى وكانت هدى والدتها ولمان جالسين في القاعة فدخل جبلة وحماد وقضيا بقية ذلك اليوم في الاحاديث المتنوعة فلما كان العصر التمس حماد العود الى الديار لئلا يستعطفه والده فيبغض باله عليه فقال له جبلة افعل ما بدالك ولكن اعلم يا ولدي ان صرح القدير وسائر قصور البلقاء منووعة لاستقبالك متى اردت القدوم فتم حماد يدعوه وقبلها وكذلك



فعل سلمان وودع هذا وسعدى وكان قد امر فاسرجت الخيل وأراد الاسراع في  
الشغوص الى دير مجبرا ليخبر والدك بالافاء من الاحتفاء وما عرضة عليه جيلة من  
الانعام لعله يرغب في القدوم على جيلة

فركبا وسارا وهند تشيعها بنظرهما خلسة حتى تواليا فعاد اهل الصرح فاحكى  
جيلة لسعدى ما دار بينه وبين حماد ولما عاد هو الى اللقاء احكت ذلك الى هند  
فكادت تطير من الفرح

اما حماد فانه وصل الدير في مساء ذلك اليوم وكان والدك في انتظاره فاستقبله  
ودخلا الغرفة فاحكى له حماد ما لافاه من الاكرام والاحتفاء وما دار بينه وبين جيلة  
ما لم يكن يرجوه .. وكان حماد يتوقع ان يرى من والدك بعد هذا الحديث اعجابا او  
امساحا فلم ير وجهة يزداد الا انقضا ولم يجب بكلمة فلكث حماد ينتظر يوم الشعابين  
بنارغ الصر

## الفصل التاسع والخمسون

### \* قص الشعر \*

وكان عبد الله كلما دنا ذلك اليوم زاد انقباضا حتى قبل غدا يوم الشعابين  
فعلم ان الدير سيكون مزدحما في ذلك اليوم وهو انما يلتمس الانفراد بمجاد لينلو عليه  
الحكاية فمار الى رئيس الدير واطلعه على قصه  
فقال واي الغرف تريدون

قال يريد صومعة مجبرا نفسها فانها منفردة وفيها كرامة وبركة  
قال ولكن الناس يقدمون اليها في مثل هذا اليوم زائرين  
قال يزورونها بعد خروجنا منها فربما مكثنا فيها ساعات قليلة من الصباح الى  
الظهر . وكان عبدالله جليل الطلعة مخترا فاذعن له الرئيس  
ثم قال عبدالله اعرف راهبا شيخا من تلامذة مجبرا الراهب صاحب هذا الدير  
كان يقيم في الصومعة فهل هو باق هنا

قال انه باق ولكنه يشكو شدة الضعف لشيخوخه فلا يخرج من غرفته الا اذراً  
قال الا نظف يخرج في صباح الغد اذا توسلنا اليه ان يرافقنا الى الصومعة وينص  
شعر غلامنا

قال لا اعلم ولكن عدنا من الرهبان والقمص كثيرين يفعلون ذلك  
قال صدقت ولكنني افضل ذلك الراهب الشيخ لاني اعرفه  
قال هلم بنا اليه نسأله فعماء ان يرضى

وسارا الى غرفة من غرف الدير مقلقة الباب فقرعاه وانتظرا ربنا ينهض الشيخ  
لنقوه وبعد هنيهة فتح الباب وبان من وراءه شيخ هرم قد ابيض شعره باضاً ناصعاً  
واستسلم من رأسه ولحيته وحاجبيه وشاربه حتى لا تكاد ترى من جاد وجهه الا بعض  
وجنبه وقد تجعدتا وثقلت جبهة وبرزانه اعقف واحدودب ظهره حتى لا يستطيع  
النظر الى واقف امامه الا بمجهود وعناية فتقدم الشيخ وبك الواحدة على الباب وبك  
الاخرى يتوكأ بها على عصا قديمة العهد ربما رافقته في صباه وقد قض عليها تامل  
لم تترك الشيخوخة عليها لحماً فلصق الجلد بالعظم حتى كان اعرض ما في الكف عند  
الامشاط عند اتصالها بالاصابع

فلما فتح الباب رفع الشيخ نظره وحدق بزاثيره وكان قد عرف الرئيس من  
جمل قبايقه ولكنه لم يعرف رفيقه فظفر اليه بنظر التامل وشعر حاجبيه المسترسل  
يجذب معظم النظر عة فارسل بك يرفع بها شعر الحاجبين وهي ترتعش لضعف  
الشيخوخة فانتدبه عبدالله بالسلام وهم يتقبل بك فعرفة الراهب فقال اهلاً  
بولدنا الامير عبدالله ابن الوطن العزيز تفصل يا ولدي ادخل - فدخل ودخل  
الرئيس معه وجلس كل منهما على وسادة وهما لا يحسمان على فتح الحديث احتراماً  
لشيخوخة الراهب

ثم تكلم الرئيس فقال ان ولدكم الامير عبدالله يلتمس حضوركم الاحتمال نص  
شعر اسو وفاء لنذر نذره منذ نضع وعشرين سنة

فتأمل الشيخ رمة ثم رفع نظره الى عبدالله بفئة والثور يسمعت من حديثه في  
خلال شعر الحاجبين كأن الزمن لم يؤثر على حديثها وقال ما اسم غلامكم  
قال حماد

قال نعم حماد اذكر اني رأيت في الصومعة مذ عامين واخبرني انه جاء لنص  
شعر وكان يوم الثمانين قريباً ألم غفل النذر بعد  
قال لا يا مولاي لم نستطع ذلك لاسباب فرقت بيننا اعلماً فلما اجتمعنا جئنا  
ليني النذر فهل تريد ان يكون وفاءه على يدك  
قال انني شبح ضعيف لا استطيع الوقوف لتادية الفروض اللازمة انشاء  
الصلاة

قال يؤذيها التيس وتكون است معنا بعد الصلاة فتفردا ما وانت وحماد  
لكلام اقصة عليكما  
قال حسناً يا ولدي ومتى يكون ذلك  
قال غداً صباحاً ان شاء الله  
قال سلتني اذاً صباح الغد في الصومعة قال ذاك وهو يتلاهي بمسبحته وبداء  
ترجمان

ثم نهض عبد الله فودع الراهب وخرج تَوّاً الى غرفته وجلس ينتظر عودة حماد  
وكان حماد يخلف الى صرح القدير مراراً في الاسبوع ينتفع بروية هند فينضي  
النهار عددها مع والدتها واحياناً لسان وقد شعر ان ملاك المعادة بمحرمه وخصوصاً  
بعد ما قصة عليه جلة ما ينوبه له في مستقبل حياته واصبح لا مَ له الا يجي يوم الثمانين  
ليني النذر ويقترب بهد على انه كان اذا جلس اليها ودار الحديث بينها نسي النذور  
وغفل عن مستقبل الايام . اما والله فلم يجمع بجلة وكان حماد يلتمس ذلك منه  
احياناً فيقتل اعذاراً يتخلص بها من المسير

فلما كان آخر يوم كما قدمنا عاد عبد الله الى غرفته وجلس ينتظر حماداً وكان  
قد سار الى صرح القدير في صباح ذلك اليوم وسلمان معه فعاد في الاصيل على فرسه  
وسلمان وراءه على فرس آخر فلما وصلا الدبر ترجلا ودخلا وما يتوقعان ان يكون  
عبد الله في انتظارها فرحب بحمد وقال له الا تعلم يا ولدي ان غداً يوم الثمانين  
قال نعم يا ابناء والي في استعداد لوفاء النذر  
قال جعله الله نذراً مقبلاً . وقد خاطبت الراهب الشيخ الذي كان يجلس في  
صومعة مجبراً هل تذكر

قال نعم اذكر اني جلست اليوم وقص عليّ خبر الراهب مجبرا استاذ  
قال قد خاطبت في ان يقص شعرك ويسمع ما اتلو عليك بعد ذلك  
وكان سلمان لا يزال واقفاً بالقرب من الباب يصلح كوفيته وعقاله وكان قد  
انحلاً وهو يقول عن جواده فلما سمع ما قاله عبد الله تقدم نحوه ونظر اليه قائلاً لا  
تظن خادمك - لان يستحق الاطلاع على هذا المراهباً  
قال بلى انك اولي الناس بذلك وستكون انت ايضاً معنا  
وقضوا بقية ذلك اليوم بعدون انفسهم وخصوصاً عبد الله فانه مال الى الافراد  
بعد بعض الثياب

وفي صباح اليوم التالي - ارادوا الى الصومعة ما كراً فراءها مضطربة بالشموع وهي  
كما تعلم عبارة عن غرفة كل من جدرانها الاربعة حجر واحد والسقف حجر والارض  
حجر وبابها حجر واحد يفتح ويغلق<sup>(١)</sup> وهذا هو شأن ابنة حوران حتى الآن نظراً  
لكثرة صنورها وقلة خشبها فهيون البيوت من الحجر ويعملون دفر نوا هذا وابوابها  
وسقوفها من الحجر ايضاً

فدخلوا الصومعة فراء الراهب، الشيخ ومعه قميص آخر، وشاس فلما اجتمعوا  
جميعاً اخذوا في الصلاة فاحرقوا البخور وحلوا شعر حماد حتى استرسل على ظهره وكنيتو  
وطافوا به بالترانيم والتسابيح على جاري العادة والنفس يحملون الصليبان والمباخر  
يتغنون حتى تمت الصلاة وقراءت الفصول من الكتاب المقدس وكان الراهب قد نصب  
فجلس على مقعد الحجرى ليرتاج فلما انتضت الصلاة تقدم نحوه واعطوه مقراضاً ودنا  
حماد منه وشعره بجللة فدنا الراهب به وامسك خصلة من شعره وبارك وقصها اشارة  
الى وفاء النذر وفي الشعر مسترسلاً على نية ان يقصه عند عودته الى المنزل

فلما انتضى الاحتفال اشار عبد الله الى الراهب انه يريد الخلوة فاعز الى الحضور  
فخرجوا وبقي هو وعبد الله وحماد وسلمان وطابت الشموع ولم يبق من الانوار الا  
مصابيح الزيت المعلقة امام الابقونات فاشار عبد الله الى سلمان ان اغلق الباب فهم  
باغلاقه وهو لا يحسب نفسه قادراً على ذلك لصغامتو فاذا هو طوع به لان لاهل  
حوران صناعة دقيقة في تركيب تلك الابواب حتى تغلق بسهولة<sup>(٢)</sup>

فلما أغلق الباب وضعف الورد أحصل ما انقطاعهم عن عالم الاحياء وخيل لهم انهم في عالم آخر وخلق قلب حماد نطالما لا يسمعه من غريب الاحاديث . فترع عبدالله جبنه وتم بصرة كانت معه فتمها واستخرج منها رداء مزركشا يدبى الطيلسان كان قد اذخر واحتفظ به . منذ اعوام فة لمه ثم بسطه وجعله على كتفيه ونشر على الارض امام مجلس الراهب جلدا جثا عليه وجلس حماد وسلمان امامه والجميع سكوت براعون حركات عبدالله وسكاته ويتظرون ما يدومنه

## الفصل الستون

### \* كشف السر \*

فلما استتب بهم الجلوس التفت عبدالله الى الراهب وقال اعلم يا مولاي اننا الآن في بيت الله وقد اجتمعنا فيو لعل مقدس فلا يعلم بما سيدور بيننا الا الله وحده وساقص عليكم حكاية اوتعت عليها منذ نضع وعشرين سنة فارجو ان تصغى اليه حتى آتي على آخرها . وتي فرغت منها التمس منكم كتمانها عن اهل الارض كافة فهل نعاهدوني على ذلك

قال الراهب نعم يا ولدي ان سرك لن يتجاوز جدران هذه الصومعة قال التمس من قدسكم ان تملوا علينا الصلاة الربانية قبل الشروع في الكلام وليقسم كل منا بكتمان هذا السر عن البشر كافة

فقال الراهب « اباا الذي في السموات امخ » واقسم كل منهم بالصليب والمعمودية بكتمان ما سيتلى عليهم

ولما تم القسم بطروا الى عبدالله فاذا هو يتأدب في فعوده كانه في مجلس رهيب وقد امتنع لونه فها هو منظره . وما زادهم حية ضلالة الانوار واختلاؤهم في ذلك المكان فظفر عبدالله الى حماد ووجه الخطاب اليه قائلاً

تعلما يا ولدي ان العرب يرجعون في انسابهم الى اصلين كبيرين هما قحطان واسماعيل ومن نسل قحطان غمرت اليمن وما جاورها ومن نسل اسماعيل غمرت الحجاز وما جاورها ويسمى نسل اسماعيل الاسماعيليه او العدنانية نسبة الى جد من اجدادهم بعد اسماعيل اسمه عدنان ويسمى بقحطان القحطانية

وقد قامت من القحطانية دول . ملكت الحاققين منهم التابعة المشهورين وغيرهم من دول حمير وسبأ . ومن مملكة سبأ خرجت ملكة سبأ التي ذكرت التوراة انها زارت الملك سليمان وما زالت اليمن عامرة آهلة حتى حدث سيل العرم (١) ففرق اهلها ايدي سبأ . انعرفون ما هو سيل العرم

قال حماد لا يا أبتاه لا اعرفه

قال عبد الله اعلم يا ولدي ان اليمن وسائر جزيرة العرب ارض تملؤها الانهر والينابيع واعتماد الناس في ري مزارعهم انما هو على مياه المطر فانها تجتمع في مجاري الاودية وتسيل كالانهر فادا انقضى الشتاء جف معظمها فخلافة لذلك كانوا يجعلون في عرض الاودية سدودا من حجر تعترض مسير الماء فيجتمع ويرتفع حتى يسقي اعالي الارض

وكان من تلك السدود في اليمن سد كبير يقال له العرم ساء ملوك اليمن قديما بحجارة ضخمة متمسكة بالفاروق ويوق خروق يصرفون منها الماء على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم وكانت له حطة يقومون بتعمير وتوزيع مياهها فتفادهم عهد حتى تصدع وخيف سقوطه . وعرب اليمن اذ ذاك بنو كهلان بن سبا من القحطانية

وكانت دولتهم قد ضعفت واخذت نظامها واآلت الى الضعف فاهمل امر السد وقلت المحافظة عليه فظهر به الخطر اولاً فاولاً مخاف الناس تهدمة بغنة لتلا سيل الماء عليهم فيغرقهم ويحرب منازلهم فاخذوا يتزحون احياء وبطوناً وبقيت منهم بقية اصحلت ذات اليوم وقد اسبح السد وطافت المياه فاغرقت بعضهم ونجا البعض وتفرقوا في البلاد وسعى ذلك الميل - سيل العرم (٢) وكان ذلك منذ ستمئة سنة او اكثر وكان السامعون مصفين لاستماع حديث عبد الله وهم لا يرون فيه ما يوجب

(١) ابن خلدون (٢) الطبري

الممارسة ففعلوا لذلك ولكنهم صدموا انفسهم ليرى ما يكون بعد فادرك عد الله ضائهم فقال لم لا ترون في حديثي ما كنتم تتوقعونه من الالباء المهمة فاني انما اقص عليكم اخباراً متناقضة على السنة الناس ولكني اردت ان اسطركم اصل نسب ملوك الحيرة المقيمين في العراق ثم انطرق من ذلك الى كشف السر فاهلوني ولا تملوا

## الفصل الحادي والستون

### ❖ ملوك الحيرة ❖

قلت لكم ان بني كهلان تتركوا قبيل سبل العرم ويعدوكم الى احياء عديدة تذكر منها ثلاثة هي لحم والازد وطلي اما لحم فهم اجدادنا الذين اقاموا في العراق ومنهم الماذرة ملوك الحيرة ( قال ذلك وتهد ) ولما الازد فتحهم سوغمان عرب هذه البلاد اما طلي فاقاموا بجند وكنجاز في جيلي اجدنا وسلمي

فصر حماداً ان يكون بين اللخمين والغساسيين قرابة ولكن ما زال غلقاً للوصول الى آخر الحديث وكذلك سلمان اما الراهب فكان اقلها ثقة واشتقاقاً كان الشيخوخة وكثرة الاختبار علماء الاستخفاف بمحدث الزمان وصلأعن ان ما قصة عبد الله عليهم الى ذلك الحين لم يكن بالشئ المجهول عنه

اما عبد الله فانه اتم الحديث قائلاً علمتم ان ملوك الحيرة لحيمون يتصل نسبهم بكهلان بن سبا من عرب اليمن القططانية فنزل بنو لحم العراق واقاموا فيه مدة على حالهم من البداءة طول من حكم العراق من العرب قوم من حي يقال له دوس وهو بطن من الازد وهم اقرب نسباً الى الغساسيين منهم النبا ولم تقص مدة حتى تغلب اجدادنا عليهم ومالكى العراق تحت رعاية ملوك الدرس على مثال مام عايه الآن واتخذوا مدينة الحيرة كرسياً لملكهم وسموا الماذرة جمع ( المنذر ) وهو لقب ملوك العراق كما تطلقون ولا اطيل الكلام عليكم خوف الملل فاقول باختصار انما تعالى على كرسي الحيرة بضعة عشر ملكاً اشهرهم امرؤ القيس بن عمرو وما يؤثر من فضله ان اللخمين لما قدموا

من اليمن كانوا على عباده الاوثان فلما ملكوا وخالطوا الرمان واهل الصراية تصروا  
 ولول من تصر من ملوكهم امرؤ العيس هذا<sup>(١)</sup> ثم ملك النعمان بن امرئ العيس ويقال  
 له الاعور وهذا الذي يصرين المشهورين (الخوارج والسدير) ومن غريب امر  
 انه لما عظم ملكه وامتلات عماره من خيرات الارض مال الى الزهد فترك الملك  
 وتسك<sup>(٢)</sup> . وملك بعد المذرم الاسود وهذا حارب اصحابنا الغساسين منذ سنة  
 وخمسين عاماً واسرع من ملوكهم وكان ذلك سبب عداوة مستمرة فيما بيننا  
 وبينهم<sup>(٣)</sup> . وتولى بعد الاسود ملوك كثير من المذرمين ماء السماء وكان معاصراً  
 لكسرى او شروان ملك الدرس المشهور وله معه وقائع وحوادث بطول شرحها  
 فلتتركها وننقل الى آخر ملوك الحيرة النعمان بن المذرم .  
 فلما ذكر اسم المذرمه الراهب قائلاً اظنك تعني ابا قابوس

قال نعم انه كان يلقب ابا قابوس

قال الراهب هذا الذي قتله كسرى رويرو سبقتلو صارت واقعة ذي قار<sup>(٤)</sup>  
 وقد كنت شأنا وشهدت هذه الحوادث وكنت اعرف الملك النعمان هذا رحمة الله ولي  
 معه حديث طويل

## الفصل الثاني والستون

### مقتل النعمان بن المذرم

فتنه عبد الله وهو يعتدل في عجله ويصلح الرداء على كتفيه وقال قد وصلنا الى  
 المراد من حديثي فارعو في السمع لانص عليكم غرائب ما اعله عن هذا الملك . قال  
 ذلك وشرق بدموعه خلسة ولولا ضعف النور لظهر الدمع متلألئاً في عينيه ولكه  
 تجلج واعاد الحديث فقال

ان الملك النعمان هذا لا احتاج في وصفه الى تطويل ولكم يعرفه الأحاديث  
 وبكفي في وصفه انه شهم شجاع صادق وقد اعاد الصراية الى الملك<sup>(٥)</sup> بعد ان فسدت

(١) ابن خلدون (٢) ابو العلاء (٣) ابن خلدون (٤) الطبري (٥) ابو الفداء



وأدبها أسلافة بالوتية<sup>(١)</sup>. ولا تنفخ لكم دغيلة حديثي إلا إذا ذكرت لكم كعبة نولي  
البحان الملك . فقد كان أبوه المندر ملكاً قديماً وكان في بلاط كسرى على عهد رجل  
عدياني اسمه عدي بن زيد كان يحسن العربية والعربية وكانت له منزلة كبرى  
وسود لدى كسرى وكان تمام كسرى في المائتين والمندر في الحيرة كما تعلمون . وكان  
للمندر ١٢ ولداً أحدهم البهان الذي نحن في صدره وكان قد ربي في حجر عدي بن  
زيد ورضع في أهله<sup>(٢)</sup> وكان من أسماء المندر أيضاً فتى اسمه الأسود رماه قوم من  
أهل الحيرة يقال لم سومر بنا ينسبون إلى لحم

فلما مات المندر خاطب كسرى عدياني من يلي الحيرة معه وقال له « اني أرى ان  
أخرج الملك من أيدي هؤلاء وأجعلهم في يدي واحد من خاصتي فهل بين أولاد  
المندر من يصلح للملك » قال عدي انهم بضعة عشر رجلاً كلهم أشداه فإذا امر  
مولاي جئته بهم قال اني بهم . فعث يستقدمهم وفي ذلك ان يسأل سبيل الملك إلى  
البهان رآه ربي عنده فحلباً وقبل اجتماعهم وأمر البهواشياء بقولها في حضرة كسرى  
فعمل ونولي الملك ففنى ذلك على ابن مربي لأنه كان يرجو ان يكون الملك للأسود  
التماساً للنفوذ على يد . فاخذ يجرض الأسود على الانتقام من عدي يدعو انه عدياني  
( اي من نسل عدنان وبين القطامي والعدامية مناظره ) فوافقه وسلم التصرف في  
ذلك اليه فجعل ابن مربي يقترب من البهان بالهدايا والغف وبشيء بعدتي فيذكره  
بالخير وينطاطأ وبعض الحضور على الطعن فيه فيروون عن لهامو انه يقول بان  
البنهان تحت امره وأنه هو الذي ولأه الملك وما زالوا كذلك حتى اضغنوه عليه . فعث  
البنهان إلى عدي يدعو إلى زيارته فجاء وفي حال وصوله امر بسجوه في مكان خارج  
الحيرة لا يدخل عليه هو احد فعلم عدي انها وشاية فجعل يكتب إلى البهان يستعطفه  
نظراً وشراً فلم يجد ذلك نهياً فكتب إلى اخ له اسمه أبي يجرضه على ان ياتاه فقام أبي إلى  
كسرى وأبناه معه فكتب إلى البهان في اطلاقه فجاء أعداء عدي واكثرهم من بني  
بقيلة واصحابهم من عرب غسان<sup>(٣)</sup> أهل هذه الديار وحرصوا البهان رحمة الله على  
الملك بعدتي قبل وصول كتاب كسرى اليه وحدثوا له ذلك بمجلة بطول شرحها  
وكان الرسول قد مر قبل وصوله إلى الحيرة بسجن عدي واخذ كتاب كسرى ثم

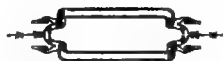
خرج من عند الى النعمان وفي اثناء ذلك ارسل النعمان الى عدي اماًساً فقلوه فلما قضى كتاب كسرى كتب اليه ان عدياً مات . ولكن النعمان ما لست ان عرف انه اساء عدياً فقدم وماصدق ان لقي ولداً من اولاده اسمع زيد بن عدي حتى هم ما كرام وورفع شانه تكفيراً عما فرط منه بشان والده واوصى بوكسرى فحمله في منزله والذ عدي<sup>(١)</sup> فلم يقتل اهل الوشاية عن اطلاع زيد على كيفية قتل ابيو فخذها على النعمان وسعى ضده لدى كسرى بحيلة غريبة . وذلك ان الاكاسرة كانوا يعنون الى ايلانهم يطلبون نساء لم على اوصاف مخصوصة ولكنهم لم يكونوا يلتمسون ذلك من احباء العرب لعلمهم بخلافهم بكرائهم . فقال زيد لكسرى من ان في الحيرة نساء جمعن كل اوصاف الجمال فاذا بعثت الى النعمان ارسل اليك منهم . وكان زيد يعلم ان النعمان لن يرضى بذلك فوقع الذنابور بينه وبين كسرى فانهذ كسرى رسولاً ومعه زيد الى النعمان فاخبره بطلب كسرى فغضب ذلك عليه فالتفت الى زيد وقال له « اما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ كسرى به حاجته ان الذي طلب كسرى ليس غدي » قال الرسول لزيد بالارسة ما معنى الما والعين » قال « الذر »

فلما رجعا الى كسرى اخبراه بما قال النعمان واقعاه انه اما اراد الحط من منزله كسرى بقوله « اليس في شر الفرس ما يكفيو » فغضب كسرى غضباً شديداً ولكنه كتم ذلك والنعمان قد شعر بفضوه فاخذ يستعد ويتوقع حتى اتاه كتاب كسرى يستفده اليه فعلم انه اذا بدعوه لملتقوا فحمل سلاحة واملة والنس الفرار . وكنت انا من لازم النعمان زماناً وكان يستأنس لي ويرتاح الى رفقتي فقال لي كيف انت يا عبدالله قلت ابي يا مولاي لاحقك بك ابنا توجهت فقال ان في ذلك خطراً عليك قلت ما انا باحرص على نفسي مني على نفس مولاي النعمان فقال نورك فبك . فصبرته من ذلك اليوم وسرنا حتى اتينا قبياه طي في اعالي نجد وكان النعمان قد تزوج منهم فطلب ان يجمعوه بين المجلين ( اجاوسلى ) فقالوا « لا يكاد ذلك ولولا صهرك لقتلناك فانه لا حاجة بنا الى معاداة كسرى »

فتركناهم وسرنا الى قبائل اخرى فلم يقبلنا احد منهم خوفاً من كسرى حتى لقينا رجلاً من قبيلة بكر بن وائل اسمه هاني بن مسعود<sup>(٢)</sup> وكان سيداً مبيعاً وكان للنعمان

فضل عليه فقال له « اني مانعك ما امتنع نفسي واهلي وولدي منه ما بقي من عذيرتي الا دينين رجل ولكني لا ارى ذلك نافعا لك لانه مهلكي ومهلكك فاذا اذنت لي فاني مشير عليك . الذهاب الى كسرى مستعظما واحمل اليه الهدايا فاذا صبح عنك عدت ملكا والا فالموت خبرك من ان يتلاعب بك صعايلك العرب » فاستحسن مولاي العمان الرأي ولكنه قال ما افعل بحرمي قال هاتي « هن » في ذمتي لا يخلص اليهن حتى يخلص الى باقي » فقبل العمان بذلك وانا خائف من عاقبة الامر وقد حدثني نفسي في صدمه عن الذهاب فلم اجسر لاني شاهدت وجهه وكانت ابرش احمر كما تعلمون <sup>(١)</sup> قد امتنع حتى صار كمن اصابه اليرقان وبهض وقد هله الا وركبيرا وجعل يحطر ذهنا وابايا وقصر قامتو ظاهر وهو ينزل شاربو الاشقرين كانه خائف من الذهاب وكان ضميمه دليلا

ثم فكر قليلا وقال له اني اري يا اخا بكر ان ارسل الى كسرى هدايا فان قبلها سررت اليه فقال هاتي ام الرأي رايت مارسلها اليه فقبلها كسرى خداعا منه فبجته الله . فهم ولاي العمان بالسير فقلت اني سائر معك والله لا ارحك لحظة فقال اري ان نفي عد نسايتي خبر من ان نذهب معي قلت اني فاعل ما تريد ولكني اري النماء آمنت في حبي هاتي من مسعود فاذن بذهاتي معك فاذن وكان نفسي حدثني بخاطر قريب فسرنا حتى اتينا المدائن فلقينا زيد بن عدي فتشاورت رؤيتو وتحققت سوء قصده وكنت مريبا في ذلك لانه لم يكن يلقانا حتى قال العمان « اتبع نعيم ان استطعت الخلاء » فقال العمان « فعلتها يا زيد فوالله ان عشت لاقولك قتلة لم يقتلها عربي قط ولا حلفك نابك » فصحك زيد لوعة الله وتوعد فعلنا انها حيلة اعدالة ونحفي العمان ان الساعة قد دنت وان القضاء وانفع لا مفر منه . فلما وصل الى كسرى أبر فبديته وبعثوا به الى سجن في خاتنين <sup>(٢)</sup> وكنت اتردد اليه في السجن خلصة ولما ارجو الامراج عنه اما هو فلم يكن يرجو نجاة



## الفصل الثالث والستون

### ﴿ السر ﴾

وسرّ اليه ذات يوم صباحاً فرأيت قد تغير حاله ولمنفع لونه كأنه يخاف من امر قريب ولا انسى منظره الرهيب في ذلك اليوم فوفقت اعظم امر فقال لي يا عبد الله قلت لك يا مولاي

قال ارى ان اسر اليك امراً فهل تعاهدني على حفظه قلت كيف لا

فدّ بك واعطاني هذا الرداء المزركش ( قال عبد الله ذلك ورمع الرداء عن كتفيه ووضعه امامه ) فاحذنه منه ثم استخرج من بك خاتماً عليه اسم واقبه وهو هذا ( ودّ عبد الله بك واستخرج الخاتم من جيبه ووضعه على الرداء ) وكان الحضور شاخصين بحسون انفسهم اصفاء لما سيقوله عبد الله وتوقعاً للخطر القريب . وكان عبد الله قد تغيرت سمته واخفق صوته وتخلله ارتعاش زاد الحضور بهماً

ثم قال فلما تناولت الخاتم قال لي العمان اعلم يا عبد الله اني في هذا السجن حتى ينتضي اجلي فيخرج ملك الحيرة من ايدي اللخبين لان عدياً هذا سيذل جهك في اذلاله خوفاً من ينتقم لي ولا اعرف من اولادي من يصلح لرفع هذا المارعا ولكن بين اهلي عند هاني بن مسعود زوجتي سمية وهي حامل وسناد قريباً فاذهب اليها بهذا الخاتم وهذا الرداء وقل لها ان هي وضعت غلاماً ان تعهد اليك تربيته فتربو تربية رجال القتال حتى يشبّ شهياً حراً واحذر ان تنص شعراً او تنص عن نصو قبل الحادية والعشرين من عمره فاذا بلغها قص شعري في دهر بحيرا . واخبره عن نصو والبهمة هذا الرداء وهذا الخاتم . . . »

ولم يكذب عبد الله كلامه حتى استولت البغته على الحضور وخصوصاً حماد اذ خيل له انه في حلم وساعده على ذلك الوم ضعف الدور وهذا المكان وكان لا يرددون انفسهم الا وهم يمجذرون ان تنص حديث عبد الله فلما وصل الى هذا الحد تحققت ان حماداً هو ابن الملك العماني فجلسوا ينظرون اليه نظرة الاحترام . اما عبد الله فحالما بلغ اليه قوله « والبهمة هذا الرداء وهذا الخاتم » وقف على قدميه وجعل الرداء على

كتبني حماد والحام في اصبعي وامسكت بيدي وامهضة واجلسه على المقعد الحجري وممّ يتقبل به  
فنجعل حماد وجذب بيده منه فقال له عبد الله لا تجعل يا مولاي انك الآن سبدي  
ابن الملك العمان وقد انضى زمن والدية عبد الله . فجلس حماد على المقعد وجلس  
عبد الله بين يديه وممّ سلمان بيد حماد فقبلها وتأدب في مجلسه وهو يقول « والله كنت  
ارى هيبة الملوك على وجهي من يوم عرفته »

١.١ الراحب فانه على عجزه وقف ورفع يده فوق رأس حماد وباركه ودعا له  
بطول البقاء وقدر رأسه . كل ذلك وحماد بحسب نفسه في حلم ولكنه فرح كثيراً  
بما علمه من نسو وودّ لو ان هذا حاضرة فتسمع ذلك فتفرح معه وتقبل له ان  
سمعك قد تمّ لانه ملك وسيفترن بملكه وبرك ملك غسان . وفيما هو يتكلم في ذلك  
نهض عبد الله فقال لم يتم حديثي بعد هل نسعون الى آخره

قال نعم

فمضى به الى جيو واستخرج الاسطوانة من النصة نحن الاصع وخاطب حماداً قائلاً  
وقد اعطاني مولاي العمان هذه الاسطوانة واسئلتني ان اسلمها اليك مخنونة بعد اتمام  
الخبر فتعفيها في هذا الدبر ونقرأ ما فيها ونعمل به

فمضى حماد به فتناول الاسطوانة وممّ تتفحصها فامسكه عبد الله وقال لا تتعل قبل  
اتمام الحديث

قال تنزل

فقال عبد الله : فلما أتم العمان وصيه بكى وبكى وكنتي كنت أحسن الدع  
تشيحاً له . فقال « اعلم يا عبد الله ان القضاء واقع قريباً فاحفظ بهذا العرحي يأت  
وقته اما اذا اخرجت من هذا السجن وعشت فللهالة وجه آخر » . والاسف  
يا سبدي انه لم يخرج من ذلك السجن فوفاه القدر فتوفي بداء الطاعون <sup>(١)</sup> قال  
ذلك وتهدد بالدموع وله عذوب فنهض الجميع ثم قال

اما انا صرت الى ماني واقيت والدتك سبية وكانت حاملاً فاسررت اليها ما كان  
فاطاعت فانتظرت ربيما وضعت واكنها وأسفاه عليها لم تعش بعد الولادة الا قليلاً  
فحملتك الى اهلي وارضعك منهم حتى شبت على ما ترى

## الفصل الرابع والستون

### وقعة ذي قار

ولعلك تسألني عاتم من امر ودیعة والدك فاخبرك يا مولاي ان كسرى علم بعد وفاة سيدي النعمان ان اهله وماله وسلاحه عند هاني وفيه اربعة آلاف شكة والشكة سلاح الفارس كله <sup>(١)</sup> فكذب كسرى الى هاني بان يبعث الودیعة اليه فابي ذلك محافظة على العهد ورعاية للذمام وكان لكسرى عامل على عين التمر وما ولاها الى الحيرة اسمع اياس بن قبيصة الطائي فدعا به اليه فجاهه برجاله فاستشاره في الفارة على بكر بن وائل فاشار عليه ان يفعل فعقد كسرى لاياس بن قبيصة على كيتبي والدك وهما الشهاب والدوسر <sup>(٢)</sup> وارسل معه جندا آخر بقيادة رجال من الفرس فكانت حملة تزعزع الجبال وفيها من الخيل والجبال والموتنة والعدا مالا يحصى فلما سمع هاني من مسعود بها سار رجاله للملاقاة فالتفوا في محل يقال ذو قار وكانت فيه وقعة عرفت بوقعة ذي قار بين الفرس والعرب اشتهر امرها في الاقطار وكانت الغلبة فيها لهاني ورجالو فاتهم هزموا الفرس شر هزيمة وهي اعظم وقعة انتصف فيها العرب من العجم قبل الاسلام <sup>(٣)</sup> وفر اياس الى كسرى فسأله عن الخبر فقال غلبت بكر بن وائل وجننا اليك بنسائهم ففرح كسرى به وامر له بكسوة ولكن اياسا خاف افنضاج امره قريبا فاستأذن بالذهاب الى اهله فاذن له فاصرف الى عين التمر ثم جاء رجل من اهل الحيرة الى كسرى وحدثه بهزيمة القوم فغضب منه كسرى فامر فنزعت كفتاه ولم يصدق الا اياسا فولى اياسا الحيرة <sup>(٤)</sup> كما تعلمون وقد ولي بعد رجل فارسي آخر ثم ولها احد اخوتك المندر الغرور وهي الآن في ولاية اياس بن قبيصة <sup>(٥)</sup> ولا تزال الودیعة عند هاني بعضها او كلها

وكان حماد قد ملّ الانتظار تشوقا الى ما في تلك الاسطوانات فلما فرغ عبد الله

(١) ابن خلدون (٢) الاتالي (٣) الاتالي (٤) الاتالي جز ثاني : ويقول الطبري ان كسرى ولي اياسا الحيرة عد وفاة النعمان (٥) ابن خلدون

من حديثه نهض وقد اعياه التعب لثقة تأثره وذكرى مدائنه وقال لحماة التي  
 يا مولاي بالاسطوانة فدفعها اليه فالتبس من الراحب ان يشاركها قبل الفخ فشاركها فوقها  
 جميعاً وتناول عبد الله الاسطوانة وعالجها بمديّة حتى انتهت فدسا من مصباح منير يجاب  
 ايقونة ونظر الى ما في الاسطوانة وكلهم يتناولون من حيد وورائهم يطرون معه  
 فاذا فيها لثافة من جلد فاستخرجها وبشرها بين يديه فرأى عليها كتابة بالاحرف  
 الاسطرنجيلية وهي كتابة اهل العراق الى ذلك الحين فتحصت ابصارهم الى ما فيها فاخذ  
 عبد الله يتلوها عليهم وهم يسمعون وهاك نصها :

” من التبعان ريل دار النقاء الى اسو المذرم المقيم بين الاحياء . اما بعد هذا  
 كتاب كتبه واي عالم الوجود مات في دار النقاء وستقرأ بعد رجوعي الى عالم  
 الغيب وروزك في عالم الاحياء . فاذا قرأته وقد وفيت تدرك وعرفت حقيقة نسك  
 فاعلم ان عظامي تدليك من طلبة النور وتغسل بك بشرف اجدادك المأذرة من آكل لحم  
 ان لا تقرب امرأة ولا تشرب حمراً حتى تنتم لانيك من اكاسرة اليرس فاذا فعلت ذلك  
 فانيك مبارك است ونسلك . وان لم تفعل فان رفاقي نزعتم حتماً ونسي تنألم وهي  
 نزار انيك من مساند الكثرة تراقب حركاتك وسمعي واباك موتف تحاسب فيه  
 والسلام “

فلم يكده حماد يأتي على خاتمة الكتاب حتى ارتعدت فرائضه في ارتعاد وقد رأى  
 مساعيه كلها داهية ادراج الرياح على ارغمية من الحوة . الثانية نارت فيه والحقوة  
 هاجت في رأسه وشعر مدافع يدعته الى الاخذ سار والمك من اكاسرة اليرس وقد  
 استعظم المشروع وهالة الاقدام عابه فوقف مبهوئاً لا يبس سميت شدة  
 فغضر عبد الله اليه يتعمر ما يدومنه فلما رآه صابراً قال له هذا هو المر ياسيدي  
 قد اطلعت عليه فالتفت عن عاتقي حملاً حليماً بينا وعترت عاتماً ولما اخاف ان اقضي  
 نحيبي قبل افضائي فاضطر في ماذا تفعل

فقال حماد لقد التفت عليك حملاً اثقتني ووارجو ان اتوفى للقيام بها عيود  
 اليه والله مغيدي ونصيري . قال ذلك وتحنن للفرج من الصويرة فاقوة عبد الله  
 والتبس من الراحب ان يختم حديثهم بالصلاة فصرع الى الله ان يساعدهم  
 على كتمان الامر ثم خرجوا وكان على رؤوسهم الطير لمول ما سمعوه وراوه . واكثرهم

بغته وإنها لا حماد لانه اصح لا يدري ماذا يعمل أسير الى هدى يظلمها على سره وليس في ذلك السر إلا ما يوجب كدرها لانه حائل بينها وبين الاقتران الى اجل غير معين وإن يكن في اطلاعها على حقيقة نسب حماد امر يسرها . أم يحاطب حلة بالامر لعله يتبر عليه أو يخذل . أم يأم العراق فينزل المدائن ساعياً في الانتقام من كمرى . فلما فكر في مسيره الى هناك تهيب لعلو بما يحول بينه وبين ذلك المرمى من العقبات فان الأكاسرة ذورنطنس ومبعة . فسار الى الديروفتى ليته ساهراً لعمم تأثر وهو يفكر في طريقة تهون عليه المشاكل

## الفصل الخامس والستون

### ❖ دولة الفرس ❖

ما رحلت الفرس من قديم الزمان تحت سلطة مملكة اشور حتى تولى هذه المملكة الملك سددسول في القرن الثامن قبل الميلاد وما حكومتها وأسفل عن سياسة ملكيها بحالسة النساء واللبو على اتباعه فابقت الرعية وودت لخنس مة فانتق كديرا من قواده على اخراج الملك من يد وهما اراسيس قائد عسكر مادي وويليزيس قائد جد نابل فاتحدا على العصيان وحاربا ملكهم محصرا في بينوى فلما أيقن المهلاك احرق قصره بما فيه من المال والباس وهو في حملتهم سنة ٧٦ ق م وهكذا انقضت مملكة اشور الاولى وقامت مملكة مادي وفارس وملكها اراسيس وتوالى الملوك من بعده وفيهم المعادلون والمدرون أو الجتهلاء والظالمون ومن اشهرهم كورش العظيم صاحب الفروايت المشهورة قاتل نابل وما بين النهرين واربمبيا وسوريا واسيا الصغرى وجايبا من بلاد العرب وتولى بعده اسم كبير فتح مصر على زمن الملك اماسيس من فراغة مصر ثم تولى داريوس ومن جاء بعده ولم يحسنوا السياسة فتفقرت المملكة واخذت احوالها . فلما ظهر اسكندر الاكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ضاع بلاد فارس فتحها وقهرها واستولى عليها ولكن عمر اسكندر لم يطل فمات وانقسم قواده مملكة فكانت بلاد فارس من نصيب سلوقس ولم يطل حكمه ففرا.



الفريثيون بقيادة ارساميس الاول وما رالت في حوزتهم خمماية سنة  
فأفد الرس من رصوخم للبر الاحبي فثاروا سنة ٢٢٦ م بقيادة رجل منهم  
اسمه اردشير فطرد الفريثيين وأسس دولة اشتهرت في التاريخ الفارسي في الدولة  
الساسانية ومنهم كسرى انوشروان الملقب بالملك العادل وهو اعظمهم وصار لفظ  
كسرى لفظاً لكل من ملك منهم فعرفت دولتهم بالملوك الاكاسرة  
وكان مقام الاكاسرة في المدائن وهي مدينة عظيمة على ضفاف الفرات فيها قصر  
عظيم طار ذكره في الآفاق سمي الابولان ويعرف بابولان كسرى

وحكم ( انوشروان ) ٤٨ سنة وخلعه ابنه هرمز وكانت امه ابنة ملك النتر  
واستأذه الحكيم رزشمهر وكان وزيره فسارت الاحكام في ايام هذا الحكيم على مثال  
ما كانت في زمن انوشروان فلما توفي رزشمهر انفس هرمز في التهورات واهل  
شؤون المملكة فعصاه الولاة وغراه ملك النتر فنصر قائده اسمعيل بهرام كان  
آية في الدهاء والذكاء فطرد النتر من البلاد ثم تحول الى محاربة الرومانيين فوشى  
بعض المقربين من البلاط الملوكي فظهر له هرمز بعض الاحفاد فاستشاط  
بهرام غيظاً وجاهر بعصيان الملك وخلعه وولى بهن ابنه كسرى برويز وكان صبيّاً  
صغيراً تساعد على قتل ابيه ببعض اقربائه فلما خلص الحكم له طبع بهرام بالملك ففرّ  
برويز من وجهه واستجار بملك الرومانيين في ذلك العهد واسمه الامبراطور موريس  
فانجحه ورد الملك اليه ففرّ بهرام الى بلاد النتر فاحسنوا وفادته ولكن الخيانة لحقته الى  
هناك فمات مسموماً

واستند كسرى برويز بالحكم وقد عقد النية على صداقة الامبراطور موريس لانه  
هو الذي رد الملك اليه فبالغ في اكرام الرومانيين في بلاده فلما مات صديقه المذكور  
عاد الى مناواة الروم فانار عليهم حرباً عواناً فغزا بلاد الشام ودخل بيت المقدس  
فمثر هناك على الصليب الذي يقال ان السيد المسيح صلب عليه وكانت في حفرة  
بصدوق من الذهب فحملته الى المدائن وكان برويز مع ذلك ملكاً خاملاً متراً منغمساً  
بالملاهي الى ما يعوق طور التصديق حتى قبل انه تزوج ١٢ الف امرأة واقضى خمسين  
الف حواد وهو الذي جاءه كتاب صاحب الشريعة الاسلامية الفراء بدعوه فيه الى  
الاسلام

كالكتاب الذي جاء الامبراطور هرقل في بيت المقدس فاحتقر برويز ذلك الكتاب واساء حاملاً

ثم مالت برويزان علم يعزم الامبراطور هرقل على اكتماح بلاده ولم يقو على دفعه فما زال هرقل هاجماً واعل انقري يفرون من اسامو حتى وصل المدائن ورويز لاه بقصر ونسائه فلما احسن مقرب الخطر من فقم على اوابه شيرويه فتتله وحكم مكانه سنة ٦٢٩ م ولكنه لم يحكم طويلاً فتتله سواء وسواء وفي سنة ٦٣٠ م تولى تخت مملكة الفرس فتاة من آل ساسان اسمها بوران دخت ابنة كسري برويز وفي ايامها هم هرقل على المدائن واسترجع الصليب منها وحمله الى القسطنطينية وحكمت بعدها اختها آرميدخت سنة ٦٤٢ م (١٠٠). واشتهرت بالجمال والنعزل وبانت مسومة ولها قصة بطول شرحها وملك بعدها ملكان لم يطل حكمهما واخبراً افضى الملك الى يزدجرد بن شهر بار بن كسري وفي ايامه فتح العرب بلاد فارس

## الفصل السادس والستون

### ﴿ المدائن ﴾

هي عاصمة اكاسرة الفرس ويسمى اليونان كتيسينون ويسمىها الطبري طيسون والغالب ان كتيسينون قسم من المدائن وكانت على مسافة عشرين ميلاً من بغداد جنوباً على الضفة الشرقية لدجلة يقابلها في الغرب بلدة اها كوش<sup>(١)</sup> يعتبرها بعضهم من ضواحي كتيسينون بينها جسر عظيم مبني من اسفن وكان يجوار ذلك المكان ايضاً آثار مدينة يونانية اسمها سلوقية نسبة الى سلوقوس خليفة الاسكندر هناك وقد سميت هذه الاماكن بجملة المدائن<sup>(٢)</sup> (جمع مدية) . واصل بناء المدائن الى كان في مكانها حصن كبير يسمى حصن كتيسينون كان البرطيون (الفرثيون) امان سلطاهم على العراق فيقيمون فيها ثناء الفتاة لصفاء ايو هناك وكان يجوار الحصن

(١) جينس (٢) المصم

مدينة سلوقية الشهيرة ثم اخلط بينون حول الحصن المنازل والمدائق فلم يأت تاريخ الميلاد المسيحي حتى ببيت هناك مدينة سميت باسم الحصن <sup>(١)</sup> كما جرت العادة في مثل هذه الحال وظلت المدائن مقام الأكاسرة في زمن الفناء . وكانت محاطة بسور منيع عليه الابراج والقلع يزيد مائة مياه دجلة من جهة والآجام والمنخفضات من الجهات الاخرى فاصبحت المدائن جزيرة في وسط المياه يستحيل وصول الاعداء اليها قبل ان تمزقهم نبال الفرس من الاسوار وقد كان بين دجلة والفرات جنوبي المدائن قناة موصلة بينهما اسمها نهر ملكا ومعناها بالكلدانية نهر الملك تسهل نقل السفن بين النهرين <sup>(٢)</sup>

وكان على ساحل المدائن عد دجلة سلمٌ ممتد بطول الضفة يصعد عليه الناس من النهر الى المدينة بدرجات متتالية مبنية من الحجر ويسمى هذا السلم باصطلاح اهل تلك البلاد « معاء »

وترس عند المصاة سفن الفرس مئات والوفاء حتى نخل سواربها غابة من الاعمدة تناطح السحاب والناس فيها جامات يتزاحمون بين صاعد ونازل وشكل السفن يديه شكلها في العراق الآن فانها مبتورة المؤخر كانتها قطعت بسكين قطعاً عامودياً قصارت عريضة لمساء ولما مقدمها قائم يصعد مستقدقارويداً وبدأ حتى اذا انتهى الى اعلاه انحنى على نعمو نحو المصينة على شكل الخجل فخال تلك السفن اذا تحاذت متلاصقة عند المساء وقد اديرت مفاديتها نحو المصينة انها سهوف عفاء يحملها جد من الحرس يحمون المدائن

ولو اطلعت على المدائن من مرتبة في ذلك العهد لحيل لك انها غوطة فيها البسامين والاعراس بينها القصور والاسوار مبنية من الآجر وقد قام في وسطها الابواب كأنه ملك تديم الشأن تحف و الخدم والاعوان



## الفصل السابع والستون

### \* ايوان كسرى \*

هو قصر باذخ بسمونه ايضا الطاقى حرى اسم على السمة العرب بمقلامهم مجرى الامثال بالعظمة والنفامة حتى عدوه من المداني العجبة بناء سابور ذو الاكتاف وهو سابور بن هرمز<sup>(١)</sup> في القرن الرابع لليلاد<sup>(٢)</sup> لكنه يعرف باسم ايوان كسرى انوشروان . قضى سابور في بنائوه عشرين سنة<sup>(٣)</sup> اقامه في وسط المدائن على مقربة من دجلة بحيث لا يحول بين الايوان والنهر الا الحدائق والساتين تنتهي عند الضفة بالمسناة المقدم ذكرها ويحيط بالايوان جملة حديقة واسعة وبها الاغراس والازهار والرباحين والشجر من الازدرخت واللبنون وغيرها . ويحيط بالحديقة سور مجي من الآجر له ابواب عليها المحرس نقلانهم وانراسهم ورماحهم وفوق الابواب رسوم فارسية منقوشة طبعاً على الطين وهو في كما كان يفعل الاشوريون في آثارهم<sup>(٤)</sup> . وعلى جانبي الباب الاكبر المطل على المدينة ثمانان كبريان يمثلان الثور الاشوري المتجنى برأس انسان طويل اللحية متوج الرأس<sup>(٥)</sup> وفي زاوية من زوايا الحديقة بناء الافعال وفوقه بعض الفيلة المراما لركوب الكاسرة . وبين ابواب الحديقة والايوان طرقات مرصعة بالحصى الواثماً على شكل الفسفساء يتألف من ترتيبها بعضها بازاء بعض رسوم تمثل اهوداً وادميين وفرماتاً ومركبات عليها الملوك والقواد بمجدون في صيد الاسود تحية رسوم ملوك اشور اسلاف الفرس ما بين النهرين واكبر تلك الطرقات واوسعها طريق ممتد من الباب الكبير الى باب الايوان بصطف الى جانبيه المحرس عند دخول كسرى الى الايوان

واما بناء الايوان فعنارة عن قاعة كبيرة طولها مئة ذراع وعرضها خمسون<sup>(٦)</sup> منية بالاآجر والجص سقفها عقد واحد قائمة على عمد من الرخام المنقوش ويصعد الى ارض الايوان مدرجات عند بابو . وفي صدره عرش مرصع بالذهب والحجارة الكريمة

( ١ ) الاشبيحي المستطرف ( ٢ ) ابو القداء ( ٣ ) الاشبيحي ( ٤ ) رولنسن

( ٥ ) انيكلويديا الكسندر ( ٦ ) الاشبيحي

في أس عليه كسرى تعلوه قبة مرصعة وفي داخلها مروحة من ريش النعام وإلى جانبي العرش  
نحس اعلاؤه ورازته ووجدان الايوان وسقفة مزينة برسوم بديعة في جملتها صورة  
دري انوشروان وغيره من الأكاسرة المقظام وإيات من شعر مكتوب بالحرف  
الآرياني الذي كان يكتب به الفرس قبل الاسلام وفي سقف الطاق رسوم الافلاك  
والايراج والنجوم من ذهب منزلة في قبة زرقاء

وكان للايوان شرفات مزخرفة بالنقوش تفرغ على الجهات الاربع قائمة على  
اعمدة يتألف من صفوفها رواق يحيط بالطاق من جهاته الاربع طول الشرفة الواحدة  
سبعة عشر ذراعاً وقد ادخل في بناء الايوان من الذهب ما ربما زادت قيمته  
على ما هو ديناراً<sup>(١)</sup>

والبالطاق كبير نقش على عتقه العليا رسم الشمس مذهبة وإلى كل من  
جانبي الباب مثال اسد كانه يمشي وعينه تبتلآن والاسدان مصنوعان من الرخام  
ممليان بالذهب وفي موضع العينين منها زمردات زرقاء بديعة الشكل وأما عتقة  
الصفلى فمصنوعة من الرخام المرمر ولا يتخلو باب الايوان من عتقات من الحرس ولا  
يتخلو اسر الأكاسرة من مثات من العلماء<sup>(٢)</sup> بين كامن وساحر ونجم وبصميم  
الطيرى الحياة فضلاً عن الحجاب والحراس والباطون

هـ كانت حال الايوان عند ظهور الاسلام في القرن السابع لليلاد

## الفصل الثامن والستون

### \* أنس أم جان \*

فلدع كسرى واباطه ولتعد إلى حماد ومطاسو فقد تركناه في دير بجبراء غارقاً  
في لبح الإهكار تهاذفة المطامل بين المسير إلى العراق أو البقاء في البقاء وكلا  
الامرین شائق وكلاً تصور مسير إلى مدائن كسرى هالة موقفة موقف الخصم امام ملك  
الفرس وعظم عليه الانتقام منه وهو فرد وذاك سلطان يصغر الجند والاعوان ولم يكن

ذلك ليهولة أو يكبر عليه لولا امر هند وتأجيل الاقتران ولقد كان ميالاً لكل الميل لاطلاع هند على ما كشف له من نسيء مع ما جد من امر التأجيل لبرى ما يدور منها ومن والدها ولكنه تربص ريثما يتخذ الى ذلك سبيلاً لا تقاً - فلما تلبدت عليه المشاغل وضاق صدره خرج من غرفته ولم يعلم عبد الله ولا سلمان بخروجه وسار يلتمس منفرداً مخلوفه بنسيء لعله يتوقف الى رأي يخفف قلته - وكانت الشمس قد مالت الى الاصيل فلاحت له آخرة على بضعة اميال منه فركب وسار نحوها وفيما هو في الطريق غاب وجدانه بما اجتذب انتباهه من الشواغل فصار الجهاد حثيثاً وحماذا لا يعلم فلم ينبهه الا وهو في سفح جبل فالتفت الى الورا فاذا بصري والدبر قد غابا عن بصره ونظر الى الشمس فرأها مائلة نحو المغرب فوقف يفكر في ماذا يفعل أيعود الى بصري حالاً ام يجلس هناك هنيهة فظفر الى ما حوله فاذا هو في واد بين جبلين اجردين كمائر جبال حوران ' ' فترجل وقاد جواده صعداً يلتمس قمة احد الجبلين لعله يشرف منها على بصري فيعرف جهتها منه ومنى عاد اليها آمن الضياع وفيما هو صاعد حانت منه التفاتة الى الجبل المقابل فرأى كهماً تحته يد الطبيعة في سفح ذلك الجبل ولاح له شبح يتلصص بين الصخور هيئته بين الادية والوحشية لطول شعره وعريه فوق حماد ينظر الى ما يبدو منه فما لبث ان رآه يهرول نحو الكهف حتى دخله ونهاري

فقال حماد الى استطلاع حقيقة ذلك الشبح وتحول نحو الكهف بفؤد الفرس وهو لا يسمع في ذلك المكان صوتاً غير صوت وقع اقدامه وقرقرة حوافر جواده تدوي في انحاء ذلك الوادي ويتخلل الدوي طفطة حجارة تندرج من مواقع حوافر الفرس متزجة بصوت صهلو - فنزل الوادي ثم ما بالعود حتى اذا صار على مقر به من الكهف رأى صخراً يتدحرج نازلاً نحو فتحة من طريقه وعلم انه اذا دحرج من الكهف عليه فلم يبال ولكنه ازداد ميلاً الى معرفة ذلك الشبح فما زال صاعداً حتى دنا من الكهف فاذا بصخر آخر يتدحرج فتادى باعلى صوته « لا ترنا الحجارة فلسنا راجعين من هذا المكان قبل الوصول اليه » فردد الوادي صدى كلامه اضغاثاً فتهيب من موقفه وزاده تهيئاً قرب غروب الشمس واختلاط الاظلال حتى كادت تغول الى ظلام فدمر

اذ ذاك انه آساء عملاً بهجئوا الى ذلك المكان الموعر مع ما آتته من الوحشة والمقاومة  
ولكنه تجلد وتعيد سلاحه فاذا هو مقلد الحمام والحجر ثم ما لبث ان وصل الى باب  
الكهف فظهرت له مفارقة لا يرى آخرها لعنفها ولا يستطيع الدخول اليها والقرص  
معه فوقف وصدق مصرع الى الداخل لعله يرى احداً فلم تقع نظره على شيء حتى فصاح  
« تله » من يقف في هذا الكهف فليخرج الينا لاننا غير مغولين عنه قبل ان يراه ولا  
خوف عليه » قال ذلك وهو يكاد يرتعش رهبة لم يكون الطبيعة سكوتاً لا يتخلله ثم يد  
طائر ولا تنفقه ضفدع ولا خرير ماء ولا هبوب هواء ولا صوت آخر حتى اوجامد  
غير صهيل الدرس ووقم حوافر . فهم حماد ندد الحواد الى صخر والدخول الى المغارة  
سمع وفيما هو يهيم بذلك ظهر له شيخ خارج من ظلة ذلك الكهف لا يسمع لاقدامه  
وقم فليت حماد قدسه وتحمل للدفاع اذا اقتضت الحال . فلم يكذب بفعل حتى وصل  
ذلك الشيخ اليه فاذا هو رجل عار يكسوه شعر رأسه المنسل الى قدميه وقد تمكن  
به الذهب فارتضى على ان الكبر لم يغير شيئاً من اعتدال قامته ورشاقة حركته وحدة  
بصره وان يكن جلد وجهه قد تجعد وشعر حاجبيه وشاربيه قد طال وشعر صدره  
اصبح لغضو وبياضو كأنه زبد الصائون . وطالت اظافر يديه ورجليه حتى التقت  
على نفسها

فلم يكذب يقع نظر حماد عليه حتى هاب منظره ولو لم يره في بك صليبا كبيرا الخيل  
له انه من مردة الجان ولكنه ادرك لاول وغلة ان الرجل ناسك من نساك تلك  
الايام انقطع عن العالم واوى الى الكهوف التماساً للمادة وكان قد سمع تكرامة  
هؤلاء وصدق نظرم في عواقب الامور فلاح له ان بجاطبه في ما هو فيه وبسلفه  
في امر لعله يخفف شيئاً من قلقه فتقدم نحوه باحترام وهم بتقبيل الصليب في بك  
فادناه من فوقه فبالب ثم خاطب الناسك قائلاً « الملك ناسك مقيم في هذا المكان »  
فاجابه الناسك بمعنى الرأي ان « نعم » فقال هل تأذن لي بمجادنة اشك فيها بعض  
ما في ضميري على سبيل الاعتراف فتخير علي بما يوحى به اليك الروح القدس  
فاجاب الناسك بالاشارة انه لا يستطيع الكلام الآن لان من شروط نمكة ان  
يصمت اسبوعاً وينطق اسبوعاً وان آخر اسبوع الصمت ينتهي الليلة فاذا جاء في  
الغد خاطبة . وكان الناسك شامساً في تلك الايام والناسك انطاع منهم من ينذر الصمت

طول الحياة او بعضها ومنهم من يندر العري او الجوع او الدهر اياماً ومنهم من يندر المعيشة على عشب الارض وهؤلاء فئة كبيرة كانت بين النهر بن سؤا « الناساك الرعاة » فينبهون في المغر والكهوف المطلقة (١)

وكان ناسك حوران هذا ممن نذر الصمت اسبوعاً فسرّ حماد بتاجيل المفايلة خوفاً من البقاء هناك تلك الليلة ثم لا يعرف طريقة في عودته لعدة الايام . فقال له الا آتي اليك معي بطعام او نحو من بصرى فاجاب ( لا ) لانه من الناساك الرعاة الذين يعيشون على عشب الارض

فقال له ولكنني أرى الارض هنا مجدية لا عشب فيها  
فاشار الناسك بيده الى مكان وراء ذلك الجبل فهو مرعى .  
فسأله عن سبب رميه بالمجاعة وهو صاعد . فاجابه لعلوا انه لا يمتطع بمحاطبة قبل انضواء اسبوع الصمت

فقال حماد وابن الطريق الى دير مجبراء فدله على طريق سهل غير الذي جاء منه فودعه وقبل الصليب وعاد وجواده وراءه حتى وصل الى الطريق فركب وسار قاصداً الدير فرأى عبد الله وسلمان ينتظراوه في الغرفة وقد قفلوا لهما على غير موعـد . فقال له عبد الله لقد شغلت بالنا بغيبابك على غير انتظار

فلم بدأ حماد اطلاقهم على ما اتفق له في ذلك اليوم رغبة منه في كتابته ريثما يسمع كلام الناسك فيطلعهم على الحكاية كلها

فقال لم خرجت على فرسي فسررت بفراق لم اكن اعرفها فاخطأت الطريق في رجوعي فطال لي المسير

فقال عبدالله وما الذي حاك على الركوب متعدياً . فذكر عليه الاقرار بقتله وهيبه من الامر فقال خرجت لترويح النفس

فادرك عبد الله حاله تماماً ولم بدأ ان يسطر عزيمته ولا ان يزيد قلة خوفاً عليه من اليأس فقال له ارى سيدي في اهتمام وقلي وما في الامر ما يدعو الى ذلك ولا نحن في سرعة او صجر

فظل حماد صامتاً مفكراً فادرك سلمان ان في نفس حماد كلاماً ربما لا يريد



التصريح به على مسمع منه فتنظروا بامرهم خارجاً وترك الغرفة فلما خلا عبد الله وحماد قال عبد الله ما بال سيدي لا يبع بصرة السم شريكك في أمرك قال بل انت بمنزلة والدي ولا اخي عليك شيئاً فاني في قلق وارتياب واراني في حاجة الى من يفرج كربتي برأي او مشورة ومساءلتنا في ما تعلم من الدقة والخطر فقال عبد الله ملء بنا الى الراهب الشيخ الذي شاركناه في سرنا لعله يدير علينا بما يفرج كربتنا

قال ملء بنا اليه

وخرجنا حتى اتينا غرفته فدخلوا عليه وكانت متكأً فجلس ورحب بهما فجلسا ثم قال عبد الله انك يا مولاي شريكنا في سرنا وعالم بما في ضميرنا فهل تشهر علينا بما يخف عننا

فقال الراهب ان المسألة في غاية الدقة والمخفة وقد ادركت عظمها منذ سمعتها ولا ادري بماذا اشير . قال ذلك وسكت برهة يفكر ثم هب من مجلسه بفتة وقال أرى ان نذهب الى ناسك حوران فانه يقيم في كهف على مقربة من هذا المكان فصاء ان يدير علينا مشورة خبير

فبغت حماد عند سماعه اسم الناسك وقال هل نطقه قادراً على ذلك قال نعم يا سيدي انه من اوتي علماً وكرامة فلا تجلو مشورته من فائدة فقال عبد الله لحماؤهم وعرفته قبل الآن

فقال اعترف لك اني وصلت اليه اليوم بطريق الاتفاق وخاطبته فاجابني باشارة يدوية لا يستطيع التكلم الا في صباح الغد لانه ممن نذر السكوت اسبوعاً والكلام اسبوعاً

فقال عبد الله فلنذهب اليوم غداً ان شاء الله فهل ترافقنا يا حضرة الاب المحترم الى مغارتو

فقال الراهب يا احبذا لو استطعت المصير اليه معكما ولكنني شيخ لا اقوس على المشي ولا الركوب والطريق وعمر فميرا اليه بحراسة الله ودعوني اقيم هنا اصلي واتضرع اليه تعالى ان يسهل سبيلكما فودعاه وخرجنا

## الفصل التاسع والستون

## \* ناسك حوران \*

واصبح حماد وعد الله في الغد فقال حماد لا نصطحب سلمان في مسيرنا الى الناسك  
قال عبد الله لا ارى ما يبع ذلك وسلمان كما تعلم اكثر غيرة علينا من غيرة  
احدنا على الآخر ولا اخلنا نمتغي عنه في ما نحن فيه ولا يلحق بنا وقد صحبناه اعواماً  
خدمنا بها خدمات حمة ان نخفي عنه امرآ فمربو

قال حماد ذلك ما اراه . وسعنا اليه فصحبها وخرجوا في الصباح على افراسهم  
وحاد دليلهم حتى اقتربوا من الجبل واطلوا على الكهف فقال حماد هذا هو الكهف  
وكأنني ارى الناسك في انتظارنا عد بابو

فظهر عبد الله حتي اذا وقع نظره على الناسك نهيب من منظره عن بعد وصعدوا  
فلما دخلوا من الكهف فحضر الناسك للملاقاهم وكانوا قد ترجلوا وسطوا نحو فقال املا  
بكم ومرحباً واخذ يتفرس فيهم واحداً واحداً معينين براقبتين تحت حاجبين بارزين  
بروز الطيف حتي يحال لك ان العينين في حزينتين عميقتين

فقال حماد مرحباً بك ايها المتعب الذي لقد جشاك عملاً بوعده وهذا والذي  
( واشار الى عبد الله ) وهذا صديقي ( واشار الى سلمان )

وتقدموا جميعاً وعد الله ينظر الى وجه الناسك كأنه يعرف وجهاً مثله  
وكان الناسك مشتغلاً في اعداد اسماء يجلسون عليها وهو ينظر امامهم عارياً وشعره  
ممتدلاً عليه بمنزل بعضه فقلب عليهم الحياء فلم يمتطعوا النظر اليه الا خلسة  
فلما اعدوا التهمة تقدموا اليه وقابلوا بك فباركهم وجلسوا . اما هو فجلس على التراب  
سجدوا المستريح وجمع شعر رأسه ولحيته في صدره الى حجب واخذ يرحب بهم ويمتدح  
لعدم ابتكاره التمام بمعنى ضيافتهم

فقال عبد الله لقد جشاك نلنم بركة لا ترحاباً فقد بلغنا أنك من رجال الله

الختارين فنظرة منك تغتبتنا عن اثاث القصور . قال ذلك وهو ينم النظر فهو لعلة يذكر الوجه الذي يذهب

فقال السالك الى آخر عباد الله فاشكر لحسن ظنكم بي وما تكذبتموه من المصلحة في ريارتي فابسطوا ما في انفسكم ليلي استطاع بمشيئة الله ان اخدمكم خدمة لجله تعالى

فقال عبد الله اننا من الطائفة الصرائية الذين يعتقدون بكرامة السالك عباد الله وامنند انهم ينطقون بوحى من الله تعالى وقد جئنا لتعلمك على سر لم يطلع عليه احد من اهل وراهب متيم في دير مجبراء . والسر ذو خطر يستلزم اصغاء وكتباتا ونحن معاشر النصارى نعلم خطارة سر الاعتراف وما فهو ما يدعوا الى الفقه الدائمة بامناكم فقال السالك قل يا ولدي ولا تخف

فالتفت عبد الله يمينا وشمالا فانه يجاذر ان يسمعه احدا وقال بظهر لي انك من اهل العراق

قال السالك لقد اصبت المرمى نعم اني من اولئك . وما الذي دلك على ذلك قال دلي عليه ملامح وجهك ونوع تعبدك فقد قبل لي انك من السالك الرعاة وم كثيرون في العراق<sup>(١)</sup>

قال نعم يا ولدي اني كما قلت

قال فوالحالة هه فل لي هل تعرف الملك النعمان بن المنذر

فلم يكذب عبد الله ينطق باسم النعمان حتى ظهرت البغته على وجه السالك وابهرت عيناه واقطب حاجباه واجاب وهو يقرأ ب بعنقو ويحديق بعينو « نعم اعرفه » فغضب عبد الله لتلك المظاهر وكلمة تجامل وقال هل تعرفه معرفة جيدة ام تسع باسمه واخباره فقط

فقال السالك ( ويد في الحيز وشطها باصايبو ) لا بل اعرفه كما تعرف ولدك هذا فلي ذلك بصوت مخنق حتى يحمل لم انه يكي

فقال عبد الله اراك يا سيدي قد اهتمت الحكايتنا من اول كلمة قلناها فنعمد السالك ويد الى عنقه ومسح بها دموعه وقال ان ذكرى الملك النعمان

تمهيج اخواني وتثبت كبدى قبل بهكم من امره ما فني ام جاء ذكرى على لحاكم عرفنا  
قال بل هو محور حكايتنا ومرجع سرنا رحمه الله  
وكان حماد وسمان شاخصين يعجبان لما يبدو من الناسك وعبد الله يزداد  
استئناساً بطلعتهم ولكنه لم يدرك ما الذي يدعوه الى ذلك  
فقال الناسك قل ما قوله عن النعمان الى ارتاج الى ذكره ولكني تأفف لتذكرى  
حافية امره

فقال عبد الله اذا كان النعمان بهك الى هذا الحد فانظر الى هذا الغاب وقل  
لنا هل تعرفه ( وأشار الى حماد )

فسمح الناسك عيذو ونظر الى حماد وجعل يتفرد فبؤ ولم يكلمه بتأمله حتى صاح  
باعلى صوته « أيا ابن النعمان لا شك فبؤ » ومضى وضمة وأخذ يقبله  
فتمتعت فلوهم ونكل جميعاً والناسك ضام حماد الى صدره يقبله ويكي  
فأرداد عبد الله استغراباً للامر وقال للناسك لقد اذعننا بما بدا منك فكيف  
نقول ايا ابن النعمان وقد كان النعمان ابرش احمر (١) وهذا امر ادعج  
قال لا عبة في ذلك فان ملايح النعمان قد تمت فبؤ وهو الرجل الذي رغبت  
عن العالم وانقطعت الى هذه الجبال من اجله  
فبهتوا لهذا القول ولم يفهموا معناه فأرداد عبد الله ان يستطلع حقيقة الخبر فقال  
وهل تعرف الذي يكلمك

فنظر الى عبد الله نظر المنامل وقال الملك صديق الملك النعمان وشريكه في  
مصايد « شعون المحيري » وكان هذا اسم عبد الله المعروف بواذاك  
فانذلهما جميعاً وخصوصاً عبد الله فأنه اعاد نظره الى الناسك وازداد استئناساً  
بؤ ولكنه لم يذكر كيف عرفة فقال اما وقد علمنا انك شريكنا في الامر فاخبرنا من  
انت وفرج كرتنا

فصعد الناسك الزفرات وقال اما انا فاني النفس الذي ارتد النعمان الى الصرامة  
على يد (٢) بعد ان كانت اسلافة قد نبذوها وعادوا الى الوثنية او المجوسية  
ديانة الفرس

فاشبهه عبد الله من غفلتو كأنه افاق من رقاد وقال الملك النمس يعقوب  
قال نعم وقد كنت متيقناً في دير هند الكبرى المنسوب الى هند بنت المحدث من  
عمر من حجر آكل المرار وهو في ظاهرا المحيرة وكانت هند هناك تعلمون قد تهرمت  
فيو فسي باسمها (١) ولكنني كنت اختلف الى العمان كثيراً ويطلعني على اسراره حتى  
كان ما كان من امر يجبو في خاتنين فبرحت المحيرة وسرت الى هناك وجعلت اتردد  
اليو في السجن . ألا تذكر انك كنت تراني هناك  
قال اذكر ذلك جيداً وما زلت منذ رأيك الآن طابا في افكر فيو . ثم هم عبد الله  
يو وتعاونا وما يبيكان اما الناسك فنقول نحو حماد وضمة وجهل بقبلة ويكي وهو  
يقول احمد الله الي رأيك قبل موتي  
وليلى برهة صامتين وكل بيكي ويمسح دموعه بكوا ألا الناسك فقد كان ومحة  
بيطن كنو

ثم قال عبد الله افصص علينا قصة المحبر يا حضرة النمس المحترم  
قال كنت اتردد اليو في السجن اصلي له طاركة وادعوه له وكان كلما اجتمعت  
يو بقول والاهتمام ظاهر على وجهه « ادي سرّاً طلعك عليو في فرصة أخرى »  
فاهتمت لمعرفة ذلك السرو كنت اتوقع ساءه في كل زيارة وهو يموتة وكنت  
كلما سرت اليو رأيته وعجبت اليه ما منك وغيرتك عليو . فمألته عليك يوماً فقال  
انك مستودع اسراره وان يبق فيك وثوقاً تاماً . وما زلت اختلف اليو حتى اصوب  
بمرض ظنوه الطاعون ولا اظنه اباه . فزرته ولم تكن انت ساعته هناك فقال لي  
اراني لن انق من مرضي هذا وامل القضاء سبعا لاني واخاف ان لا امك فرصة  
اخاطبك بها . فقلت قل يا سيدي ولعل الله شافيك باذن وبركة الله . ثم بكى  
وبكى ( قال الناسك ذلك وخفته العبرات والمجيع سكوت يصغون الى خبر  
يتناولون باعنائهم ويمدقون باهارهم في شفتيه وما ترنحان من شدة التأثير )  
فسكت الناسك برهة ريثما استرجع قطره . ثم قال فامحكي العمان رحمة الله بيدي  
واداني منه واسر الي امرأ خاضراً قال انه اسره اليك ولا ادري هل يجوز لي  
اللفظ يو وهو سر الاعتراف

فقال عبد الله لقد قلت اني عارف بوقلم بعد من قبل سر الاعتراف وقد اطلعت ابنة ورقيةنا هذا عليو

فقال الناسك اما والحال على ما تقول فاخبركم انه ادنا في منة وهو جالس على فراشه في ذلك السجن وقال « اني سأقضي نجي من ظلمة من قوم لا يعرفون الله ولا يهتفون على انسان وسأترك املي واولادي بدون ان اراهم وادعهم واني عالم ان سلطان الحيرة يخرج من بني نحم بعد موتي فاسررت الى شعبون ان يرني ولدا لي لم يولد بعد وان يكتم نسبة عنه حتى يبايع المشرين من عمر فبتص شعره في دير بجيرا ثم بطلعه على حقيقته نسو قال واعترف لك اني حرضته على ان يقتل لي من دولة الفرس » . قال الناسك فلما سمعت كلامه اقمصر بدني واستعدت بالله من ذلك كله وقلت « يا سيدي الملك اراك تستعجل الاجل وليس ما يدعوا الى قرو واما الانقام فاتركه الى الله سبحانه وتعالى وهو الديان العظيم » . فاجابني والدموع تحفه « لقد قضى الامر يا ابناء وعهدت بذلك ولا ارى الرجوع عنه والله يقضي بما يشاء » قال الديان ذلك واخرج صوته وارعدت فرائقه ثم غاب صوابه وفبا نحن في ذلك جاء السجان يشدد الكبر على من يدخل الى النعان فخرجت ولم اعد اراه ثم ما لبست ان سمعت بانقالو الى دار البقاء ( قال الناسك ذلك وتهد ) وعلمت واحمدوا عليو انه لم يمت بخافين بل نقلوه الى ساباط فاث فيها <sup>(١)</sup>

فلما سمعت ذلك كرهت الدنيا وتحفت فناءها وزدت زهدا فيها فانجأت الى النساك واخترت منة اكثر زهدا وهو هذا الذي انا فيه اعرض على ناس الارض وامكث عاريا كما ترون وكنت متبيا في العراق مع رفاق كثيرين من الرهبان وذكر الديان لم يبرح من ذهني يوما واحدا وصورته نصب عيني وهو على ذلك الفراش في خافين وما زلت اردد كلماته الاخيرة . فاحيت الاطلاع على ما فعلته انت من هذا الفيل فلم اعرف مقامك ولما مضت بضع عشرة سنة من وفاتي ولم ارك ولا عرفت مفرك قلت لعلك تنقم في البقاء بالقرب من دير بجيرا . لاجل وفاء النذر عند حلول المهاد . فنجث طقت في هذا الكهف وفي نفسي شيء اريد ان اطالعك عليو فلم اسمع عنكم خبرا ولا انا استطيع البحث لاقطاعي عن الناس فضلا عن اني لم اكن اعرف

اسك الحديد فكنت اتوقع ان اسمع خبراً عن شمعون الحبري فلم اسمع هذا الاسم قط

## الفصل السابعون

### انذر القاتل بالقتل

قال عبد الله وما الذي في نفسك وتريد ان اطلعني عليه . قلة  
قال هو خير يتعلق بوصية النعمان لك ولا ينو فاحك لي ما تم معك من قبيل  
النذر هل وثقة واطلعت هذا الملك على حقيقة نسو  
قال عبد الله نعم يا مولاي لقد وثقا النذر بعد مهادنه . واحكى له القصة من  
اولها الى آخرها حتى اتى على . يب يبيهم اليو فقال وقد جئنا اليك لهظم ما قام  
في نس مولانا الملك من الاهتمام في امر الانتقام فلما اطلع ناسك حوران على هذا  
السر لعله يشهر علينا مشورة تخفف ما بنا . او تعديا مهلاً مستغنياً  
فقال الاسك لقد وقعتم على خبير وان في بقية قصتي ما يفرج عنكم كل كرب  
ان شاء الله

فاستبشر عبد الله وحماد وهلمان باخراج الازمة وسرولاً لندوهم على هذا الناسك  
فقال عبد الله اخبرنا ببقية قصتك بورك فيك

قال كنت لمرط اقماني في امر الملك النعمان وامر وصيتو وما تغفنه من المحت  
على الانتقام لا ارح افكر في هذا الامر تهازاً واحلم بو لبلأ حتى استيقظت ذات صباح  
والناس يهذنون بامر كمرى بربوز قاتل النعمان . وان ابنة شهبوبه تأمر عليه  
وسجنا فقلت في نفسي من عاقبة اقوم الظالمين . ثم مالشت ان سمعت بانة قتله (١)  
فانعبرت بحكمة الله سبحانه وتعالى وشعرت راحة فبت ليلة ذلك الخبر طراً هادس في  
مناقة الظالمين وقول القاتل « وانذر القاتل بالقتل » . فرأيت في منامي كأن الملك  
النعمان قادم الي بلباس ناصع الباهض ووجهه ينير باسم فخدمت لرويتو على هذه الصورة

ثم سمعته يقول « لا تعجب يا يعقوب لمنزل برويز الجوسي فقد أعد له الله ما هو اعظم من ذلك ليعتبر النعم الظالمون »

فقلت وقد بهرتني نور وجهه فاطرقت « وماذا عسى ان يكون اعظم من الموت قتلاً بسيف البينين »

فقال لي « سوف ترى وكل آت قريب » فرقت نظري لاراه فغاب عن بصري واسترقت من منامي مذعوراً ولم تمض بضعة سنوات حتى وقع في سلاية برويز ما لم نسمع به في غابر الازمان . اندرون ما هو قال عبد الله وماذا تعني

قال كان لبرويز هذا ثمانية عشر ولداً كلهم ذوو ادب وشجاعة وبروة منهم شيرويه الذي تولى الملك بعد فوشى رجل اسمه فيروز لشيرويه على اخوته السبعة عشر فامر بقتلهم جميعاً <sup>(١)</sup> فقتلوا صبراً في ساحة الايمان وهو ينظر اليهم واكن شيرويه لم يهدأ له بال بعد عملوه هذا فان اخيه بوران واُزَر مبدحت وبجناه توبيخاً شديداً فبكى بكاء مراً ورمى بالنج عن رأسه <sup>(٢)</sup> ولم يزل يثبته اياماً مهوماً دفناً ولا في المصائب الكبرى وفي جعلها طاعون فشا في بلاده فاباد من قدر حلبو من اهل بيته <sup>(٣)</sup> واخيراً مات هو كئيباً حزيباً . فهل اشد وطأة من هذا الافتقار . وزارني ملاك النعمان بعد هذه الحوادث وهو يضحك وامارات البشر ظاهرة على وجهه فسمعت بالوقوف للقاتو فسمعت بنفسي ثقبلاً لا استطاع النهوض فابتدرني هو قائلاً « لقد انتقم لي الله من برويز الجوسي فطابت نفسي وارى وصيتي لتولدي حلاً ثقبلاً على عاتقي فقد شعرت بضعف بني الانسان وعلمت الاصابة في قولك وانا في سجن خاقين » قال ذلك وتوارى عن بصري وانا راقد لا استطع حراكاً ثم استرقت بصورة النعمان امام عيني ويكاد النور ينبثق من وجهه

فلما بلغ الناسك الى هذا الحد من حكايتو شعر كل من السامعون بانتراج الازمة وخصوصاً حماد فانه احس بجعل ثقل نزل عن ظهره اما سلمان فكان الى ذلك الحين صامئاً لم يبه بكلمة فلما فرغ الناسك من كلامه وقف سلمان وممّ بيد الناسك فقبلها وقال لقد اتينا فرجاً من عبد الله ولكن فلو بنا



لا تفتني إلا بعمل نعله على قهراؤك الكفرة الغاشين  
 فظفر الناسك اليه وتسم تسماً فلما تودده وقال لك اعمال الله يا ولدي وسامع  
 بهداه دولة الفرس قريباً فلا يبقى ثم من تنقبون منه  
 فلم ينهبط مغزى كلامه فقال عبدالله هل تعني شيئاً محدوداً أوجي اليك ما في  
 ساق علم الله فانكم معشر الناسك ذوو كرامة يفتح عليكم ما لا يفتح على سواكم  
 قال الناسك اشير الى امر لا يحتاج الى وحي او كرامة بل هو ظاهر بينهم كل  
 عاقل . الا ترى حال الدرس واختلال شؤونهم واضطراب احوالهم حتى نطلى على  
 كرسي ملكهم خمسة ملوك في خمس سنين<sup>(١)</sup> وكل يعمل على الاثثار بالملطة وابادة  
 الآخرين واضعهم رأياً يزجروا الذي يملك الملك الآن وسنزول دولة الفرس على يدك  
 ناهرك عن ظلمهم وجورهم . الا يدلكم ذلك على شيخوخة دولهم ومرها وقرب انقضاء  
 اجالها وللدول آجال كآجال الناس ثم في اواخر تنهي بالموث ودولة الدرس قد  
 باغت شيخوختها ولا تلبث ان تنفضي وكذلك دولة الروم الحاكمة على هذه البلاد  
 قال عبد الله ولكن لا تنفضي الا على يد دولة اخرى تقوم مقامها فمن يختلف  
 هاتين الدولتين . قال اما سمعت روىا الراهب بديرا الذي كان يقيم في دير هنا  
 قالوا « كلا » الا حاد فانه تذكر ما سمعته من الراهب الشيخ في ذلك الا ومعه يوم  
 جاءها الملافة هند هناك . فقال لي سمعت ذلك من الراهب الشيخ ففد احكي لي ربه  
 ان بديرا . رأى في منامه في جميل المظرمولة رُج الثور والزهره مع قران المنذرى  
 وزحل وعلم منه انه هو الذي سيهدي ابنا . جلدتو بني اساعيل ( وهم العرب ) الى  
 معرفة الله وان يوفى ارمهم ويمنذ ازرهم وتجمع كلهم فيذلون ابنا . عهم بني  
 سحاق وينسلطون عليهم مدة توافق ما اشار اليه دانيال في نوتوته فانه يخرج من اولئك  
 العرب اثنا عشر دولة<sup>(٢)</sup> اليس ذلك ما تعنيو

قال الناسك هذا ما عنيته وايزيد عليوان الرجل المنتظر قد ظهر في جزيرة  
 العرب ودعا الناس فيها الى عبادة الله ويذل الاوثان وقد فتح مكة وكسر اصنام  
 الكعبة وانتشر سلطانه في الحجاز واليمن وسيفتح الشام والعراق وهو الذي يختلف  
 الدرس والروم في سلطانها

فقال حماد لقد شاهدنا قوته وسلطانة باعينا يوم فتح مكة وكان يوماً  
مذهوداً ويظهر من رغبته في سبيل الله واستهلاك انتصاره وإصحابه في نصرتهم ان دولته  
ستقلب الدول كلها ان عاجلاً وان آجلاً

قال فاستمع اذن في ما يدعوا الى تكبد الخطر في الانتقام من اكاسرة الفرس وقد  
رأيتهم ان قاتل حبيبتنا النعمان قتل هو وولاده شرقتله وسبهم العرب على دولتهم  
ان شاء الله

فوقع كلام الناسك على قلب حماد برداً وسلاماً فارتاح باله من امر الانتقام  
المعجل وانصرف فذكر الى حمد وشعر بمل شديد الى رؤيته وخاف ان تسي الظن  
به اذا طال غيابه بعد يوم الثمانين وم في اليوم الثاني منه فتظاهر بيلو الى الانصراف  
فادركه عبدالله ذلك فقال للناسك انا ذن لنا بالذهاب على ان نغتنم الفرص في زيارتك  
حيناً بعد حين وهل تطلب منا امراً تنضو لك

قال لا اريد من هذا العالم شيئاً فقد رأيت زهدي وولم يكن في نفسي شيء  
غير روية ابن حبيبي النعمان لانصر عليه ما اوتمنت عليه ما خاطبني به والآن في الحلم  
فاحمد الله على نيل بغتي فاذا امث الآن فاني اتوسد قمر العين ناعم البال

فقال عبدالله اطال الله بقاءك ورحوان راك كثيراً قال ذلك ونهض فنهضوا  
جميعاً وودعوا الناسك وانصرفوا على افراسهم وكان على رؤوسهم الطير

اما حماد فان ذهنه تنرغ للافتكار بهند واحسن رغبته في اطلاعها على حقيقة  
نسبها وصلوا الى الدرور بطريقه الراهب الشيخ فدخلوها ليطلعوه على ما دار  
بينهم وبين الناسك فلما انبأوا بما علموه من امر اطرق يفكر بغرائب المحدثان ثم  
قال لقد خيل لي منذ رأيت هذا الناسك انه لم يقادر خصب العراق ويقيم في هذه  
الجبال المجردة الا لدافع دفعه الى ذلك وقد صدق ظني وبسررتي انه اطلمكم على ما  
خفف قنقكم وهوون عليكم فما اتم في عجل للقيام بالوصية وقد كفناكم الله مؤرنة ذلك  
اما ما قاله عن قوة المسلمين وعظم دولتهم حتى يخشى على الروم والفرس منها فقد ابدته  
الحوادث الجارية فان تلك المردمة من الحجازيين لم يكادوا يقومون بدعوتهم حتى  
ملأوا جزيرة العرب فتحاً وقتالاً فدانت لهم قبائل اليمن وعمان واليمامة ونجد وقد شهد

حماد وسمان فتح مكة ورأيا يطش هؤلاء العرب وقوة جامعتهم ولقد شهد من رأى  
حربهم في موقعة هنا انهم كانوا كغول الاسود وصبروا على الحرب صبر الرجال ولكنها  
اول مرة لا قتل بها جند الروم ولم يكونوا في عدة كافية فلم ينوزوا والظامران وقعة  
مؤنة كانت امثلة لم حلتهم كيف تؤكل الكتف حتى اذا رأوا في جدم الكفاءة  
اعادوا الكرة ليس على الشام فقط بل على العراق ايضا  
فقال عبدالله وهل دلت انهم حاربوا على العراق  
قال نعم انهم حاربوا عليه اذا لم يكن فوزهم بها تاماً فلا اقل من ان يؤذوا  
الفرس ويضيقوا عليهم

فقال حماد وكيف عرفت ذلك يا مولاي

قال اخبرني بذلك تاجر من اهل مكة تعودنا لقاءه هنا كل عام او عامين ولي  
معه صدقة ودالة فقد مررت من بضة ايام واظلمني على حوادث تلك الدولة بعد  
فتح مكة حتى الماعة فاذا في ما يجيئنا على دولتي الروم والفرس وكنت اظنكم  
عالمين بها

قال عبدالله كلاً يا مولاي اتنا غير عالمين بشيء من ذلك

قال الراهب اخبرني التاجر ان اولئك الحجازيين بعد ان فتحوا مكة عادوا الى  
المدينة وانتقلوا جداً منهم الى من بقي في جزيرة العرب لم يرضخ للاسلام فغزوا  
غزوات عدة فازلوا بها كلها ومن اكر قدام وجل منهم يقال له خالد بن الوليد  
اتى بالمحيرات في حروبه حتى ساء اليه « سيف الله » ومنهم علي بن ابي طالب  
ابن عم النبي وهو بطل تجرب . وكذلك رجل شيخ من كبار مشيخهم اسمه عبدالله ابن  
ابي قحافة<sup>(١)</sup> لقبه بالصدق ويسى ابا بكر وهو حوالى والد امرأته عائشة . ومنهم  
رجل آخر يندر مثاله في العالم بدعة البطش وصدق الغرة على الحق اسمه عربيد  
الخطاب وآخر اسمه عمرو بن العاص وغير هؤلاء جماعة كبيرة فتمكن بذلك من  
اذلال قبائل العرب حتى انه لم يعد يحتاج في اذلالهم الى ارسال الرجال بل كانوا  
ينفذون عاهه وفوداً يلبسون الدخول في ديو عن رضى وطيبة خاطر<sup>(٢)</sup> فرأى  
الوقت اللازم لفتح الشام قد آن فجدد جيهاً بقيادة رجل اسمه اسامة بن زيد وامر

ان امير الى فتح الشام ونبا هو في ذلك واقاه القندر فتوفي قبل ميمر الجند ولكنه خاف ابطلا فامط بصرة دينو فتولى الخلافة به حمو او بكر القندم ذكره ومن شيخ جليل القندر واخبرني التاجر ان المسلمين لما مات النبي اختلفوا في من يولوه الخلافة بعد لانهم قسما قسم يقال لم الانصار وقسم يقال لم المهاجرون

فقال حماد وما معنى هذه الاحزاب هل هي مذاهب دينية كالتي عندما

قال لا يا ولدي ان المهاجرين هم الذين هاجروا مع النبي من مكة الى المدينة يوم شدد أهله الأكبر عليهم هلك فتبعه من قريش أكثرهم غيرة عليهم فسمي المهاجرين طائفا الانصار فهم أهل المدينة الذين قاموا بصرتهم لما جاءهم مهاجرا فحاربوا معه فسمي الانصار . فكل من الانصار والمهاجرين يقاتل هذه اولى بالخلافة فاختلفوا في من يتولاهما حتى كادت تقوم بينهم فتنة . ويظن صاحبنا التاجر المكّي ان الفضل في فض هذا المشكل لأحد المهاجرين عمر بن الخطاب وقد ذكرته لكم الآن فهو الذي توسط بين الأمويين وأبا بكر فبإيعاد الناس احتراماً له او خوفاً منه فصارت الخلافة في المهاجرين ومن من قبيلة النبي ( قريش ) تغلبت المسلمين الآن ابو بكر الصديق هنا (١)

فلما توفي النبي تغيرت قلوب بعض أهل جزيرة العرب ممن اعتنقوا الاسلام في حياته فارتد كثير من منهم الى ما كانوا عليه من الصراية أو اليهودية أو غيرها فتنبه المسلمون لذلك فاجتمعوا واوعزوا الى أبي بكر ان يمدل عن ارسال الجند الى الشام لاحتياجهم اليهم في اقماع المرتدين فأبى الا اغاذا ما أمر به النبي فارسل اسامة وجندك الى الشام . وما أحكاه لي التاجر المكّي حكاية وقعت لابي بكر فلما يشترها كل من عاشر حكامنا من الروم أو الفرس

فقال عبدالله وما هي . قال الراهب أخبرني التاجر ان أبا بكر رافق ذلك الجند في خروجهم من المدينة وكان أسامة راكباً وابو بكر ماشياً فنجب اسامة من ذلك لأنه شاب وذاك شيخ فضلاً عن كونه رئيسة فتقدم اليوان بشي هو وبركسا ابو بكر فأبى الا ان يلبعهم ماشياً ويدل ذلك على رغبة حكامهم في الخدمة لا الرئاسة وما أوصاهم به قبل عودته قوله « لا تخربوا ولا تدرؤا ولا تغلبوا ولا تملأوا ولا تقاطعوا طيلاً ولا شجراً كبيراً ولا امرأة ولا تعزوا فحلاً او تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تدبوا

شاة ولا بقر ولا بعمراً « هل سمعتم مثل ذلك من رؤسائنا لا انكر عليكم ان الصراخ نأمرنا بكل ذلك ولكن حكامنا نبذل الدين نذل النواة وسيعود ذلك عليهم وبالأحرار قال الراهب ذلك وقد أخذت الحنة ما أخذنا عظيماً حتى ارتجفت صوته وارتفعت الحنة ثم سكنت

وكان عبدالله وحامد وسلمان متطاولين باعناقهم يسمعون حديث الراهب وقد زادهم تأثراً ما أنصرو من اهتمام فقال عبدالله ان مثل هؤلاء لا بد من ان يغفلوا العالم وينقلبوا الامصار فسامهم ان يبدأ بالعراق وينفذونا من دولة النرس الظالمة فقال الراهب وقد نفس الصعداء انك تنبئ أمراً قد وقع فعلاً فان جيش ائمة هذا لم تطل غيبتة ابلعو ان الخليفة احوج الى نصرتي في قتال اهل الردة ما يفتح الشام فعاد بجند وانضم الى المسلمين في حروب اهل الردة وما زاد الامر اشكلاً امام اعدائهم النسوة منهم رجل اسمه اسود العمسي في اليمن فالتف حوله حزب كبير ورجل آخر اسمه طلحة الاسدي من بني اسد في نجد وأخر اسمه مسلمة في البصرة وأخر اسمه ذو الناج انبط بن مالك<sup>(١)</sup> وغيرهم من المذنبين ودعاة الاحكام حتى لم تنق قبلة من قبائل اليمن وحضرموت وعمان والبحرين واليامة ومهرة الا نذرت طاعة المسلمين وارتسوا عن الاسلام فخاف المسلمون العشل ولكن ابا بكر نصرف بحكمة ودراية وساعده في ذلك قتاده الخنكون وخصوصاً خالد بن الوليد ذاته عمل أعمالاً غريبة وكذلك عمرو بن العاص وغيرهما ففضل في سنة كاملة حتى دانت الكهناج قبائل العرب واجتمعت كلمهم واستقام امرهم

فقال حماد يا هذا لو يسر خالدة الذي ذكرته الى العراق

فتحكك الراهب ضحكة يتخللها عبوس وقال لقد اصبت يا ودي فانه عمل ما اردته فسار خالد هذا الى العراق لنفخ الحيرة وقتال النرس<sup>(٢)</sup>

فهب سلمان الحال وقال لحامد ألا يا ذن لي مولاي بالمسير الى الحيرة التي لا يبدأ لي بال ان لم آل يدي دم النرس فاعلم ان اشهد بعض المواقع أو اخضع المسلمين خدمة تصاعدم في امة اذنا من اولئك النور المجوس

فقال حماد اني اولى بذلك ولقد كنت هازماً على الناس اولم تلتفت انت

قال سلمان أما انت فقد طال غيابك عن امير غسان وامبرتو فمر اليها وعمامي  
ان اعود اليكم قريباً بخبر النصر

فاتته حماد لامع مع هند فاغتم وجوده عند الراهب فرصة لاستفتائو بامر الاقتران  
بعد حكاية الرصبة ولكنه استعفى فخطب عبدالله على افراد قاتلاً أنظن انه يجوز لنا الخطابة  
بأمر الزبيجة أم نحن لا نزال مفقدين بالوصية

قال عبدالله دعني اسأل الراهب وأخذ راية فابشر به فتعله وتحوّل نحن  
الراهب فمأله فقال الراهب يظهر من خطاب السالك لكم انه يحبكم من ذلك التند  
وفي المدول عن الانتقام فضيلة مسيحية كما تعلمون لان ديانتنا توصينا بحمة عدونا  
ومباركة لاعبدا ونحظر علينا الانتقام

فمر حماد ملك الفتوى وسكت حتى اذا خرجوا من عند الراهب اتفرد بعبدالله  
وقال له ألا ترى ان يذهب غذا الى البلقاء نقابل جملة وانت معي فقد فرغنا من  
حكاية النذرمان لكما الاجتماع وخصوصاً بعد ان ظهر ما ظهر من ربيع نسبنا  
فقال عبدالله ارى يا مولاي ان تبقي امر نملك مكتوماً كما كان لنرى ماذا يجد  
من حوادث الزمان

فاجل حماد وقال ولماذا نكتمه وهو شرف يتمايق اليه الناس وخصوصاً انهم  
اعترضوا على زواجي بهند لغموض نسبي فهل ابقى غاضباً  
ففكر عبدالله فنهيه ثم قال ولاري مع ذلك ان لا تذكره وعلى كل حال فالامر  
راجع اليك

فصكت حماد وكانا قد وصلا باب الغرفة وسلمان يتبعها وقد ادرك انها يتكلمان  
بأن هند فتنهم قليلاً فلما وصلا الغرفة التفت حماد وبأدى سلمان فاسرع وهو يقول  
انقدم اليك يا مولاي ان تأذن لي بالنعائب الى المحبرة غذا صياحاً وان يكرت بعز  
علي ان لا اشهد الاحتفال باقترانك ولكني لا البت ان اعود اليكم بما يبركم ان شاء  
الله وارجو ان تذكروني في حيلة الزواج وانا اذكركم في ساحة الحرب

فقال عبدالله لحامد دمه يذهب يا - يدي امله يا تينا بخبر فقد انتهت من المشاكل  
والاسرار ولا نظننا نحتاج اليه في شيء وقد نقرر لك الاقتران بهند ورضي والدها  
وفينا النذر فابذهب

فقال حماد اذهب يا سلمان بمجاعة الله ولا تقطع عما ابارك  
 فنفي سلمان لبلبة تلك يعتمد للسير الى العراق وفي الصباح ودّع حماداً  
 وعبد الله وبكى لوداعها وسار الى الناصك يلتمس بركة ودعاه قبل المسير  
 فلما خلا حماد بعده الله قال له دعنا نسير الى جيلة أو ميّا بنا الى صرح القدير أم  
 هناك سرّ ينع ذمّاساً واقتربنا ألم بأن لنا ان نخلص من المرائيل  
 قال لقد آن الوقت وعلم بيدي الى لم أو خرافتنا عبثاً ألم يكن في السرّ  
 ما يدعوا الى ذلك

قل لي واني لا انسى جبلاً صنعته معي يا عبدالله ولكني اعترف لك اعترافاً  
 صريحاً بان اطلاعي على ندي قد قلل اسباب سعادتني واحسني كنت اسعد حالاً يوم  
 كنت حماد بن الامير عبدالله أما وأنا المذنب النعان فاراني تبعاً بئساً مظلوماً  
 قال عبدالله كنت اتوقع ذلك منك ولكنني لم أرَ مثلاً من ان افص عليك خبراً  
 تهود به الى امانة مقدسة

قال لم اقل انك اخطأت باطلاعي على حفيظة نسي فقد فعلت الواجب على  
 انني لما اتصور هذا ومعيني معها اساو الدنيا ومثاقبها  
 قال عبدالله وزد على ذلك انك ستكون عمّا قليل ملك نعمات والنفاسنة  
 لا يأتون سطوة وبطاشاً عن ملوك المحبرة فضلاً عن دلائفهم بالزوم وفي دولة مسجبة  
 وذلك خبر من علاقة اجدادك المأذرة بالفرس والفرس مجوس يعبدون النار كما تعلم  
 فابسط وجه حماد لذلك فقال اذهب معاً الى صرح القدير قال لو علمت ان  
 جيلة هناك انذهبت معك لان من اللباقة ان الافة مني تعارفا جازلي الذهاب الى  
 الصرح فقال اذن اذهب اما فالنفس لك موعداً نجمع فيه جيلة ونتم الاقتران  
 قال حماداً فاعمل فاخذ حماد بعد جواده للركوب

## الفصل الحادي والسبعون

### ﴿ البرد والخاتم ﴾

أما هـ فلم يأت يوم الدمانين حتى ملّت الانتظار وكانت تتوقع ان ترى

حماداً في مساء ذلك اليوم او في صباح الغد فمضى اليوم والغد وهي تعد الساعات والدقائق ونحسب لنا نحن غير حساب فلما كان اليوم الثالث أفاقنا من رقادها قلقة البال فتبصت وسارت الى غرفة والدتها والتفت منها ان ترافقها الى دير بجبراء او تأخذ لها بالذهاب اليه وجدها

فقال سعدى لا أرى ان تفعل ولا ان تفلي فلورأى حماد المجيء اليها لجا فرما كان في سر والى ما يمنة من المجيء.

قالت ما تعنين يا أماء

قالت لا اعني شيئاً ولكني لم يعجبني أمر والى هذا فكم تدلّ وتمزّر فقد صاهرنا ولك على غموض نسو واكرمائنا ولتمتنا لنهاء فلم يأت بها وقد انقضي موعده من يوم الشمانين فلا أظن الا في الامر دخيلة

فانقبضت نفس همد عند ذلك وقالت لا تأومي الغائب قبل حضوره فربما منعه عن زيارتنا مرض او شاغل ذو بال ولما ما اشرفت اليه من تدال والى او كبرياتي فلا أظنه في محله وليس ثم ما يموغ له ذلك

وسكتا منها مطرقتين ثم قالت سعدى نعم يجب علينا ان نبحث عنه وعن سبب غيابو فلنتنظر هذا اليوم ايضاً فاذا لم يأت اغدنا اليه رسولاً

فخرجت همد وهي هاجمة في امر حماد فلبست ثوبها وخرجت الى الحديقة لتفعل نفسها بازهار الربيع وعيناها شائعتان من بين الاشجار وقد هب عليها النسيم فتعاطم خفيف الاوراق وعلت اصوات الطيور مفردة وهمد تود انقطاع النسيم وخرس الاطوار مخافة ان تحول تلك الضوضاء بينها وبين وقع اقدام حماد اذا جاءها ماشياً بين الاشجار او تخفي صوت جواده اذا صهل عند استقبال الصرح . وفيما هي جالسة على حجر هناك تفكر في ذلك وتحرق بعينها وتصبخ بدمعها وقد صارت الشمس في المهاجرة رأيت فارساً قادماً عن بعد عرفة من جواده وظاهر لباسه انه حماد فهرولت الى والدتها وابناها بقدميه فدخلنا الى قاعة الجلوس حتي جاءها مخبر بقدميه فخرجت سعدى للقاءه ورحبت به فقبل يدها ودخلا الصرح وكانت همد عند الباب فلمسلم عليها ودخلا جميعاً الى قاعة الجلوس وقد آمنت همد في وجه حماد فتبهرأ بعد قص الشعر واكتها عجت لجهنم وحده وراودت الاستغناء عن السبب فتمتها الحياء على ان والدتها



ابتدرته بالسؤال عن والده

فقال انه كان عازماً على المجيء - معي وأكنه رأى من اللياقة ان يقابل ملك غسان قبلًا ولو كان مهدي المم هنا لهذا الى والدي فيعبر حالاً

فقلت جعل الله نذركم مقولاً هل قصصت شعرك يا والدي

قال نعم - قالت وهل سمعت الحكاية - قال نعم سمعتها - وحدثتني قصة ان يبيع

بها فنذكر تحذير عبدالله فأسك ولكنه رأى مكرهه عنها بالمره تخفيرا للمائل

اما سعدى فلم ترد على هذا السؤال تأديبا فلما لم يجيبها غررت الحديث وسألت

اذا كانت يسهة الخروج الى الحديقة وهو يود ذلك لعلوا ان قد يجلو هناك بهند

فيبعانان او يتفانان

فخرجوا من باب خصوصي صغير وتخلت سعدى في النصر توصي قوة القصر باعداد

مائة الفداء

فمشى حماد وهند في طرفات الحديقة حتى اتحدرا الى ضفة الغدير وماؤه يجري

على حصاة تلالا تحس كأنها الدر وقد فاحت روائح الازهار وغلبت عليها رائحة زهر

اللوز و زهر البرتقال وعلت ضوضاء الاطيار وحفيف الاشجار ولو كان لنا فونوغراف

ادبسن او اوشعة رولينج لرأينا فلي هذين المحبين يتناحجان ويتفانان

اما هند فما صدقت انها خلت بحمد حتى نظرت اليه شذرا وهي تبسم وعيناهما

مدرقتان تلالا وقالت ما الذي دعاك الى التجميل في زيارتنا اما كان الادل علي

شوقك ان تبقى زيارتك الى عهد النصيح !

فادرك مرادها فاحب ان يبعث بها فقال تركنا يوم النصيح لمقابلة والدك بشأن

الاكليل ام تربين تأجيل ذلك الى الأحد المجديد

فتجملت وطرقت وقد توردت وجنتاهما فازداد اشراق وجهها وقالت لو هرقت

انك تجيبي بمنزل ذلك ما اقدمت علي موالك

قال وقد أعجبه تجميلها وزاد هيامه بها لم يكن اظن ذكر الاقتران يسهوك ونحن

انما نمسى جهونا في الحصول عليه - قال ذلك ونظر اليها كأنه ينتظر جوابها - اما في

فحولت وجهها عنه وخطرت نحو شجرة من البرتقال تقطف زهرة زلاقي بلها عن

ساع كلامه

فشيخها حماد وهو يقول ما بالك تمرين بي يا هند فاذا كنت تريدن التخلص من قرايبي فولي لي كما قال غمرك ان نمسي غامض فلا استحق بنت ملك غسان فلم تجبه ولا على هذا وقد كان يتوقع ان يجزها الحديث الى حكاية السر ليجريها بحقيقة نمسي ويرى ما يبدو منها وخاف ان تأتي والدتها فيقطع الحديث فدار نحوها حتى قابلها وجهها لوجه وامسك يدها فاحس كلاهما بشهريرة الحب فقال حماد لم بما لبي عن حكاية السر ما لي

فألت له ( وهي مصمكة به تنظر اليها ) بظهور ان حكاية السر عزيزة لديك لا استحق ساعها

فادرك انها تودع لمكوثه عن سؤال والدتها فقال لا يمز عنكم شيء يا حبيبي . قال ذلك وبد به الى جبره فاستخرج خاتماً دفعه اليها وقال هذا هو سر ما فانظري اليه ففعلت الخاتم وتأملته فاذا هو مكتوب بحرف لا تعرفه فقالت انه لا يزال سرا اذ لا يستطيع قراءته . فقال انا اقراء لك ثم قرأ « النعمان ابن المنذر »

فلم تفهم المراد فقالت وما معنى ذلك قال معناه ان نمسي الذي كان غامضا عنك وعني كان مخفيا في هذا الخاتم فانصرفت فكرها في مغزى كلامه فادركت انه ينسب الى النعمان ولكنها امتدعت ذلك فقالت اهلك تنسب الى الملك العمار

قال « بل هو ابي » . وجعل ينظر الى ما يبدو منها فراها قد استغربت قوله ولا تزال في حال البشة ولكن الاعجاب والسرور ظهرا على وجهها معا على ان الالفة والرزانة منعتهما من اظهار البشة فقالت ومن انباك بهذا السب وكيف خفي عنك الى الآن

قال لذلك حديث طويل سأقص عليك في غير هذا المكان واذا كان الخاتم لا يكتفيك فانظري الى هذا الرداء وكشف عاءته عن برد النعمان وكانت تحت انبايو فنظرت اليه فلما تحققت نسبة عظم في عينها ولكن الاستغراب غلب عليها وهي تحمس نفسها في حلم

ثم سمع وقع اقدام من ناحية النصر فنظرا واذا بوالدتها قادمة فامسح حماد الى الخاتم

فجاءه وطلب الى هند كتمان الحديث الآن - اما في فرغها عن رزانتها وتغلقها ودت ان تطلع والدتها على ذلك الخبر

اما سعدى فانها جاءت بسرعة وفي وجهها خبر

ف نظرا اليها وهما يتوقعان خبراً فقالت لقد اطلعت الغمام عليكما لاشتغالي برسول قدم من عند الملك جبلة ومعه هذا الكتاب ودفعت الكتاب الى هند ففتتة فاذا من من والدها يقول فهو « هل عرفتم شيئاً عن ولدنا حماد وهل وفي نذر فاني احب ان اراه قبل سفرى الى الامبراطور فقد اتخذ الى رسله بالذماب اليو لجمه ساقصها عليكم عند الاجتماع »

فقالت سعدى اكلمي البوايه جاء وقد وفي النذر

فقال حماد ارى ان اسهر الى والدي واحي بو ليتعرف بمعرفة الملك جبلة ايضاً

قالت حسناً تفعل فعاد الى النصر وكشع الى جبلة بذلك على ان يكون مجيئه

في الغد

وكانت المائدة قد أعدت فتناولوا الطعام وركب حماد الى دير مجبراه

## الفصل الثاني والسبعون

﴿ كل سر جاوز الاثني شاع ﴾

واما هند فما زالت تفكر بما سمعت من حماد عن نسو وادركت والدها فيها تغيراً ظاهراً على وجهها يدل على شيء في نفسها تكتبه فلما كانت المساء ذهبت هند الى فرائها فجاءها سعدى واخذت تجاذبها اطراف الحديث حتى باحت لها بالمرفلم تكن سعدى اقل استغراباً من هند وحسنت لها ان تطلعا والدها على ذلك

فلما جاء جبلة في ضحى الغد انبأته بالخبر وكانت لتوقع منه ارتهاجاً واستحساناً ولكنها رأت انقباضاً فندمت هند على تصريحها بالمر وخافت ان يترتب على ذلك ما يؤمها وكان خوفها في محلو لان جبلة ما لبث منذ سمع ذلك الخبر منقبض النفس هارقاً في مجراتنا مثل لعلوا ان حماداً اذا تزوج هذا سيكون ورثه في الملك اذ

ليس له ذكور يرثونه فإذا كان حماد من عامة الناس بقي الملك باسم الفحاسة ولكنه رأى بعد ما علم من انتسابه الى المناذرة ان الملك سيجرح به من الفحاسة الى المناذرة فيكون قد سعى الى زوال ملكه فارثك في امر فلم يعد يعلم ماذا يعمل وودى انه زوج هنداً لتعليق ابناءه للحكم في عائلته ولكنه كتم ذلك كله ونظامه باستغراب ما سمعه

اما هند فكانت تراعي والدها وتراقب حركاته وتتظن ما يدور منه وقد انقبضت نفسها واستفت اسفاً شديداً لما فرط منها

وفياهم في ذلك سعى قرقعة اللهم وصهل الخجل عند باب الحديقة فاطلب وإذا به حماد وفارس آخر عرفوا انه والدة فخر حو لاسنة بالها فلما وقع نظره حماد على جلة من يتفيل بك فتمتعة وتعاثا وتقدم عبدالله الى جلة فصافحه وتعارفا ودخلا جميعاً الى قاعة المجلس واخذوا في الاحاديث المتنوعة الا حديث الذرفاة لم يدرك منهم ابداً فقالت سعدى لجلة قلت لنا في كتابك ان الامبراطور هرقل انفذ يدعوك اليه فما الذي دعاه الى ذلك

قال دعاه اليه اضطراب في جو السياسة اوجب اهتمامه في التأهب للحرب عاجلاً فتمت الجميع واستعاز حماد بالله وخاف ان يحول ذلك بينه وبين هند الى اجل بعيد فقال

وما هو ذلك الاضطراب يا عمه

قال لقد انبأنا المجلس ان النحازيين الذين جاؤا منذ بضعة سنين على ما تعلم وادخلوا عن مؤنة خاسرين قد استغل امرهم واتسع -لطمايمهم وتوفي بينهم وخلفه بعض اصحابهم فجددوا كبراً انك لثقلنا ولا يلبث ان يصل اليها قريباً فيبعثوا الى هرقل بذلك فارسل يستقدمني اليه في حصص<sup>(١)</sup> للتحاربة بغان التجند وقد قيل لنا ان حملهم هذه المرة ستكون اصعب مراساً من الماضية وقد جاؤا فرقاً بقودم اعظم القواد

فقال عبدالله سمعنا انفاذ ذلك الجند الى العراق لحرب الفرس وليس للامام قال ذلك جند آخر بعثوه الى العراق في الدام الغابر اما الآن فانهم عاملون

على التجهيز اليها

فقال حماد هل يرى سدي. ألم ان غيبته - من طول هناك  
قال لا ادري مقدار طولها ولكنني اظنها طويلة  
قال. نسهر إذا في خدمتك

قال لا ادري حاجة الى ذلك والاولى ان تبقى في بصرى ربنا اعود او اجبت  
اليكما - اما سعدى وهند وسائر اهل هذا النصر فيسهبون معي خوفاً عليهم من غائلة  
العين وم في هذا الحلاء

فلما سمعت هند ذلك خفت قلبها وكادت الدموع تتناثر من عينيها وقد ادركت  
ان والديها يضرب السوء لمحمد

اما حماد فلم يكن اقل وجلاً وهو لا يعلم ما في نفس عمو وظنه لم يعلم بحقيقة نسو  
ولا حدث ما يوجب نفوره وأكثه استعظم فراق هند بعد ان كاد يظفر بها على اثر  
ما قاماه من الملتقة والبلاء في سبيلها

اما عبدالله فادرك ان في الامر شيئاً جديداً اوجب هذا التباعد ولولا ذلك لم  
يكن ثمت ما يمنع مسيرهم معه حيثما سار فحاصر شك في كتمان حماد فنظر اليه بطرف  
خفي ففهم حماد مراده فاقبته انه اخطأ باطلاع هند على ذلك السر  
وشاركهم في ذلك الاحساس سعدى لانها اعلم الناس باخلاق زوجها فقالت  
له ألا ترى ان نسهر جميعاً معاً وما الفاتكة من بقاء حماد هنا

قال بل ارى بقاءه هنا وساخبرك عما يمنع ذهابه معنا. قال ذلك وفي كلامه  
غنة الجفاء فسكتت ومكث الجميع

ثم آن الغداة فتقدموا والمكوث مائد عليهم جميعاً فلما نهضوا امر جيلة ان  
تعد الركائب لمسير زوجها وابنته معه في ذلك اليوم فتشق ذلك على عبدالله ونفر  
من جيلة لما اتفق له معه في المقابلة الاولى. وعول على تحويل عزم حماد عن هند  
كأنه لم يدرك في قلبه من لجاج الغرام وقد فاته ان الحب يتعاطى بنسبة ما يعترضه  
من العقبات

فاستدار عبدالله حماداً في الانصراف فاجابه اليو رغماً عنه ووقفنا فتقدم حماد  
الى عمو وودعه وهو يكاد يثرق بدموعه وودعه عبدالله. وسار حماد الى سعدى وهند

يودعها وكانت قد خلنا وهند تبكي وتغيب والدعها تحفف عنها وتلمس الاعذار لما ظهر من جفاء والدعها فلما سمعت وقع اقدام حماد خرجت في فودعته واعتذرت عن هند انها تفك من صداع الم بها حتى ابكاهما

فادرك حماد انها شعرت مثل شعوره وترجع لديه انها باحت بالسرو لم يلم الا نفسه لانه لم يوصها بكتفانو . فقال والدمع يتلألا في عينيه دعيني ارى هنداً قبل ذهابي وان تكن باكية . وكانت هند قد استعدت للقائه فمضت دموعها وحاولت اخفاء ما بها وخرجت الى حماد وهي تقبل ومدت يدها وتجاد مر ايضاً فودعها مبتسماً وتحت ابسامها غيظ يكاد يهز ثم ودع سدي وخرج فاتي عبدالله في الحديقة يتعطر قدومه فركبا وحماد يأنف وراءة يودع الفجر واهله وهو غارق في الحبح المالح جس فصارا مدة صامتين لا ينوه احدهما بكلمة وكل منها يفكر في امر وحماد يرجع في ذهنه حوادث ذيك اليومين ويحرق ندماً لما باح به من امر نسو وشعر بخطائوه نحو عبدالله لانه لم يطعه في كتابته فظل صامتاً يتردد بين الخجل والنذل اما عبدالله فلم يبق عنه شك بتغير جيلة وفساد ما بنوه وضياح ما املوه ولكنه لم يذكر ذلك لحماد رفقا بباطلهم وعول على ان يثبته عن عزوه فيما بعد

## الفصل الثالث والسبعون

❀ ان الله مع الصابرين ❀

فلما دنوا من الدبر قال عبدالله آتري يا سدي ان نقيم في الدبر او نذهب الى بصرى  
قال لك الامر ولكنني ارى بصرى افضل لنا بعد ما سمعناه من حملة العرب انجازيين

قال الامر اليك وعرجنا نحو الدبر بانطقت تلك اللبلة على امه الانتقال الى بصرى ولم يبق حماد الا قليلاً لكثرة ما تراكم عليه من المالحس فلما اصبحوا اخذوا يستعدون للركوب فذهب عبدالله لوداع الراهب وظل

حماد وحده يبتذل في بعض الملام وكان الوقت ضحي وفيما هو ينظر الى خارج  
انصرف رأى امرأة تنظر اليه وعرفها انها الجارية التي رافقت هنداً الى الصومعة يوم  
التي بها المرق الاول هناك فبغت لرؤيتها وهرب الى

فقال له اتعرف بائع الحلي

فقال نعم وصلت

فدفعت اليه مندبلاً كان في يدها وتمولت راجعة

فقلب المندبل بين يديه فاذا هو رسالة قد كتب فيها « لا يضعف عزمك ما  
رأيتك الدارحة من والدي واصبر ان الله مع الصابرين » فلم انها رسالة من هند  
وانتقلت اسرته وانترجت كربة وطوى المندبل وخاء ولكنه ود لو يعلم ابن في  
فهمير اليها بغير خبرها يتسم اخبارها فنذكر ان والدها سافر الى حصص للمقابلة  
هرقل فقال في نفسه لا اطمح بحمل هله معه الى هناك فربما خلفهم في البلاء وكان  
يمكر في ذلك وهو ينظاهر بالاستعداد للمهور فجاء عبدالله فركبا وسارا الى بصرى  
واناما في منزل قرب السور عال مشرف فنذكر عبدالله يوم ثعلبية وموقفه امام  
رومانوس ( رومانس ) حاكم بصرى وما كان من امر الخاتم ولكن ثعلبة ضعف امره  
وخرج من بصرى فاقام في بعض القبائل النضابية ورومانوس ما زال حاكماً هناك  
وكان حماد قلقاً على هند لا يهدأ له نال وما زاد حاله ثقلاً عليه لومة نفسه لا باحثو  
بسموه وقد عرف قيمة نصائح عبدالله ونحقق ان الاخبار والمعاشر تكسب المرء علماً  
وحكماً لا يدركها بمجرد الذكاء الطبيعي ومال بكلتيه الى استشارة عبدالله في ذهابه  
الى البلقاء وشعر بمحاجة الى سلمان لانه كان له بوغى عن نجش تلك المفاق بنسوة  
ثم اجعل بغنة وخاف اذا استفسار عبدالله ان يشير عليه بترك هند وهو لا يستطيع ذلك  
ولا تسهل عليه مقاومتها بعد ان اخبر صدق نصائحها فسكت وسلم الامر لله

اما عبدالله فكان يتجاهل عن كل ما يظهر على حماد من القلق ويدعوه حيناً بعد  
آخر الى الخروج للصيد كما كانا يفعلان اول مجيئها تلك الديار وكان حماد يسرمة  
لعله يوغل في البرية فيقف على قادم او عابر فيطلع منه على خبر هند او والدها ولم يكن  
عبدالله ينافحه في خبرها الا عرضاً في اثناء كلامه عن قوات الروم ونحو ذلك فاذا  
أس من الحديث اقترباً من الموضوع تباعد عنه وهو يتوقع ان ينتز ميل حماد من

تلقاه نفسه وكان حماد أكثر رغبة عن المحوض في ذلك الموضوع لئلا يسمع نهيًا أو نصحا يبعده عن هند

فقضيا اشهرًا على تلك الحال ولم لا يسمون إلا باستعداد الروم لدفع المسلمين وإن جند المسلمين وصلوا ضواحي القام واقام بعضهم في البيروك وكان حماد كلما سمع خبرًا من هذا القيل ازداد قلقًا حتى لم يعد يصبر على البقاء في بصرى ومال إلى الخروج منها إلى البلقاء لعله يعرف شيئًا عن هند وعبدالله يداغلة نارة بالصيد وطورًا بزيارة رومانوس صاحب بصرى وكان رومانوس قد عرف منزلة عبدالله على اثر ما كان بينهما من امر نسيب عبدالله إلى مرقل وما لا فاء من الغنم هناك . فكان يمنع برومانوس وحماد معه ويخرج احبائًا إلى الزرائب فيزوره ويدعوه إلى زيارته . اما الناسك فسارا اليه مرة فلم يجدها

## الفصل الرابع والسبعون

### ﴿ حصون بصرى ﴾

ففيما هما ذات يوم في ضواحي بصرى يرئلس الصيد قال حماد ارى الصيد قليلًا في هذه الضواحي لو عرنا وقلة المرعى فيها الا ترى ان نسير إلى البلقاء . نعم لما امر على صيد كثير قال عبدالله ان الصيد يكثر احبائًا ويقل احبائًا اما اذا شئت الذهاب إلى البلقاء . فالامر اليك

قال أرى في الانتقال خيرًا

وفيما هما يتعادنان رأيا سربًا من الغزلان قادمًا من عرض البر لم يريا مثله فلبا فبقيا فقال حماد ما هذه الغزلان اني اراها تطلبنا وذلك لم يفتق لي منذ طلبت الصيد فقال عبدالله ان مثل هذه الكثرة تدل على امر خطير

قال وماذا عسى ان يكون ذلك

قال لا يمنع هذا العدد منها ويسر في وجهة واحدة الا فرارًا من جند ثامد فطل جندًا من العرب قادم إلى بصرى . قال ذلك وصعدا إلى ربوة اشرفا منها على سهل بيوت قرأها غبارًا يتصاعد عن بعد فقال عبدالله لقد مددت عيني



فقال حماد اظنها جنود المسلمين قادمة لحصار بصرى فواليتنا خرجنا منها قبل الآن  
قال عبدالله اذا لم يكن لنا بد من ملجأ في هذه الدار خوفاً من المسلمين فان  
بصرى احسن المدن وامنع الحصون واسهل بدل عليها فان لنظها في الكلدانية معناه  
الحصن المنيع <sup>(١)</sup> الم تر سورهما من شجر الصلد الذي لا تقطعه المعاول ولا تهدمه  
الهابيق <sup>(٢)</sup> وقد رأيت ابيها فان منها يخرج اثنا عشر الف فارس دفعة واحدة عند  
الافتضاء فالمسلمون اذا فتحوا بصرى هان عليهم ففتح سطحا فبرزنا داخل اسوارها غير  
لنا من الخروج الى البلقاء او غيرها . وزد على ذلك ان اهل بصرى اشداء . وم اكثر  
الناس حرصاً على دينهم واشدهم دفاعاً عن مدينتهم فانها اعظم مراكز التجارة بين الشرق  
والغرب لتوسطها بين الحجاز والعراق والشام ومصر <sup>(٣)</sup>

فبغت حماد وعظم طموح الامروم ان امره لا بد من تأجيل ان طلوعا وان  
كراً وهبانه عزم الى البلقاء او دمشق فان جبلة وقبائل غسان وجنود الروم  
اصبحوا في شغل يشغلهم عن كل شيء ولكنه اراد ان يتحقق قوة جند الروم ليرى  
قدرتهم على الدفاع فقال وهو يدبر رأس جلده نحو بصرى وعبدالله يبعث وما هي قوات  
الروم في الشام وكم مدينة مثل بصرى عندهم

قال عبدالله اعلم ياسيدي ان ولاية سوريا اومي ولاية الشام تقسم الى ١٥ قسماً  
احدها بصرى <sup>(٤)</sup> وقوات الروم كثيرة وعدتهم كثيرة ولكنهم شغلوا عن دينهم بدنيهم  
واستولى عليهم الانقسام . وما زالوا في هذا الحديث حتى وصلوا المدينة فراوا اهلها في  
هرج واجبد في حركة يستعدون للدفاع فدخلوا الاسواق فراوا الناس مجتمعين على  
ثلاث ورابع يتساءلون عن الجند القادم وامارات الاستئناف ظاهرة على وجوههم  
فقال عبدالله هلم بنا الى منزلنا فانه عال يغرف على الاسوار وما وراءها

فسارا وقال حماد ما قولك برومانوس حاكم بصرى هل هو خائف ام مستغف  
فقال عبدالله لا اظنه خائفاً وعنه مثل هذه الحصون وهذه القلاع فضلاً عن العدة  
والرجال ولكنني اظن الولاية سترج من يدك الى وال آخر جاء منذ ايام اسمه  
تراجان (دريجان) وهو بطل محنك وقد سمعت الناس يتحدثون بنفوس بينها  
وليس هذا وقت التنافر

(١) قاموس فورست (٢) مرييل (٣) جينس جز ٢ (٤) جينس جز ٢

## الفصل الخامس والسبعون

## \* رومانوس وتراجان \*

وما زال بالحديث حتى وصلا المنزل فاطلا من بعض نوافذ فاذا بالفبار قد بان  
عن جند كثيف تتقدمه الاعلام والفرسان

ولم يكذب يظهر جند العرب حتى تسابق الناس الى الاسوار ينظرون اليهم وهم  
يهزون بهم وبالبستهم وسداجة معداتهم وبعد قليل جاء رومانوس فوقف في بعض  
الابرار ونظر الى جند العرب وقال لمن حوله من الضباط لا نرى ان نقل ابطاب  
بصرى امام هذا الجند الضعيف ولكننا نخرج اليهم فغارهم في هذا السهل ونردم على  
اعقابهم - وامر بالجند ان يصكروا خارج الاسوار مقابل معسكر العرب <sup>(١)</sup>

فلما رأى عبدالله هذا التهور خاف العاقبة لما يعلمه من بطش العرب وصبرهم على  
القتال وكانت له على رومانوس دالة كما تقدم فلما علم بعزمه على الخروج بالجند حدثته  
نفسه ان يصيح له ان لا يفعل قمار اليو وحماة معه وقد علم انه توجه الى دار حكومتو  
فلما وصل الدار رآها غاصصة بالمجاهدين من رجال الحكومة وكلهم راضون عن رأي  
رومانوس ولكنه لم ير تراجان بينهم فلما رأى اجماعهم على ذلك علم انهم لن يصحطوا الى  
كلامو فرأى ان يخاطب تراجان بالامر فسال عنه فقبل له انه في منزله قمار اليو  
وكان قد عرفه واجتمع به مرارا فاستأذن بالدخول عليه فاذنت لما فدخل فاذا  
بتراجان منقلب الوجه فلما دخل عبدالله رحب به تراجان وكان يعرف العربية فجلس  
وجلس حماد الى جاسو

فقال تراجان هل تعرفون هؤلاء المجازين

قال عبدالله لقد عرفناهم وحضرنا حروبيهم غمر مرع

فقال وكيف رأيتموهم

قال رأيهم اشداء صبورين لا يعبأون بالعق ولا بالكثرة

قال ألا ترون المخرج إليهم خطأ  
قال عبد الله بنى يا مولاي وهذا ما جئنا به إليك فكيف تخرجون إليهم فتعرضون  
جسدكم لبالم وسيومهم وقد كان لكم غنى عن ذلك بهذه الحصون المنعمة  
فتهد تراجان وقال هكذا أراد رومانوس ولقد نصحت له فلم ينتصح وكافى به  
يأتي بجند الروم الى التهلكة

فقال عبد الله ليس من سبيل الى اقصاء  
قال كلاً لانه عنده سيف وسيف وسيف عظيم إذا فعل فاما يكون دمه  
على رأسه قال ذلك وهو يلعب صلياً من الذهب معاً بأسلحة في عتوه  
فأسرعه الله في كلام تراجان ليجد انشغاله فمكنت وودعه وخرج وحمام معه  
فلما خرجا قال حماد ما ترى من امر هؤلاء اني احف ان تعود العائنة على هذه المدينة  
فوصيها ما يصيب اهلها

قال وما لعل يا سيدي المخرج الى المسلمين  
قال حماد كلاً ان خروجاً حياً  
قال ارى ان تريض لذي ما يكون من حربيهم  
وساراً حتى انما المنزل وكان النيل قد سدل نفاً فاطلاً على معسكر العرب فاذا  
بهم قد نصبوا الحوام وارقدوا الوقود ونصبوا الاعلام  
فقال حماد ومن هو يا ترى امير من الحمنة العنة خالد بن الوليد  
قال ان خاندان العراق على ما علمت وائى الامراء غيره كثيرون

## الفصل السادس والسبعون

\* فتح بصري \*

وبان تلك الليلة بالجند يستعد لخروج وفي الصباح افاقوا على دق الاجراس<sup>(١)</sup>  
واذا بالجند خارج ومهم اثنا عشر الف فارس والقمص امامهم بالصليان والمباخر<sup>(٢)</sup>

فسار عبدالله وحامد الى الا-واق فرأى الناس يصرعون الى الكنائس يترسون الصلاة باليونانية<sup>(١)</sup> ويدعون لخدمه الله وسعد النكهة على الاسوار بالصلبان والشيوخ ورشوا الجند بهاء المموية واحذوا يرفعون ويشدون الابواب المسجدة وفيهم الرجال والماء والاولاد يدعون بصوت واحد بالله لخدمه الروم

اما جند العرب فكان قائم شرحبيل بن حمزة كاتب وحي النبي وحيه عبيدة بن الجراح في اربعة آلاف فارس لفتح مصرى وكان عبيدة قائدا عاما لجند المسلمين في الشام ولاه القيادة العامة الحليفة ابو بكر الصديق

فوقعت بين المجيدين عنة وقائع ظهر بها الرومانيون في بادية الرأى ولم يحب عبدالله اصرة الروم لما يعلمه من كثرة عددهم

ففي ذات يوم التزم المجيدين فظهر الرومانيون باخذل امر المسلمين حتى كادوا يمدون الى الدار وعبدالله ياتى حركتهم وحامد الى جاسه واذا خبار يتصاعد من جهة الافق وان من تحته جند عرفت من نوع نظار وشكل اعلامه جند المسلمين فعملوا انها نجدة جاءهم ولم يلبثوا ان رأوا في مقدمة ذلك الجند رجل ضخم عريض اللحية طويل القامة تحنى فوق رأسه راية سوداء وهو خالد بن الوليد قائد ازر المسلمين واعادوا الكثرة فتفرق الروم حتى دخلوا الاسوار وانما ابواب المدينة فاني تراجان ورومانوس راجعا فذكر بصبحته فغضب رومانوس اشاتوا به

فلما علم عبدالله بما تمكن من الفوريين القاندين خاف سوءه الى الله

وفي صباح اليوم التالي مرز خالد يطلب التزال يقرل اليو رومانوس والناس يظرون اليها وما ياول اليو تزالها وبعد راز طويل عاد كل منها الى معسكره فدخل رومانوس مصرى وعلى وجهه ما يدل على تغبر في مناصبه وقد تغرت همة عن الدفاع فلحظ ذلك قيو الذين يعرفون اخلاقه لما عبدالله فاجتمع بجناد وقال اني خائف من هذا الرومي فوالله لا يلبث ان يعلم المدينة لاني رأيت من مطاولته في التزال ما يوقع الشبهة فيه

فقال حماد ولقد سمعت من بعض اصدقاء تراجان اليوم انه جادل رومانوس

(١) وكانت خدمة مملعة في سائر كدش الشرق اذ ذك باليونانية وامانة رجال الحكومة

واعيان المملكة فكانت اللاتينية ولغة الشعب (امثا اليونانية او الرومانية) (جس)

ووجهه وشمت به لما آل اليه خروجه فشق ذلك على رومانوس وتوجه به بنوبه له وقال له اذا كنت افرس مني نازل فاجابه تراجان وشتمه وعلا الخصام بينهما وتحزب رجال الروم بعضهم لرومانوس وبعضهم لتراجان وتعدوا رومانوس بالقتل وانهم بالحنانة وقالوا له لا ترضاك حاكماً علينا وقد ولينا تراجان فصكت ولم يحجم وعلامات الغدر ظاهرة على وجهه ولكنه قال فليزل هو ونرى بطله

فلما اصبح نزل تراجان على جواده بعدته وسلاحه وطلب المبارزة فخرج اليه فارس علماً من لباسه وكبر جنته انه خالد بن الوليد فطال التزال بينهما والجوشان ينظران وكان على رؤوسهم الطير فضى معظم النهار ولم ينل احدهما الآخر بشئ فرجع كل منهما الى معسكره<sup>(١)</sup>

فلما رجع تراجان الى المدينة اسرع الناس للقاءه وسؤاله عما اتى من عدوه وكان اول من لاقاه رومانوس وقد نظر اليه مستهزئاً ضاحكاً كأنه ينتقم منه لثأنته به قبلاً فأنتهر وعنه بانه مخاوع فقال رومانوس ستري من هو المخاوع منا ونركه ومضى

وكان عبد الله وحامد ينظران الى ما دار بينهما فلما رآيا من رومانوس ما رآياه وسما يهدين خافا فقال عبدالله لقد زاد خوفي الآن من مقاصد هذا الرومي فلا اظنه الا فاعلاً شراً

فقال حماد وما شأنا في ذلك

قال عبدالله انما يعنيان من الامر المحافظة على حياتنا مخافة ان يدخل العرب المدينة فيصيبنا منهم سوء ولا مائة لنا في الدفاع ولا جل الاتظنا كما آمن على حياتنا لو اتقنا في ديرهم

قال حماد وكيف تكون آمن هناك والدير لا حصن فيه ولا جند ونحن الآن في امنع مدن الشام<sup>(٢)</sup>

قال لم اقل ان الدير احصن من بهري ولكنني علمت ان خليفة هؤلاء المسلمين لما خرج لوداعهم يوم تسيبهم الى الغمام اوصاهم بالرهبان والديور خيراً فهم لا يسيئون راهباً ولا يجرمون ديراً

فقال حماد لو ذكرت ذلك لفضلت البقاء في الدبر ولكن المهم قد نفذ ونحن الآن في بصرى وهي في ما تراه من الحصار فما الرأي  
فذكر عبد الله قهلاً ثم قال ان سر المألة يا سيدي عند رومانوس هذا فلو  
استطعنا استطلاع شيء منه لعلنا طريق النجاة فإني ان اسير اليه الليلة لعلني  
اتسم خيراً

قال حصناً تفعل

وقضيا بقية يومها في المنزل وبعد العشاء سار عبد الله الى دار رومانوس وبقي  
حماد وحده ولم يضر الا القليل حتى عاد عبدالله وعلى وجهه ملامح البغته  
فقال حماد ما وراؤك

قال لا اظن الامر الا عظيماً فاني سألت عن رومانوس في منزله فقول لي انه  
نائم فلم اصدق انه ينام الآن فخرجت استطلع خبره من بعض الحرس فعلمت انه  
مخرج الى حيث لا يعلم احد. ونجّال لي انه سار ليدرك مكة ويعلم بها المدينة و...  
فقطع حماد عليه الكلام قائلاً أجل اظنه سيفعل ذلك لان هذا التصديق كان  
ظاهراً على وجهه فما المحلة

قال لا حيلة لنا يا سيدي الا التربص الى الصباح فاذا تحققنا عزيمته على ذلك  
دبرنا حيلة نجو بها بانفسنا  
وباتا تلك الليلة على مثل الجمر

وفيما هما نائمان بعد نصف الليل سمعا طارقاً يطرق الباب فهبّا من رفاهما  
مدعورين فسألا من الطارق فسمعا صوتاً يقول انكما اني انا خادكما سلمان  
فهرول عبد الله للحال ففتح الباب والبيت مظلم فاذا برجل عليه لباس اهل  
الحجاز وفي يده مصباح فبقينا منتظرين ولكنه ناداهما اني عبدكما سلمان لا تخافا  
ورفع العمامة عن رأسه فبان وعرفاه فصاح به حماد انت كنت يا سلمان  
وما الخبر

قال جئت من معسكر خالد ولا يلبث هو ورجاله ان يستولوا على الاسوار  
فجئت لاعلمكم بالامر لتكونوا على بصيرة وهذا علم من اعلام المسلمين انصبوا على  
باب منزلكم لتأتوا من سهوهم اذا دخلت المدينة

فقال عبد الله بورك فيك ايها الصديق الامين قد دخلت جميعا واوصلت الباب  
وسأله حماد ان يقص عليهم الخبر فجلس وهو يلهث من التعب والبعثه وقال اخبركما  
بالاختصار ان رومانوس صاحب بصرى خرج الى معسكرنا في هذا المساء من مكان  
في السور خفية فاعترضه الاسلام وقال لخالد بن الوليد ارسل معي من تعتمد  
بتعليم المدينة فارسل معه عبد الرحمن بن ابي بكر ومئة من المسلمين فجئت اما معهم  
فادخلنا من خرق في السور واخذ الامير عبد الرحمن ورجاله الى قصر لبياسهم  
ويسير بهم لقتل تراجان وقال انه مناظر له في الحكم وكنت لما جئت مع جيش  
خالد كما سأخبركم سألت الراهب الشيخ عنكما فاخبرني انكما مقيمان في بصرى وداني على  
هذا المنزل هيرولت اليو لاعلمكما بجلبه الخبر وانتم بهذا العلم انصبه فوق الباب  
حمايه لكما وبعد قليل سمعان تكبير المسلمين على اسطار المدينة من كل جهاتها  
وهي علامة بينهم وبين الجند خارجا فيهم الجميع وتكون مذبحه مائله

فانبا على هتو فترامى هو على يد حماد فقلبا وقال لقد وددت لو تكونون معي  
في معسكر هؤلاء التجار بين ليرى ما رأينا من شجاعتهم وصبرهم وانجاد كلمتهم واعلموا  
ان خالد وجدته اولم يصول بصرى الآن لذهب جند شرحبيل ايدي سبا وارتدوا  
عن المدينة خاسرين فقد كانوا في شدة وضك لفلتهم وكثرة الروم

فقال عبد الله وهل خالد وحده من التواد العظيم  
قال سلمان وفيهم ايضا عبد الرحمن بن خليفتهم الي بكر وهو الذي جاء معنا  
لاستلام المدينة وغيره جماعة كثيرة من الامراء والقواد

ولقد رأيت من حرهم وبطهم في العراق ما سأقصه عليكم ان شاء الله  
فهم حماد ان يمسأله عما فعله خالد في العراق فسمعوا الضوضاء والضحج وبين  
الاصوات صوت التكبير

فقال سلمان ان المسلمين الآن على الاسطار وعما قليل يفتح اولاد رومانوس  
ابواب المدينة فيدخلها المسلمون فاليكنا هنا ليرى ماذا يكون فما لبث ان سمعوا ضجيج  
الناس وبكاء النساء والاطفال فحركت الشفقة في قلوبهم وثار الحمية في رؤوسهم  
وأكنهم لا يستطيحون الخرج خوفا على حرائيمهم فما طلع النهار الا وقد فتح المسلمون  
بصرى وطمعوا بها الدف ثم سكنت الغوغاء بعد قتل تراجان وتعليم اهل بصرى

فتفتح سلمان الباب وخرج إلى شرفة من شرفات المنزل نطل على الشارع فرأى جث بعض القتلى هناك بين ميت ومنازع وقد تالخت الأثواب بالدماء. المسلمون قد توغلوا في المدينة وأمنوا عليها ولكنهم لم يقرّبوا منزل عبده لوجود العلم على بابو.

وفيما هم في الغرفة ينتظرون ما تنتهي إليه حال بصرى وقد اطمان بالم سأل سلمان حماداً عما تم من أمر هند فأخبره بحالة الخبر وكيف شغلته الحرب عن الاقتران وعبد الله يسبح ويخجل حتى انتهى إلى عودهم من صرح القدير يخفي حنينه وحاول حماد إذ ذاك أن يبين لسلمان أن عمه جيلة أصاب بذلك وانه لا يزال على حيوانه وعبد الله لا يجيب ولا يعترض.

أما سلمان فتكسر لهذا التغير وقال وما هو موعد الاقتران يا مولاي

قال حماد لما تنتهي الحرب ويرجع جيلة وإلهه إلى اللقاء

قال ومن يعلم متى يكون ذلك

قال الله يعلم

قال أتململ ابن أم الآن

قال اظلم في اللقاء

قال سلمان لا اظلم هناك فقد أتى ما جئنا به من العرب أن جيلة سار برجاله إلى اليرموك لصنع جند الروم في حرب المسلمين ولا يلبث جند خالد بعد قليل أن يذهب إلى هناك لصنع المسلمين فإذا كان جيلة في اليرموك لا اظلم يترك أهل منزله في اللقاء وهي عرضة افترقات العرب فقال سلمان وما ظلك يا إذا

قال اظلم برسلهم إلى دمشق ومع ذلك فاني أرى أن أصير مع خالد حتى آتي اليرموك وأبحث عن جيلة وإلهه وأعود إليكم بالخبر أو لعل أعود إليك برسالة من هند قال ذلك وتيسر كأنه يريد أن يعيث بمجاد فاجابة حماد بمثل إجابته وهو ينظر إلى ما يبدو من عبده فإذا هو في شغل عنهم ينظر من نافذة الغرفة إلى الشارع والاهتمام ظاهر على وجهه وسما قرعة اللجم وضوضاء الناس فالتفتا إلى ما هو ناظر إليه فأول ما وقع نظرهما على راية سوداء تحنها جند من العرب في وسطهم بعض الفرسان وفي



مقدمهم فارس كبير النجدة عريض اللحية طويل القامة بعيد ما بين المتكبين واسع  
الميكل كبير العامة واسع العيون كثيف الحاجبين على وجهه اثر الجديري<sup>(١)</sup> وقد ركب  
على جماد أشهب خفيف العضل يتنقل يدهنو كالمروس ويكاد الفرر يتطاير من  
حذفتيه ووراءه فرسان حولم الأعلام وهم فرحون بما اوتوه من النصر فالتفت سلمان  
الى عبدالله قائلاً اعرفت من هو هذا الفارس يا سيدي

قال عبدالله قد عرفته من يوم كان في وقعة مؤتة وكنت انا اسيراً عندهم اليس  
هو خالد بن الوليد

قال بلى هو هو بهنو انظر الى هذه القامة وتلك الطلعة ان خالداً يا مولاي من  
مجرات خلق الله لم ار ولم اسمع بمنل شجاعته وشدة بطشه فلا تحروا اذا سمعتم سيف الله  
لقد رأيت منه اعمالاً تعجز عن فعلها الابطال في حروبه بالعراق وسمعت من اخباره  
ما تدب لمولوا الاطفال فقد كان قبل اسلامه هو المقدم على خيل قريش في الجاهلية فاسلم  
في السنة الثامنة للهجرة مع عمرو بن العاص ولم يزل منذ اسلم يوليئ الرسول اعنة الخيل  
في مقدستها<sup>(٢)</sup> وقد علمت ان في عامته خصله من شعر النبي يبرك بها . وقد شهد  
وقعة مؤتة بالبيعة وعلى اثر ما اظهره من البسالة هناك سباه الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
ثم كان عوناً عظيماً للمسلمين في كل حروبهم حتى تولى ابو بكر فأنفذ الى فتح العراق  
كما علمتم

فقال عبدالله وما هذه الراية السوداء

قال سلمان هذه راية ذات شأن عظيم عندهم ويقال لها راية العقاب  
فقال حماد لم نخبرنا بما فعله المسلمون في العراق هل فتحوا المداين ودوخوا الفرس  
فقال سلمان لو بقى هناك لفعلوا ذلك ولكن خليفتهم استفد منهم لنجدة جند الشام  
ولولا قدوم خالد على بصرى لما استطاع شرحبيل فتحها ففد وصلنا اليهم وهم في شدة  
وجهد وضيق



## الفصل السابع والسبعون

### \* فتح الحيرة \*

قال حماد اخبرنا بالمان عما فتحه خالد من العراق وكيف رأيت حال الفرس قال أما خالد فإنه من اعظم الفؤاد وخبرتهم وقد اقمته في الحيرة يوم فتحها وكان قبل ذلك قد استولى على بلاد كثيرة بلا حرب لان العراقيين قد ملوا من حكومة الفرس وظلمهم وعنوم واحتقروم لاختلال امورهم . فاول مكان وصل اليه خالد بلاد بانقيا وباروسا والليس فصالحه اهله على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى وفي فريضة كان يقضيه الفرس عن كل رأس اربعة دراهم . ثم سار الى الحيرة وعليها ايباس ابن قبيصة كما تعلمون ( قال ذلك وتنهى ) فانه تولاهما بعد ما قضى الله من امر مولانا رحمه الله ( فتمد حماد وعبدالله وما صائتان بسمعان حديث الحيرة ) فقال سلمان لم يكذب بل وصل خالد الحيرة حتى خرج اليه ايباس وسائر اشراف حكومتهم كأنهم كانوا منه على موعد فاستقبلهم كما يستقبل الغالب المغلوب ودعاهم الى الاسلام او الجزية او الحرب فاختراروا القاء على الصرانية ودفع الجزية فبلغت جزيتهم ثمانين الف درهم وقد اخبرني بعض رجال خالد من يقرأون له القرآن انها اول جزية اخذها المسلمون من الفرس . ثم تحولوا عن الحيرة وجاروا الفرس في عدة مواضع وفازوا في اكثرها وما فازوا فيه ووقعه النبي ووقعه الوجبة ووقعه اللبس<sup>(١)</sup> كل ذلك قبل وصولي

أما انا فلما ودعناكم سافرت الى الحيرة فوصلتها والناس يفتدون بما تم من صلحها واهلها بين راض بالصلح ونافق على ايباس وخصوصاً الفرس فقد سمعهم يتذمرون وكانوا بذلك كسرى ابرويز وكان يتولى عرش الاكاسرة اذ ذاك وشكوا ما كان من ضعف ابن قبيصة فابعد جداً بقيادة رجل من مرزبان اسمع الازاديه لمحاربة العرب فوصل اليه ولما في الحيرة وكان خالد قد برحها الى بلاد اخرى واليس

النخ ثم سمع الاذبه بقدموه فخرج اليه وعسكر عند الفريين وخرجت اما معهم وعلم ان خائناً ورجائه قادمون بالدفن بالثلاث وارسل ابيه ليفطع الماء عنهم فوقفت السفن على اليبس فتركها خالد وخرج رجاله على الخيل حتى قتل ابن الاذبه وتقدم خالد نحو الحيرة

ومن غريب الاتفاق اننا بينما نحن في الفريين وصل ساعي البريد من المدائن يحمل كتاباً الى المرزبان فلم يكذبته وقرأ ما به الا وقد تغير لونه واستولى عليه الحزن فحلف كل من رآه ولم يعلم ما دعاه الى ذلك الا في اليوم التالي اذ شاع في المعسكر ان كسرى ابرويز قد مات فوقع الاضطراب في الجند واندفع الاذبه واضطرب ثم جاء الخبر بقتل ابرويز وتقدم العرب نحو فتة فمر نحو الحيرة وعسكر العرب عند الفريين اما نحن فمما رأيت اخلال احوال العرب قلت في نفسي لقد انزلت الذي هو استطاع القيام بالهمة التي جئت لأجلها فخرجت من الحيرة في ليلة ليلاء حتى اتيت معسكر العرب فالتصمت الامان وان ارى الامر خائفاً فاحذروني اليه فطلبت الخلوه يو فخلونا فقلت اعلم ايها الامير ان حال الفرس في اخلال اموت ملكهم واندهامهم فيما بينهم فقد صالحك ابن قبيصة وهو على صلحك مع سائر العرب ولما انقضى فهم في شغل عن الحرب بارتباك داخلتهم واطاعته على خبايا كنت عالماً بها سرّاً في كثير من ايامي علي فقلت في نفسي انه فرصة اغتنمها لحظ ما مولاي هناك من الاموال والمغار وكنت قد فقدت المزارع فرأيت الجميع في انتظار عود الامير عبدالله فطابت خاطرهم وقلت لم اني انما اتيت الحيرة لتفقد حالهم ولرؤيتهم بالعناية في استغلال الارض فلما انست من خالد ارتياحاً الى خدمتي التفتت منه حامية تلك المزارع فوعدتني - وقل هوهم على الحيرة اخذت علماً مثل الذي نصبته على هذا البيت ونصبته هناك وبعد قليل هم المسلمون على المدينة فتفهموها فظلمت في مية خالد حينما ذهب

وبسرتني ان اخبركم بان سقوط الحيرة كاد يقضي على دولة الفرس كلها لان الدهاقين وهم ولاة الفرس كانوا ينتظرون ما يكون من حرب الحيرة فلما علموا بمسقطها وهتف عرائهم لجأؤوا وصاحوا وسلموا اليه فاخذ الجزية منهم وكتب الى اهل فارس يدعوهم الى الاسلام ويهدم بالفضل فلم يكن يمر يوم لا ترى الناس قادمين ذرافات ووجداناً وخصوصاً عرب العراق وهم الصاري وبعد قليل سار خالد وانا

معه ففتح الانبار ثم عين التمر وغيرها وقد لحظت منه انه لم يجزأ على الممر الى المدائن  
 قبل الاستعداد الكافي

وفيا هو في ذلك ورد عليه كتاب من الخليفة الي بكر يأمره بالذهاب الى الشام  
 لنصرة جند العرب على فقهائها فنجحت اما معه حتى اتينا بصرى وفي محاسن واننا لا اعلم  
 مفركا فخطر لي ان اسأل راهبنا الشيخ فاخبرني بمقامك هنا فتربصت حتى تم الفتح  
 كما قدمت

وكان عبدالله وحماد صابئين يصفوان لما يقصه عليهما سلمان فلما اتى الى هناك  
 قال حماد بما ظلك بنتمه فغ الحراق فان خالد لم يفتح منها شيئا كثيرا والمدائن لا  
 تزال على ما هي والفرس لا يزالون حاكمين

قال رويدك يا - يدي ان العرب لا يلبثون ان يعيدوا الكرة واظنها تكون  
 القضية وخالد لم يأت بصرى الا مددا لجند الشام فطب غيبا ان الله سهرم انتقامه  
 من اولئك السام

فقال عبدالله وما العمل الآن

قال سلمان ارى يا سيدي ان اتى اما مع خالد كما كنت فامير معه الى اليرموك فقد  
 سمعت ان العرب معسكرون هناك يؤتمعون قتالا شديدا ويسير خالد لجندتهم  
 فقال حماد وابن اليرموك

قال في على مفرقة منا غربا على نهر يقال انه نهر اليرموك بصه في نهر الاردن  
 وقد عسكر العرب عند مائه

فنهض حماد وفي نفسو شي يكتفه

فادرك - سلمان انه يفكر بهند وجبله فقال ولا بد من ان يكون جبله مع جند الروم  
 اذا جاء اليرموك فلا اعدم وسيلة استطلع بها مفر هند فابصت اليكم بنجرها  
 فقال حماد الا ترى ان نسير جميعا مع خالد

قال سلمان لا ارى حاجة الى ذلك بعد ان اوعز اليك جبله بالانقاة هنا رينا  
 يبعث الكم فطلعه ان يفعل ذلك وانهم يعيدون عنها فتفوت الفرصة واما اذا سرت انا  
 وبقينا اتنا هنا فتكون قد امسكنا الحمل من الطرفين

اما عبدالله فظال صامتا وحماد ينظر اليه فادرك انه غمر راض عن كلام حماد

فقال ما رأيك يا والداه

فقال عبدالله الرأي رأيك يا سيدي ولكنني ارى جيلة لامل منزلولا بينهم شيء  
من امرنا اتقنا في بصرى ام رجلا عنها بذلك على ذلك سكوتهم عنا وقد اصاب بصرى  
ما اصابها من الحرب ولولا ذلك لبعثوا يفتقدونا

فقال حماد ولا نقاتلهم علما بما آلت اليه حالتنا وهب انهم علما فكيف يستطيعون  
الوصول اليها والمدينة محاطة بالعدو . فلما رأى حماداً يدافع عن جيلة قال لامل لم  
عذراً وسكت

ثم خرج سلمان الى معسكر خالد ليرى ما تمّ عليه الامر فرأى العرب قد ولوا  
رومانوس بصرى<sup>(١)</sup> واخذوا يستعدون للسير فعاذ فاخبر عبدالله وحماداً بذلك  
ومّ بوداعها فقال له حماد لا ارى ان اوصيك بافاد خبر جيلة اليها على عجل واطلاعا  
على ما تمّ لامل بنو واين م

قال سمعاً وطاعة وسأنيك الخبر سريعاً ثم ودعها وخرج  
ولم يكن سلمان اقل من حماد فلحقا على همد وقد شارك عبدالله في ارتباؤهم من  
جيلة فعول على استطلاع كثر الامر وافاد ذلك الى سيده وفي اليوم التالي اقلع خالد  
وشرحيل وحنداهما الى اليرموك

## الفصل الثامن والسبعون

### \* وقعة اليرموك \*

ولما تكامل جمع المسلمين في اليرموك بلغ عددهم ٢٦ الفا منهم تسعة آلاف بقيادة  
خالد فهم الف من الصحابة من جملتهم مئة من شهداء وقعة بدر الكبرى<sup>(٢)</sup> ومن قوادم  
ابو عبيدة بن الجراح وعمر بن العاص وشرحيل واسفيان بن حرب وكانت الحرب  
بينهم وبين الروم قبل قدوم خالد تسانداً اي كل ابر على اصحابه لاجلهم احد<sup>(٣)</sup>  
وكان ابو بكر قد ولي خالداً القيادة العامة على جند الشام كافة والناس يحسبون

(١) الواقدي (٢) ابن الاثير (٣) الواقدي

ابا عبيدة بن الجراح اول منة بتلك القبادة فوقع بين المسلمين اختلاف من هذا القيدل فلما جاءهم خالد حاول جمع كلتهم وقد ادرك ما في نفوس بعضهم فوقف في الجهادير وقد اجتمع الامراء حوله وقال « ان هذا يوم من امام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا الغي اخلاصا جهادكم وارضا الله بعمالكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاطعوا قوما على نظام وتعبية وانهم يتساهدون فان ذلك لا يجل ولا ينبغي وان من ورائكم لو يعلم ذلكم حال بينكم وبين هذا فاعلموا فيما يؤمر به والذي ترون انه رأيي من واليكم ومحبة » قالوا « مات فما للرأي » قال ان اما كرم لم يعش الا وهو يرى انا سنهاسر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين ما قد غفيم وازفع للمذركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم بيلد لا يتنصه منه ان دان من الامراء ولا بزيك عليه ان داسا له - ان تأمر بعضهم لا يتنصم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعلم فان هؤلاء قد تنهوا وان هذا يوم له ما بعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردم وان هزمونا لم نفلح بعدها فلهلم فلتعلموا الامارة فليكن بعضنا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني انا امر اليوم » فامروا وهم يرون انها كخرجاتهم وان الامرا لا يطول<sup>(١)</sup>

فجيب سلمان لحجارة خالد وحزمو ولكنه اخذ منه وصولو بمحاول الخروج لك معسكر الروم ليرى جلة او يسع خبرا عن هند فصعد الى رتبة على ضفة ذلك النهر ونظر الى معسكر الروم فرأه قد ملأ النضاء وقبو الرابات والصلبان فامعن نظره فيه فرأى معسكر الفمانين منفصلا الى جانب وشاهد راية جيلة وفسطاطة في وسطه فحدثته نفسه ان يسير اليه ولكنه خاف ان يستنقشة المسلمون اذا رأوه فيوقعوا به شرًا فرأى ان يذهب اليهم بجيلة المجاسوسة فعول على ان يخاطب خالدا في ذلك فسار الى فسطاطه فرأى الامراء يتزاحم فيه وقد اجتمعوا للمفاوضة في امر الحرب فهاب الدخول مخافة ان يسع انتهارا فصبر حتى ارفض الجميع وبقى خالد وحده فالتبس الدخول عليه فاذن له فدخل وقبل بك فقال خالد ما خبرك قال هل يا ذن لي بولاي بكلمة اعل فيها نسما

قال قل

قال هل بمنن من يستطلع اخبار العدو وبسر قوائهم ومواقعهم وعدد جندهم

قال لقد فعلنا ولكني ارى انك احذرهم بذلك

قال اني عيّد مطيع فاذا رأيت ان اسير في الامر فعلت

قال سر وانعل

فقبل بك وخرج فتزّيا . ربي الغسانيين وسار حتى اختلط الغسانية فالتقى بأناس عرفهم في البلقاء فظنوا كان معهم من ذي قبل فاستطلعهم خبير هند فعلم انها مع والدتها في دمشق ثم استخبر عن قوات الروم فعلم انهم في كثرة وفيهم عشرون راية بعضها لاهل الدولة وبعضها للجنادات من الارمن<sup>(١)</sup> والسريان والمصريين وان جملة الجند ٢٤٠ ألفا ما عدا العرب المصرة من الغساسنة وغيرهم<sup>(٢)</sup> فوقع في نفوس من ذلك رهبة وخاف انتصار الروم وتردد في الرجوع الى خالد ولكنه قال في نفسه اذهب الآن الى المسلمين فاذا رأيت فيهم تضعف فررت الى الغساسنة

فلما سدل الليل ثنابة عاد الى معسكر المسلمين واطلع خائدا على حال الروم

فقال خالد لا يهنا امر كثيرتهم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله

فقال سلمان ليست القوة في الكثرة يا مولاي ولكنها في الانواء فقد علمت ان هؤلاء الجند ينقسمون فيما بينهم لا غللاف اغراضهم وشاربهم . ثم ودعه وخرج وهو يفكر في طريقة يوصل بها خبره الى حماد

فلما اصبح الصباح سمع التكبير والاذان في معسكر المسلمين وقد قام الناس وقعدوا واخذوا يتأهبون للقتال فوقف ينظر الى كثرة نظامهم فرأى خالدا قد وقف في وسط الامراء وامران تنظم الجيوش كراديس فقسم الجند ٢٦ كروسا وجعل قلب الجند كراديس واقام فهو ابا عمته وجعل الميعة كراديس وتاجها عمه . وبن العباس وشرحويل ابن حسنة وجعل المصرة كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجعل على كل كروسي رجلا من الشيعان . وفيما خالد يعي الجند على هذه الصورة سمع بعضهم يقول ما اكثر الروم واقل المسلمين فقال خالد لقل ما اقل الروم واكثر المسلمين اما اكثر الجند بالنصرونقل بالخذلان فوالله لوددت ان الاشقر ( يعني فرسه ) يراهم من توجيه

وانهم اضعفوا في العدد وكان الاشقر قد حفي في معبره ثم امر ان يبدأ القتال فحاذر سلمان ان تصيبه نيلة فتنتي وهو خائف ان تعود العائنة على المسلمين لقتلهم وكثرة الروم فوقف في معطف يؤدي الى جند الفماسة فرأى على مقربة منه رجلاً من جند المسلمين وتوقاً فتألمهم مرأى بينهم ابا سعيان وكان قد عرفه في بعض اسفاره مع سيد عبد الله الى انجاز فتذكر ما كان من حديثه في بيت المقدس وكان قد رآه يوم اعتناقوا الاسلام عند فتح مكة فاستغرب وقوفة هناك والحرب متعلبة فندنا منه وابو سنيان لا يراه فسمعه يحاطب رفقاءه فيقول « يا مشيخة قريش ومهاجري الفتح (وم الذين هاجروا يوم فتح مكة واسلموا) لا يهتبا من هذه الحرب الا الانجاز الى الغالب فاذا غلبت الروم كما معهم واذا انتصر المسلمون فاننا معهم » فحجب سلمان لكلامه وعلم انه اذا اسلم خوقاً على حياتي لا رغبة في الاسلام ولكنه ظل في ريب من هذا الامر فاصاح بهم لولا يفرقة بعد ذلك فراه اذا تفهت العرب وتقدم الروم قال « ايه يا بني الاصبر » (يعني الروم) واذا مالت الروم وتقدمت العرب قال « ويح بني الاصفر »<sup>(١)</sup> ولم يكدا ابو سنيان يتم كلامه حتى صاح باعلى صوته آه فظنروا واذا ببيلة اصابت احدي عينيها ففقأها فقال سلمان في نفسه لقد نال هذا الرجل جزاءه وخاف سلمان البقاء هناك فلا يصاب ببيلة فصار الى ناحية اخرى والحرب قد حفي وطبها فرأى بريداً قادماً من جهة البلقاء فعرف صاحبه وكان قد عرفه في انجاز فممن به بريداً قادم من المدينة يخبر جديد مفرس سلمان في صاحب البريد فراه مسرعاً وعلي وجهه امارات البغضة فناداه فوقف فقال سلمان فل تريد الامير خالداً قل نعم ابن موقال في المعصية ولحي اوصالك الى مصطاطو قساراً معاً وعينا صاحب البريد على الجند وحرر كانوا فلما رأى جند العرب ظافراً لم يبالك ان قال « ألم يكن مقدوراً لاني بكر ان يسمع بخبر هذا النصر قبل وتو » فقال سلمان وهل مات ابو بكر

قال نعم لقد مات واذا اما جئت بخبر

فقال سلمان ومن تولي بعده

قال تولي الامام عمر بن الخطاب وهو رجل ذو نطش وقوة وحزم



فبغت سلمان لذلك الخبر وقال الا تظن وفاته توشى شيئا في مجرى الاحوال  
قال كلا ولكن عمر يفضل ابا عبيدة على خالد وقد افندني بعزل خالد عن قيادة  
هذا الجند وتولية ابي عبيدة على اني لا ارى ان البلغم الخبر قبل انتضاء الواقعة لئلا  
ينقلبوا ويختلفوا فيما بينهم . فقال سلمان حمنا تفعل فقل لي ما الذي حمل الخليفة  
عمر على نقل القيادة الى ابي عبيدة العلاء اشجع من خالد

قال كلا ولكن ابا عبيدة رجل كريم الاخلاق لئن سهل حلیم رؤوف وهو اقدم  
في الاسلام من خالد والقيادة تحتاج الى حكمة وتأن اكثر من حاجتها الى الشجاعة  
قال سلمان نعم ولكنني علمت ان النبي سى خالدا « سيف الله » أفليس هو  
احق بالقيادة . قال واكنه ( سامع ) سى ابا عبيدة « امين الامة » وكان يحب صحبته  
والالتصاق به (١) والحق يقال ان كليهما فرد ولكن للجافة رأيا في ذلك فانه سخط  
على خالد بسبب حكاية وقعت منه في ايام ابي بكر

فقال سلمان هم بنا نجلس في مأمن ربنا ننفضي الحرب لانهم اذا رأوك لا ينفكون  
عن مؤالك حتى تغبرم بموت ابي بكر وعزل خالد  
فاستحسن صاحب البريد الرأي وعرج مع سلمان الى شجرة ارايا وراء جذعها  
فاخذ سلمان يصفه عن كيفة موت ابي بكر وولاية عمر

فقال صاحب البريد لما احس مولانا الخليفة ابو بكر بدنو الاجل واسفاه عليه  
دعا كاتبه عثمان بن عفان وقال له اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر  
بن ابي قحافة الى المسلمين اما بعد . . . » ثم اغي عليه وكان عثمان وسانر الصحابة لا  
يرون احق في هذه الخلافة من عمر بن الخطاب لاشتهاره بالعدل والحزم فاتم  
الوصاية عثمان من عند نفسه فكذب « اما بعد فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب  
ولم آلكم خيرا » ثم افاق ابو بكر من غيبته فقال لعثمان اقرأ فقرأ ما كتبه فكبر ابو  
بكر وقال « اراك خفت ان يخذل الناس ان مث في غيبتي هذه » قال « نعم »  
قال « جزاك الله خيرا عن الاسلام واملو » ثم قرأ هذا العهد على الناس ولما قضى  
ابو بكر بايعوا عمر وهو الآن خليفة خليفة رسول الله وقد سمع امير المؤمنين تحلفا  
من تكرر انظ خليفة لمن يتولى الخلافة بعد

وفيا ما في الحديث واعينها شائمة نحو المعركة رأيا جدد الروم قد تهنروا وعبر  
العرب خندقهم واستولوا على اسلحتهم وفر الروم ومن نصرهم من العرب المصرة وغيرهم  
وتم النصر للمسلمين ولم يبق الا القليل حتى عاد المسلمون بالغنائم من الالاث والخي  
والاسلحة وغيرها - فمضى سلمان وصاحبه نحو مضطاط خالد فرأياه عائدا وحوله الامراء  
على غير نظام لما دار بينهم من احاديث النصر

فحالما وقع نظر خالد على صاحب البريد عرفت ان فتيحة قد انقضت الى انفساط  
فاذن بدخوله فدخل وانبا خالد بموت ابي بكر وخلافة عمر وعزل وولاية ابي عبيدة  
فاوصاه خالد بكتمان الخبر عن كل انسان <sup>(١)</sup>

اما سلمان فانه عاد الى مضاعفاته بامر هند وذيق عذو انهزام جيله وخاف ان يكون  
قد قتل ثم علم ببقائه حيا قال يكتبو للدهاب اني حماد بطلمة على ما علمت عن هند  
ولكنه اراد استطلاع نية المسلمين ووجهة مسيرهم قبل ذهابه فقصى اياما يبحث عن  
ذلك فعلم انهم عازمون على دمشق فخاف على هند لعلها فيها وود لو يعلم اين  
والدها وما هو عازم عايده بعد شيوخ العرب الى الشام فعول على استطلاع ذلك من  
جمله وقد علم بانهم اخرجوا من معسكر العرب يبحث عن جهة مسيره فقبل له انه سار  
في جملة من همزى الروم الى حمص والامبراطور مرقل فيها فنقصد حمص

## الفصل التاسع والسبعون

### \* خبر مفاجئ \*

تركنا حمادا وعبدالله في بصرى ينتظران عود سلمان بنجر اليرموك ومقام هند  
وحامد كبير القلق لا يرتاح له بال على هند وقد حدثت فتنة بفسر اصحابها او بنقل  
بتهدة على اثر ما فاساه في سبل الحصول عليها من الاسفار والاختطار وتنها له انها  
خرجت من بصرى وذهبت مساعده كل ادرج الزباج فعظم عذو الامراء فانس في نفوس

(١) ابن الاثير وابن خلدون

سهلاً الى المسير اليها واستطلاع ما في نفسها من قبله ولكنه لم يكن يعرف مقرها فلبث  
 ينتظر رجوع سلمان بالخبر اليه

وكان يتلهم بالخروج الصبد ونحوه وهو لا يبدأ له بال وإدرك عبدالله في ذلك  
 وهو يجهل و ينتظران ينفر حاد من همد ويلبس العدول عنها من ثلثاء نتمو وقد  
 فاته قول القائل

واذا تألفت القلوب على الهوى \* فالتاس تضرب في حديد بارد  
 فكان يصاحبه الى الصبد ويكثر من محادثته في شؤون عياله الآ مسألة هند  
 فانه لم يكن يخفيها قط . ولم تض ايام حتى سمع بانغزام الروم في اليرموك فصارا  
 يوقعان سرعة رجوع سلمان

ففي ذات يوم نهض حماد صباحاً واخذ يتأهب للفروج الى الصبد وفيها هو يقتش  
 بين الثياب وملاحه عنده على السرعة التي البستة اياها همد يوم السابق ولم يكده ينظر  
 اليها حتى اخذ قلبه لما رآه في ذاكرته من حوادث الحب فمطمعوا احتياجه في بصري  
 لا يعلم مقر حبيبته مع ما ظهر له من جفاء والدها وفنور والد ( عبدالله ) وما  
 قام من المحروب ما زاد الامر اشكالا . فوقف يرهه ينظر الى الدرع ويقاها بين  
 يديه وهو غارق في بحار المطامس حتى غلب عليه اليأس وكادت الدموع تتناثر من  
 عينيه وكانت عبدالله غافلاً او متغافلاً عن ذلك وقد خرج لقضاء حاجة له وترك  
 حماداً في الغرفة وحده

فلم يكده حماد يخلو بنفسه حتى سمع سهيل جواد غير جواد وغير جواد عبدالله  
 فاتبه بغتة واطل من النافذة فاذا يراكب ترجل ودنا من الباب وهو في ريب من  
 امره فامعن حماد نظره فيو فلم يعرفه فلاقاه الرجل بالباب وقال هل هنا منزل  
 الامير عبدالله العراقي

قال حماد نعم هو هنا

قال وابن ابنة الامير حماد

قال هو انا ماذا تريد

قال ان بعض الناس في حاجة اليك ينتظرونك في دير مجبرا  
 فلما سمع حماد ذكر الدير خفق قلبه والتمس بقدم القادم فقال للرسول اني سامر

الى هناك علي عجل فودعه وركب وعاد حالاً  
فاسرع حماد في لباسه قبل ان يأتي عبدالله ولكنه لم يكمل يخرج حتى لقيه عبدالله  
فاستغرب ركوبه قبله فاعتذر بأنه يود الخروج لزيارة الدبر وحده فاذعن له وعوفي  
ربيب من الامر

فهمز حماد جواده ولم يتف الا امام باب الدبر فرأى هناك فرساً عرف انه من  
افراس اهل صرح القدير فاستشر ودخل الدبر يطاول بعنقه ويمدق بعينه فرأى  
امراً عرفها لاول وهلة انها من خادمات هند وهي التي حملت اليه الرسالة الاولى  
قبل ذهابه الى بصرى

فحينه وممت بتقبل يد فرد السلام وامان حاله يقول قولني ما حرك . فمشت  
امامة الى غرفة هناك فبعها فلما وصلا الفرقة مدت يدها الى انيابها واستخرجت مندبلاً  
دفعته اليه وهي تقول ان . يدتي هداً . تعلم عليك وقد ارسات اليك هذا المندبل .  
فقلب المندبل بين يديه فاذا فيه كتابه كتب بالدم بالاحرف البطيئة وهي قولها  
« لم تكذ نفرح بختاننا من ذلك التملب حتى عاد الى صاحبه والذي وعاد الى مطلبه  
الاول وانك تعلم ان الموت اعمون مرأساً علي من ذلك فادركني في فطات الفرصة  
فاني مقيمة في دمشق ولعل حامل كتابي ان يدك ايضا حاك » فلم يفرغ من  
قراءة هذه الكلمات حتى ارتدت فرائضه وانتهت الى المرأة يستطلعها الخمر فقالت ان  
مولاتي هنداً مقيمة في دمشق في منزل قرب كيسة مريم وقد بعثني بهذا الكتاب  
واوصني بان اسلمه اليك يداً بيد في هذا الدبر فعشت الرجل حتى اتى بك من  
بصرى وهذا هو الكتاب

قال نعم قد قرأته ولكنني لم افهم حقيقة المراد فهل ثعلبة الآن في دمشق  
قالت كلا بل موقع سيدي جبلة في جدد الروم بمحصر  
قال وما الذي جمعه بالامير جبلة وقد كنت اعلم انها تتجاسن  
قالت نعم انها كانا متخاصمين ولكنها تصافيا بعد انكسار جنودهما في واقعة الزيردك  
فقال حماد وكذلك يتصافى العدو ان اذا اصابا بسوء معاً وماذا جرى بعد ذلك  
قالت وكنا مقببين في دمشق مع سيدي هند والدنيا وسائر الحاشية كما ذكرت  
لك فلم ندر الا وكتاب وارء من سيدي الامير جبلة الى سيدي الاميرة سعاد يدينها

يقرب قدومه مع ثعلبة الى العام اعقد اقتراحو على هند في اثناء مهادنة العرب فلم تتمالك  
سيدتي عند تلاق الكتاب عن ان تخبر همدًا و فاسرت سيدتي هند التي واقعة الحال  
وبعثني في هذه المهمة وواصتني ان التي اليك الامر كما وقع لندبر في اقادها فانها  
تفضل الموت على الاقتران و

فلما سمع حماد ذلك الحديث ثارت الحمية في رأسه وانفدت نيران الغيرة  
في قاه وودع لوان له الخنجر ليظهر الى دمشق حالاً ولكنه لبث برهة يفكر ثم قال  
للرأه وابن ثعلبة الآن

قالت هو مع سيدي جيلة يجار حصص ولكنني اضله اقلع قاصداً دمشق  
فازداد قلقاً واخذ يخطر في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم قال لها ارحمني الى سيدتك  
واخبريها اني قادم اليها على عجل وربما وصلت دمشق قبلك  
قالت وماذا يؤكد لها اني لفيك وتقصص عليك الخبر ألا تذكر لها علامة  
تبين لها ذلك

فمكر قليلاً ثم قال قولي لها ان صاحب الرد والحمام قادم اليك وهذا يعني  
فودعته وركبت وركب الخادم ورجعا

اما هو فوقف يفكر في حاله مع عبد الله وتردد بين ان يعود الى بصرى فيخبر  
بجيلة الخنجر او ان يصر توتاً الى دمشق فليست به في حيرة حتى خاف ان تموت الفرصة  
فذهب الى غرفة الراهب الشيخ فاذا هو متكئ في حمائه فرحب به وسأله عن امره فقال  
لقد جئتكم بوضعة ارجو ان تبلفها الى الامير عبد الله  
قال وما ذلك

قال اذا اتيته قل له اني سرت الى دمشق لامر هام وساعدوا هو فاذا استبطأ في  
فليدركني هناك

قال سافعل ذلك ان شاء الله  
ودعاه حماد وخرج على حماده قاصداً دمشق



## الفصل الثمانون

### ❁ هند في دمشق ❁

فلترك حماداً سائقاً فرسه الى دمشق ولتذكر ما تمّ له بعد سفرها من صرح الغدير فقد تركها بعد وداع حماد حاترة منقضة النفس وقد خافت ذهاب آملها ادراج الرياح لما آمنت من جفاء والدها على امر ما سمعت عن نسب حماد . فلم يكده يتطارى حماد عن عينيها حتى اجمعت بالخلع قلبها فانزوت في غرفة وحيدة الى البكاء وكان والدها في شغل بأمر اهل النصر بالاستعداد للمسير في صباح الغد فجاءت -سدى الى غرفة هند وقد ادركت حالها وتوقعت بكاءها فاخذت تطيب قلبها وتؤنّبها بالوعود وهى لا تزداد الا بكاء فقالت سدى لا يفيدنا البكاء يا ولداً وإنما نحن في موقف حرج لا بد لنا فيه من الحكمة فاصبري وتبصري عسى ان تكون العاقبة خيراً

فتنهت هند وصاحت بها « دعيني يا اماه لتدكفاني ما قاميت من انطاع الشقاء وما سمعت من الوعود فقد كان عذرهم في رفض جهلك نعمة ثم قبلته على غموض نصو فإياكم وقد علمت بغير يف اصلو تترددون اليك ذلك لسوء حظي وللشفاء الذي كتبه الله عليّ » قالت ذلك واوغلت في البكاء فبكت سدى لبكائها ولكنها تجلّت وطببت خاطرها وقالت لها اسكتي لئلا يسمع والدك صوت البكاء فيزيد الحرق انصاعاً اما انا فاني ضامنة لك ما تريدن فان حماداً لك وانت له فلا تجزعي واخذت تخفف عنها حتى سكن روعها ومحت آمانها ولبنت صامئة وقد ذبلت عيناها وتمكرتا وتكمرت اهداها واخذت تراجع في ذاكرتها ما مرّ بها من الاطوار بسبب الحب وكيف كانت قبل ذلك المباح خالية الذهن ساذجة لا تعرف متاعب الهوى وكانت تنعزى بها ترجو من لقا المحيب ولكنها تذكرت انه خرج من الصرح منقضى النفس منكسر القلب فكتبت اليه ذلك الكتاب الى دير مجبراء تلتبس صبي

وفي اليوم التالي سافر اهل الصرح جميعاً الى البقاء فاقام هناك الا جملة فانه سار الى الامبراطور هوفل في حصن قاصد باعداد الرجال من غسان وغيرهم وكان

ثعلبة قد ضعف امره واهله جيلة لما قام بينها من الضغائن بعد وفاة الحارث ولكنه اصبح بعد ما عرفة عن نسب حماد موالاً الى مضافة ثعلبة لعله يتزوج هنذا فيبقي ملكة من المخروج الى الماذرة . فلما احتاج الى الرجال من غسان اضطر الى استقدام ثعلبة فكتب اليه فاجاب برجاله وانضم الى رجال جيلة وما على ظاهر الفتور ثم علم جيلة بقدم المسلمين الى اليرموك وبصرى فخاف على اهلوه في اللقاء فاستقدمهم الى دمشق واسكنهم بيتاً مع نساء بعض اصداقائه من رجال الروم هناك بالقرب كنيسة مريم واشتغل هو في حرب اليرموك وغيرها فلما قضى على جنده بالانهزام في وقعة اليرموك شعر بزيادة الميل الى مضافة ابن عمه ثعلبة وذلك طبعي في جسم العرمان بل هو جار في سائر انواع المحبة فانذاراً بآيت دبوكا في منزل تلك النحاصم وتضارب وقد عمر عليك مضافاتها اجتمعها في قصص وامنع الطعام والماء عنها فلا تلت ان تراها قد اصطحبت وتضافت . كذلك الناس فانهم لا يزالون في خصام وتناحر حتى يصيبهم . ولا يندمل جميعاً في مصيبة واحدة فترام قد تأملت قلوبهم وانضط عن المواقف . فلما اصيب الغساسنة في اليرموك اجتمع جيلة وثعلبة للظفر في احوال الجند وكان ثعلبة قد ذاق مرارة الجناة وصغرت نفسه فلما رأى من ابن عمه مؤانسة وتقرباً زاده رقة وامتناساً فاجتمع قلوبها . ولم تطل المضافة قبل ان جرئها الى حديث الاقتران فتعالتا وتفاكيا لما مر من الجناة بينهما فاعتذر كل منهما عذاراً التخلها لنفسه وكان ثعلبة اكثرهما مروراً بذلك لانه اصبح بعد موت والده ضعيفاً مرفولاً . وقد علم انه اذا تزوج هنذا كان الحارث الوحيد لرتاسة غسان جميعاً وكان قد درس اخلاق عمه جيلة وعرف امهال قلبه فتظاهرها ينطبق على نيات حتى حبيب اليه ماهرة ووعده بهد

اما جيلة فانما حلة على مصاهرة ثعلبة استبقاء الحكومة في بني غسان وانقاذها من الماذرة ولولا ذلك لما رأى في ثعلبة ما يقربه منه او ينضله وحماداً فلما تحقق ثعلبة رضاه عمه سألته عن يوم الاقتران فقال جيلة اري ان يكون بعد انقضاء المحروب بيننا وبين المسلمين

فقال ثعلبة ولكن تلك المدة لا حد لها يعرف وما ادرانا متى تنضي وكيف يربح بالنا واهل البيت مقيمون في دحق ونحن لا نستقر على حال فاذا رأى عي ان يستجمل الاقتران كان ذلك اقرب الى جمع الشمل

فاجابه جيلة الى مرامو وكانا يحوران حص بعد وقعة اليرموك فكتب جيلة الى سعدى بنيتها بتيجه ما دار بينه وبين ثعلبة وبين الوجه الذي حمله على اختياره دون حماد فقال « وفي زواج هند بـثعلبة لمن في الملك في القماسة وتخلصه من خطر الوقوع بين ايدي المناذرة » ووصاها بالانهاب لعقد الاقتران قريباً ولم تتم سعدى قراءة ذلك الخبر حتى تناثرت الدموع من عينيها لما تخشع على هند اذا علمت بما نزلها والدها وعادت تلاقى الكتاب بتمعن فادركت سبب تفرز وجهها على حماد وندمت على ما فرط منها من اطلاقه على حبيبة نسب حماد وشمرت انها في السبب في كل هذه المتاعب فرأت انها مطالبة شرعاً باقضاء استنها من مخالف ثعلبة فضلاً عما في نفسها من الاحتقار له فاحذت تفكر في طريقة فصل بها الى ذلك والوقت ضيق لا بأذن بالصبر والثبوت وكانت هند تلاحظ فيها ارتباكاً ونسألاً لها عن السبب فتجاهل وما زالت سعدى في مثل ذلك يومين كاملين حتى خافت فطأت الفرصة ورأت اخيراً ان تتقدم حماداً على عجل وهند لا تعلم فاذا حضرها ورثت في الامر . فكتبت الى حماد الكتاب الذي تقدم ذكره بحبر من الدم استغنائاً له على القدوم وبعت الكتاب مع خادمة بعرفها حماد كما تقدم

## الفصل الحادي والثمانون

### ❁ حصار دمشق ❁

ولم يتوار حماد عن بصرى حتى ادرك صعوبة المسير الى الشام وحده وهو لم يطرق تلك البلاد الا قليلاً . واقرب الطرق بين هاتين المدينتين تمر في حوران والحما وكلا الصقعين وعمر خطير وهناك طرق اخرى تختلف بعداً ووعورة فلم ير له بداً من اصطحاب الدليل فاختر دليلاً من سكان بصرى فصار شالاً يقطع الجبال والوديان والسهول والغابات لا ينأى الا قليلاً ولكنه تاه من فاضاع يوماً كاملاً حتى اعتدى الى الطريق فبعد بضعة ايام اشرف صباحاً على غوطة عظيمة وقد استقبلها بوجهه الشمس من ورائه فظهرت له ظهوراً واضحاً فاذا في مساتين واسعة الاطراف فيها الانجراس



الشمس والرياح والوز والبرقان والحوخ والمفرجل والكرم وسائر اصناف الفاكهة تجري بينها الانهار وتتناغي فوقها الاطيار وظهر له من وراء تلك القوطة ابنة تطارت وراء الغبار . فوقف ينظر الى ما حوله وقد نصب جماده فسأل دليله عن تلك الابنة وهك الغبطان فقال انك يا مولاي في غوطة دمشق المشهورة بغياضها وبساتينها ومباهها وما تلك الابنة التي تشبه لك من وراء القوطة الا دمشق السيام مقر طلي الروم فقال حماد وما هذا الغبار الذي يكاد يحجب المدينة عنا

قال لا ادري ما هو ولعله غبار جنود الروم وقد خرجت للدمشق او هو غبار جنود المسلمين فقد بلغني بالامس من بعض القادمين من جهات اليرموك ان المسلمين لما غلبت الروم هناك عزموا على دمشق ولا يبعد انهم جاؤوها وحاصروها

فاستعاذ حماد بالله وخاف ان يكون كلام الدليل صواباً فيمتنع عليه الدخول الى المدينة وربما وقع بين ايدي المسلمين - يراً ولا يدري ما ينبغي منهم فتذكر سلطان لاحتياجه اليه في تلك الحال وتدم لمحيته منفرداً ولم ير لديه من يستعين ويعتمد عليه غير ذلك الدليل وكان الدليل شاباً من عرب الفسامة المقيمين في بصرى في العشرين من عمره يتكلم العربية والهويانية فقال له حماد انعرف دمشق وهل دخلتها قبل الآن قال اعرفها جيداً وقد اتمت فيها اياماً وكثيراً ما احتتها مع والدي لوفاء الدور او الصلاة في كنيسة ماري يوحنا المهدان

فقال حماد وهل تعرف كنيسة مريم

قال نعم اعرفها فانها في شارع مستقيم طويل يقطع المدينة من طرفها الغربي الى الطرف الغربي اي من الباب الغربي الذي يستقبلنا عند اول وصولنا المدينة الى الباب المقابل له في الطرف الآخر منها في الغرب ويقال له باب الجبابرة

فاستبشر حماد باصطحاب هذا الدليل ليمتحنه في الوصول الى منزل هند فاخذ يتكلم في معاشته ويسترضيه بالاكرام والمدايا وهو يزداد رغبة في خدمته وبعد ان وقفا برهة ركب حماد وسار الدليل في ركابه وسارا في القوطة والاشجار تظللها ولم يسيرا قليلاً حتى غابت المدينة عنهما ثم اشرفا على مرتفع اطلأ منه على سهل امام دمشق فرأيا بالخيال والاعلام والحقول والرجال قد ملأت ذلك الفضاء

فامعن حماد نظره فاذا في اعلام المسلمين وخيامهم وتحقق ذلك ما شاهدكم وراهما من مراض الجمال وساكُن النساء فابقن بعرقلة مسمعوه وطمأنته لن يستطيع الدخول الى دمشق وخاف الممصر الى مسكر العرب لئلا يستغفوه فيلغط بوضراً فوقف حائراً لا يدري ماذا يعمل وفيما هو بهم باستنهام الدليل عن سبيل يدخل في المدينة مع قرقعة لجم ووقع حوافر دخول على الحصى في جدول جفت مابؤة بين الأشجار فارحس مخوفة وحول عان جواده نحو الصوت ونهبا للدفاع طار الدليل فانهدر بين الأشجار يتشوف من خلالها وحماد يصيح بصعده فلم يكذب نفث هتفه حتى سمع صوتاً يناديه باسمه فتحقق قلبه لاستنهامه بذلك الصوت فاجابه الخول « من انت » ثم ادرك انه صوت الامير عبدالله ولكنه استبعد ان يراه هناك وعهدت بومقيم في بصرى ثم ما لبث ان رآه قادماً على جواده ووراءه فارسان عربيان فتحقق انه هو يمينه وحس بانجراج الازمة واستغرب مجيئه فاذا ببعد الله قد ترجل وضم حماداً وقبله .

فقال حماد ما الذي جاء بك يا أبتاه

قال جئت لحراستك يا مولاي وقد علمت من الراهب الشيخ انك شخصت الى الشام فاسرعت اليك لعلني بما قد تلقاه من العراقيل في سبيل الدخول اليها وقد صادف ظني محلة وشكرت الله لجيئي لاني رأيت العرب محدقين بالمدينة وقد حاصروها حصاراً شديداً ولولا سابق معرفتي ببخاذه بن الوليد لما تمكنت من خدمتك وقد مضى علي يومان اطوف هذه البقاع ومعى هذان الفارسان توفع وصولك لتضرب بك الى خالد وقد امنّا ووعد بمحاطتنا

ففكر له حماد واثني على غريته وسأله عن حال المدينة فقال انها في حصار شديد لا يدخلها ولا يخرج منها احد . طانت ما الذي جرّك الى هذه المخاطرة . فنصّ عليه حكاية واطلعه على كتاب هند والحجل ظاهر على وجهه

فحدثه نعمة ان يثني عزيمة عن هدهد ولكنه علم انه لن يصادف منه احداً فضلاً عما قد يلجأ اليه من التستر في اعماله فشجته وقال له لا بأس عليك يا ولدي فان ثعلبة

لم يستطيع دخول المدينة ولن يستطيع

فقال وما الذي اباك بعدم دخولك

قال لم يهتني احد واكتفي عرفت ان الفاسقة كلهم وفيهم جبلة وتعلمة متبون في  
حصن حوقا من هجمات المسلمين وكان هرقل قد اعتمد مع جند الروم لفتح دمشق  
فلم يستطيع دخولها فعادوا على الاعقاب<sup>(١)</sup>

قال وما العمل الآن

قال هلم بنا الى معسكر خالد فانهم يتوقعون عودتنا لنقيم بينهم وتكون في ذمتهم  
الا اذا احببت الرجوع الى بصرى فان ذلك آمن لنا وانى

فصمت حماد ولما ن حاله بقول « كيف اعود عن دمشق وهند محصورة فيها »  
فاهدر عبد الله قائلاً لا بل ارى ان نقيم مع المسلمين لعلنا نمتطعم امرأ نفقذ بوهندا  
من الخطر . فابترقت اسرع حماد لما آتته من مجارة عبد الله فقال . نعم الرأي رأيك  
فهم بنا . وهما بالمدبر نحو دمشق فقال الدليل هل ترى حاجة اليه بعد الآن يا سدي  
قال حماد نعم ارى ان تبقى معنا لعلنا نحتاج اليك في شيء ونحن في مأمن ولك  
عليها خير مكانة

فاذعن وسار معهم ونياهم سائرون بين الفياض خاطب حماد عبد الله بلما ن اهل  
العراق لئلا يفهم الفارسان . هل ترى جند العرب كثيرين حول دمشق

قال هم عديون وقد تفرقوا فرقا احداها فرقة خالد عند الباب الشرقي في الشرق  
والاخرى فرقة الي عينة عند باب الجابية في الغرب والثالثة فرقة عمرو بن العاص  
عند باب القاديس وفرقة شرحبيل بن حسنة عند باب آخر وفرق اخرى عند  
الابواب الاخرى وهناك فرقة بقودها جبار عند ينال له ضرار بن الازور تطوف  
حول الاسوار<sup>(٢)</sup> ويخال لي ان الروم لا يستطيعون الصبر على الحصار

وما زالت سائرين حتى اشرفوا على معسكر العرب عند الباب الشرقي فرأوا الخيول  
والجمال ترعى في البساتين ومما العبدان والحشم ورأى النساء في اخيذهن يتخذن  
بامر الجهاد ومن مشتاقات البواشنيق الابطال الى ساحة القتال

فلما وصل المعسكر انطلق فسطاط خالد فدخلة عبد الله وحماد بلا معارض وكان  
خالد جالسا في صدر المكان فرحب بها ودعاهما للجلوس فظفر حماد الى من في  
السطاط فرأى روماس صاحب بصرى الى جانب خالد وقد تمتم بالعمامة وتزمل

بالرداء العربي وغادر الفلسفة والطبلسان وكان خالد قد استقدمه معه ليترجم بينه وبين الروم فنهرّب حماد من مجلس خالد ومن أصدق يومن الأمراء وفيهم جماعة كثيرة لم يعرفهم ولكنه رأى الشجاعة والاقدام تلوحان على وجوههم فتقدم عبدالله الى خالد فعرفه بجاد فأنشئ خالد عليه وقال ان غلامك سيزداد زينة بالاسلام . فسكت عبدالله ولم يجب .

اما حماد فلم يكن في الأمان وحالها في دمشق ولولم يطعنه عبدالله بعد ثعلبة عنها لما صبر على البقاء هناك ولكنه ما فتئ يفكر بحيلة يدخل بها المدينة ليرى هناك ويطمئن ويحس في اقاعها

وبعد قليل استأذن عبدالله خالداً بالخروج الى خيمة اعتك له فخرج وخرج حماد معه حتى اتوا الخيمة فقال حماد وما الرأي الآن اني ارى هناك في خطر ونحن في مأمن فلا بد من حيلة ندخل بها المدينة

قال نهل يا سدي لعلنا نتوفى الى ذلك في القدر . وباتت تلك الليلة واقفا في الصباح على اصوات الأذان والصلاة فقال عبدالله لا اراما نستطيع شيئاً طالما كنا في هذا المعسكر لم بنا الى معسكر ابي عبيدة عند باب الجابية لعلنا نأمن خيراً فبعثا كائهما من الجند وتركوا الدليل في الخيمة حتى اتوا معسكر ابي عبيدة فدعاها الى خيمته وكان عبدالله قد عرفه وسمع بسهولة اخلافاً وطول اناته ورغبته عن منك الداء فبعد السلام والترحاب قال عبدالله الا يرى مولاي غارة هؤلاء الروم بامر الصلح عسى انهم يسلحون ويكنزونكم مؤونة الحرب

قال ابو عبيدة اني ارجب الناس في ذلك ولكن خالداً يطرب لمقارعة المصوف ومصادمة النبال

فقال عبدالله وما ضرّ لو انفذت اليهم احداً يستطلع رأيهم وانتم رئيس هذه الجنود والمصرف فهم

فقال لا ارى بأساً في ذلك الا انهم يحسبوننا خائفين قال ارسلوا من يستطلع رأيهم اذ قد يكونون راغبين في الصلح وهم يحسبونكم لا ترضون به فاذا صار اليهم احد فليكن كلامه من عند نفسه قال ومن لنا ان يعرف لسانهم

قال لا اظننا نعدم وسيلة - وكان حماد قد تعلم شيئاً من اليونانية في اثناء اقامته في بصرى ومعه عبدالله بن بشير بارسال حماد ولكنه جزع عليه فلبث صامياً فابتدره حماد قائلاً اني اقدم نفسي لهذه المهمة

فقال ابو عبيدة ولكلك نسر اليهم مرةً فاذا فزت بهم تلك انجحت الدماء على يدك والآن انا باقون على حالنا من الحرب - واعلم ان قائد جند الروم هناك رجل اسمه توما هو صهر الامبراطور هرقل<sup>(١)</sup> فسر اليه واستطلع رأيه من قبلك فاذا رأيت فيه ميلاً الى التعليم انبني

فسر حماد بهتو وخرج من قسطنطينية وعبدالله معه فناداهما ابو عبيدة فعادا فقال لهما اذا سرت انت بقي والدك عندنا رهناً فان النفس امانة بالصوم فرفضوا وخرج حماد وحده وبقي عبدالله هناك وقد نسّم لما جرّه على حماد وعلي نفسه من الخطر وضاق صدره وخاف العاقبة

اما حماد فانه حمل علماً ايضاً وركب جواداً طارِعاً نحو المدينة فلم يمين الاسوار حتى رأى جماهير الناس عليها وفيهم القيس بصلاتهم والجداء اعلامهم ورأى بعضهم يهيم ان يرموه بالنبال فاشار اليهم عن بعد انه اذا جاء ممالأ فكيف يفلح عن اذنه حتى اذا دنا من الباب هاله عظمة فقد كان عبارة عن ثلاثة ابواب صمّا واحداً المتوسط منها كبير ذو قنطرة واسعة الى جانبيه بايان صغيران وفي اعلى الابواب صورة النسر الروماني تحته كتابة باليونانية وفوق النسر جدار المور وفيه مرايمي الببال والناس يتزاحون فوقها ثلاثاً البعنه بالطنها المحمراء والزرقاء ما يدل على البذخ والترف وفوق رؤوسهم المخوذ من اللواذ - فناداهم بلسانهم انه يريد الوصول الى رئيسهم

## الفصل الثاني والثمانون

### \* داخلية دمشق وحال الروم فيها \*

فتزل اليه جماعة فتعلم له احد البابين الصغيرين فتدخل بجواده - ولا هو فاحدق به الرجال فتهب لذلك المرقف ولكنه تجلد وطلب ان يرى الباطن في توافقا لانه في قصر

بالقرب من كنيسة ماري بوحنا فترجل ومشى في شارع عريض قد استطل على استقامة واحدة يتبدى بالباب الاوسط ولا يكاد يرى آخره وارضه مرصنة بالحجارة الصلابة الضخمة والى كل من جانبيه رصيف عريض اوله عند احد البابين الضخمين وعلى الرصيف عند ثغمة من الرخام متراسة على طول الطريق . ولم يكن حماد دخل الدمام قبل ذلك المحين فرأى فيها من العظمة ودلائل المدينة مالم ير مثله في بصرى

فما زال مائراً وحوله الخنفرامل المدينة يطلون من الدفقات والنوافذ ينظرون البو ويغدثون باسم وهو يلفت ينة ويسرة لهله يرى هنداً بينهم وكلما وقع نظره على انثى ظنها هي وكان يخرق الصنوف لمخطو لهله يرى قبة او كنيسة على امل ان تكون كنيسة مريم حيث تقيم هند حتى مر بكنيسة علم من بعض حديث القوم انها الكنيسة المذمار لها تخفق قلبه وشاعت عنهاء وهو يلفت الى ما حوله من النوافذ فرأى جموعاً ولكنة لم ير هنداً بينهم فصار والناس حوله يتجادنون بلسانهم وقد علت الضوضاء يتخللها فرقة حوافر الخيل على البلاط

وبعد ان ساروا برهة انعطفت الى شارع آخر فآخر حتى وصلوا الى باب كبير يحف به الخدم والاعوان فوقط عند ذلك فم ان باب النصر فانتقل بعض المحرسين بالطريق بقدوم الرسول فاباًوه فامر بادخاله عليهم فجدد من سلاحه فدخل وركبته ترتعدان لمول ما يتوقفة بلافاة ذلك الرجل فدخلوا الى صحن الدار فاعجبه ما رآه في ارضها من النقوش الجميلة وفيها صور وقائع وهنات آدميين وحويلات بالنسبهم بالوان بدعة متراسة قطعاً صفيرة بصناعة فائقة . وفي وسط الدار مركبة من الرخام يتدفق الماء منها . ثم دخلوا الى قاعة مزروشة بالرياش الذين ما بهر النظر وعلى جدرانها وسقفها صور بعض القديسين وصورة الامبراطور هرقل يتاجه وصولجانه وصور اخرى دينية . ورأى على النوافذ الاستار من اللباج والمحرير المزركش بالنصب والارض مكسوة بالعباد والطائفس عليها رسوم الاسود والهود والخيول في أبداع ما يكون . فدعوه الى الجلوس هناك ريثما يخرج اليه البطريق فجلس يتوقع قدومه وهو يموت على نفسه ويغلب حتى سمع وقع اقدام كثيرة ورأى اهل النصر في هرج وتراحم فعلم ان الرجل قادم ثم رآه وقد دخل القاعة فاذا هو طويل القامة عظيم الهامة كثير الهبة وطيلسانه يكاد يبر وراه وسيفه الى جنبه وهو في رداء قصير الى ركبته

كبير الاطمان مزر كئش بالذهب . وعلى رأسه قلنسوة اشبه بالناج مرصعة بالبحجارة الكريمة  
فحاجاً . رآه حماد وقف اجلالاً له . وتقدم نحوه متأدباً فظفر توما اليه بعينين حادتين بكاد  
النور يثقي منها فهاب حماد . وظن . ولكنه تظاهر بالتهجد ورحباً بغيمة الملوك وصبر حتى  
جلس وامر له بالجاوس فجنس حماد وهو يفكر في ما يبداً به من الحديث  
فابتدرة بالطريق قائلاً العلك من هؤلاء العرب المغتربين

قال كلا يا مولاي اني غريب الديار وقد وقعت بين ايديهم بالاتفاق  
قال لقد لاج لي ذاك من شكل لباسك فاني اراك حسن البنة وهؤلاء على ما  
اعلم حياء عراة ولم يستهم البنا الا قريب آجالهم . هل انت على دينهم الجديد  
قال كلا يا مولاي اني على دين الصراينة قال ذلك واستخرج من بين اثوابه صليباً  
من الذهب معلقاً بسلسلة في عنقه  
قال العلك من الضميمة

فتحير حماد في الجواب مخافة ان يكون في تصريحه بالصدق ما يوغر صدر البطريق  
عابو فقال اني غريب الديار ولكني مقيم في بصرى الآن  
فقال ومن اي البلاد انت

فتذكر حماد الصلح الذي آبرم بين الفرس والروم على اثر الحروب الاخيرة فقال  
اني من اهل العراق ولما تم الصلح بين ملكنا وجلالة الابراطور هرقل قدمت الى البلقاء  
فقال توما وما الذي جاء بك البنا . قال ذلك ودلائل الامتثال ظاهرة على وجوه  
باقطاب حاجبو وقرسو

فهاب حماد منظره ولكنه تذكر انه ملك ابن ملك فعادت اليه انة الملوك فقال  
اذا اذن مولاي بخاتمة بمطت له بها رأيي وكان في مجلس البطريق بعض الحاشية  
فاشار اليهم فخرجوا وجلس البطريق الى جاسو . فقال حماد اقم مولاي بجرة الصليب  
والمهودية اني اتما جئت اليه انوي له والدولة الروم خيراً  
قال لقد صدقت قل ما في نفسك

قال اني رأيت معسكر هؤلاء العرب وغبرت صدم في ماحة القتال واستهلاكهم  
في سهل الجهاد فحنفت ان يطول الحصار فيصيب هذه المدينة جهداً وقد عرفت قائد  
جند العرب الاكبر وهو رجل يبال الى السلم رغاب في حجب الدماء فقلت في نفسي لعلني اذا

توسطت في امر الصلح بينكما ان افعل خيراً فاحلت في دخول المدينة لاعرض هذا الامر عليك

فلم يكده حماد بتم حديفة حتى بدت ظواهر الغضب على وجه نوما وقد اقطب حاجبو وتلمل في مفعك ونظر الى حماد بعينين براقتين يكاد الفرر ينطابر منها وقال وحزمة الصليب وصاحب مكة الكهنة ( طار الى كهنة مار يوحنا بالقرب من النصر ) ورأس الامبراطور هرقل لولم نعبق الى اقناعي بصراحتك لارتيت بحقيقة مقاصدك كيف ادعونا الى صلح قوم ساقم الفخر اليانا وغرم الجهل في سازلتنا اتخالم بحسونا مثل حامية بصرى التي خانت ملكها وسلمت اليهم ألم تكن لم عين برجعهم عن اسوار هذه المدينة خاسرين منذ بضعة اسابيع <sup>(١)</sup> ) ثم نهض وهو يقول ( اني ساعلم كيف حرب الروم منذ اليوم . قال ذلك وبدت على قبضة حسامو وهو يحضر في الفرقة غضباً فكبر ذلك الانهار على حماد وجرت دماء الملوك في عروقها وحدثت نفسا ان يفظل له بالمقال ولكنك علم اذا فعل ذلك انه مانت لا محالة فصر نعمة وكظم غبطة وقال ان الصلح لا يحط من قدر رجال الحرب ولا اخال سيدي بمجدي اجهل بعلم الروم وشك بأسمه ولكنني ظننت في الصلح حجة للدماء فاذا كنتم ترون الحرب فانتهم اصحاب الامر

وكان نوما لا يزال واقفاً فلما سمع مقالة حماد جالس الى مقعد آخر وبدت لا تزال على قبضة حسامو وقال لولا علي بجمن نبتك لما اقموت عليك ولكلك مع ذلك سنبقي في حاشيتي حتى ترى عاقبة الفرور وتري حال هؤلاء النصارى في حربنا فاستعاذ حماد بالله من هذا النجس وكذب في حشباته ان يطلق سراحه فيفتش عن هند فندم على مجيبه وظل ضائماً فسمع البطريق يادي بعض رجاله فلما حضر اوصاه ان يحفظ بالرسول ويسبقه في حاشيتي رغماً بأمر آخر . قال ذلك ونرج ممرعاً غضباً وسهقه بفرق على البلاط ورااه وطلسا يكاد ينطابر عن كتفيه وبقي حماد وخفيه في القاعة برهة ثم اشار الخنيزر الذي خرجوا واخطط حماد بالحاشية كبراد منهم لا يؤذن له بالخروج من النصر الا مهم فلبت بصبر شمة وبتوقع القدر وفي مساء ذلك اليوم سمع اهل النصر يقدحون بعزم نوما على الدلالة في كهنة



يوحنا في صباح الفد وهو صباح الاحد وانه دعا رجال حكومته واعيان المدينة للاجتماع فيها فامل حماد ان يتسم خبراً عن هدم هناك

## الفصل الثالث والثمانون

### ﴿ كنيسة ماري يوحنا ﴾

ولم يكذب يوحنا في صباح اليوم التالي حتى سمع دق النوافيس في سائر كنائس المدينة ورأى اهل النصر يتجهون للذهاب الى الكنيسة فسأل خنبره عن ذهابه فقال تعال معنا ان الصلاة لا تمنع عن طالبا ولم تمض بومة حتى خرج نوما باحسن ما يكون من اللباس فمشى وحوله الاعيان والوجهاء ورجال الدولة بافخر الالبسة من الحرير المزركش على اجمل اللوان ولزماما

وكانت الكنيسة على مقربة من النصف فلم يكن الا اقبل حتى وصلوها فاذا هي محاطة بسور عظيم الارتفاع يوقع في النفس رهبة فدخلوا منه الى باب الكنيسة الجنوبي وهو كبير مرتفع الاعتاب فدخلوا منه الى صحن الكنيسة وهو فسيح مبلط بالرخام الملون طوله نحو ٢٠٠ خطوة وعرضه ١٥٠ (١) وتخطيطه يوازي الروقة وفيها الاعمدة الماثنة من الرخام الابيض التي او الغرايت الملون باحسن ما يكون من الدقة تعالوها تيجان جميلة الصنعة على النمط الروماني اكثرها محلى بالذهب حتى اذا اشرف على الهيكل حيث تقام الصلاة بهن ما على جدران من الصور البديعة بالالوان الطبيعية وفيها الذهب فضلاً عن القوش الجميلة من السمناء البلورية بالالوان البديعة . وكان حماد كنهها النفث تمثلت له عظمة الروم في ابان مجدهم فبهت لانه لم يشاهد مثل هذه الكنيسة قط

فادرك خنبره ذلك منه فقال له ما بالي اراك مندملاً . قال اني لم ار مثل هذه الكنيسة في الشرق الا بانطاكية من هو الذي بناها من الملوك قال انه بناء اقدم من الصراية عهداً فقد كان هيكلأ وثناً من ايام الآراميين الذين ورد ذكرهم في التوراة بني على اسم اله من آلهتهم اسم رامون وكان له مذبح جميل امر آحاز ملك يهوذا ان يبني ملة في هيكل سليمان باورشليم

فلما استولت دولتنا الرومانية على الشام قبل النصرانية اتخذوا معبداً لاوثانهم حتى اذا تنصرت قياصرتنا جعله اهدم ارخادبوس قنصر كريمة على اسم يوحنا المهدان وكان قد تخرب بضعة فرمة ونقش فيه صور القديسين ومن جملة ما نقشوه آيات من الكتاب المقدس نرى كثيراً منها على الجدران والمقف واطلك قرات ما هو منقوش على الباب عند دخولنا فقد كتبت عليه هذه العبارة ( باليونانية ) « ملكوتك ايها المسيح ملكوت ابدى وسلطانك يمد مدى الابدان » (١)

ولم يكن ينتهي الرجل من حكمه حتى انتظم عند الصلاة وقام الاساقفة بهاخرم وصلبانهم وعلت اصوات الترنم والتزيم والجدران تردد الصدى حتى صمت الأذان وتغشى الناس ونظر حماد الى اجدامير مرام وقفاً وقد ولج وجوههم المشرق وسبح مقدمهم توما في كرسي من العاج المرصع بالفضة فوقه قبة من العاج بديعة النقش ولما انصمت الصلاة حول توما وجهة نحو الجماميريين صلب من الذهب مرصع بالبحارة الكريمة وامانة طاولة عالية فوقها كتاب منقش بالذهب عرف حمادة الانجيل الشريف والتفت توما وقد تغير منظره وهو يهيم كلاماً بقوله فاصفى الناس منقح الاجيل ووضع بين اليسرى عليه وفي يده الصليب بشور به وهو ينكم وقال ما معناه « اعطوا يا معشر النصرانية ان عي ومولاي جلالة الامبراطور هرقل قد كتب اليك يستعنا على دفع هؤلاء الاعراب عن اوطار دمشق واخراجهم من بلاد الشام فقد القى العنت فيها ومام بالحقيقة الا قوم جباة عراة سافهم فقر بلادهم وجذب ارضهم الى التماس الغزو من غياض الشام وغيرها وقد اجمعهم فيها ما لا قوة من ضعف حامية بصرى وقائدها روماس اليعين الذي قادة الانتقام الى التسليم . اما انتم فانكم رجال اشداء قائمون على الولاء فلا يهكم من امر هؤلاء شي . ولا احرضكم الا على الاتحاد ونبد الاختلافات المذهبية فقد ان لنا ان نفقه حالنا ونعبر بما صار اليه الناس قبلنا وما هؤلاء العرب بشيء يذكر اذا نحن اتحدنا والآ فان العاقبة وخيمة فاذا رأيتهم المخرج اليهم خرجنا واذا قنهم مرة العذاب »

( ١ ) الروضة الساء للقساطلي . ( ولما فتح المسلمون الشام اتخذوا بعض هذه الكنيسة جامعاً

ثم استقلوا جاجيماً وعرفت بالمجامع الاموي )

فقال رجل واقف بالقرب منه « ما لنا وللخروج اليهم ونحن آمنون في اسوارنا فلهمهم حتى نرى الاقامة فيتعاطب على اعقابهم »

فتأمل حماد في حال ذلك الجمع وفيهم خيرة رجال الدولة فرأى التردد والخبول مستولين عليهم وكان يحصب كلام توما يثور فيهم حمية فذا هولم يسمع منهم الا تمعة ولم ير الا قاعداً وقد فقدوا الحمية بما انفسوا فيو من الترف والذخ والرخاء وفقدت اخلاقهم وساءت آدابهم فتقابل ذلك بما آسسه في جند العرب من الانفة وعزة النفس والنداء ووجدة الكلفة فتمثلت له عاقبة الامر جللاً وابقن انها حادثة على الروم اذا لم يصالحوا العرب فلبث ينتظر ما يأتي به القدر

وحادوا من الكهنة وهم يقدنون بها سمعوه وحامد مشتغل بهند وقد حاول الخروج منرداً الى كهنة مريم فلم يستطع لما ضيق عليه توما من التجرقات فخبون لم يكن يذرفه لحظة وخاف اذا خرج فخلعه ان يرتكب ذنباً يستوجب عليه القتل فصر بهمة رغماً عنه وفي صباح الغد خرج توما رمعه رجاءه الا اغتبر فانه بقي في القصر وحامد مع طائفة في خروجهم حركة غير اعتيادية واستطلع اغتبر فقال الحمير ان البطريق سار الى الاسوار يري العرب منها بالبال ولم يأت المصاء حتى عاد الروم وفهم توما ويد على عيو وقد جاءه الاطباء مسأل حماد عن حاله ففيل انه اصيب بنيلة من ببال العرب ففأت عياله<sup>(١)</sup> وانه قداهم من ذلك كثيراً فقال حماد في نفسه فعمى ان يرجع الى حوايو ويرغب في النصيح

## الفصل الرابع والثمانون

### باب الفرع

ومضت بضمة اصابع والحرب سجال بين الجاهلين والروم ينتظرون نجيعة من مرقل والنجدة مع عنهم حتى اذا كان ذات صباح وحامد جالس في بعض غرف القصر يعماً اسيقاً اذ جاءه رسول يستدعيه الى توما فصار اليه وقبله يخفق مخافة ان يكون في الدعوة ما يدعو الى الخطر

فلما دخل عليه رآه جالسا على سريريه . قطب الوجه فحياء فاجلسه يوما الى جانبه وهو يشله فأتته حمادة رقة لم يمدحها فيه . ثم اشار يوما فخرج كل من في الغرفة ولم يبق غيرها فقال نوما دعني اتص عليك خيرا اقلقي وهو حلم رآته امرأتى في مامها البارحة وهي حامل انا الحلم فانها رأت الدماء تتدفق عن اسوار دمشق والاسواق مزدحمة بالقبلى فأخافت من نومها مرعوبة فنصت على الحيا وهي ترنعت ونقدت الي ان اقبل بها صاحب هؤلاء العرب حكا للداء ولقد ساء في اقتراحها لاني راغب في الحرب الى آخر نسمة من الحماية واكتما ابنة الابرار صاحب الامر النبي فضلا عن منزلها عتيدي وهي حامل . وادكر املك اخبرني عن ابي عبيدة قائد فقة باب الحماية انه ميال الى السلم قبل تظن اذا خابرناه يوفعل ويحفظ عهدك .

فاستبشر حماد بذلك وانترجمت كربة وقال لا ريب عدي يحفظ العهد اذا عاهد

قال اتذهب اليه وتمتطع رأيه في ذلك سرا وتعود بالخبر  
قال امين ذلك ما مورا طائعا فذن بن : شدني الى الطريق ويخرج في من  
الباب وانا اسير الى الرجل واخطبه

قال قد اذنا لك بذلك ولكنني اشتط في امر الصلح شرطا لا دمنة

قال وما من

قال اريد من هؤلاء العرب اذا دخل المدينة ان ينفقوا الارواح ويحبوا الدماء  
طوبى لوكما لما كانتا ولا ينصحا عليهما بها كريمة

فقال حماد لا اظنهم يحلوننا في ذلك وعلى كل فاني اسير اليهم بالامر طعود اليك بالمحارب . وكان حماد يكلم نوما وهو معجب بتنازلوا الى هذا الحد . على ان خيال هند ما زال نصب عينيه فخطر له ان يقتنم تلك الفرصة للاستعانة به على تسهيل زواجه بها وقال في نفسه لا اخالي ارى رجلا اقدر على مساعدتي من صهر الابرار وهو الآن في حاجة الي فاذا استعنته ووعدني فقوله ناذر على جملته وغيره

فتوسم نوما في حماد توقفا وترددا فقال له ما بالك تتردد عليك خفت الذهاب الى العرب . قال كلاً يا مولاي فاني اقيم المخاطر في سهيل اناذ او املك ولكن لي امرا يعني ليس هنا محل الكلام علي اني لا ارى بد من استعانتك فيه وهو من اسهل الامور عليك فاجعل مساعدتي في انما مو مكافأة لي اذا قربت في عند الصلح على ما تريدون

فقال توما وماذا عسى ان يكون طلبك  
قال اخاف اذا ذكرته ان تفحك مني وتظنني مشتغلاً بعيب الغلمان ولكل الامر  
يا مولاي قد اقلنتني ولا ارى بدا من استعانتك فيو فاعذرني  
قال قل ما هو

قال اتعرفون الامير جيلة الغساني  
قال اليس هو ملك النمامسة حليفنا  
قال لي يا مولاي هو هو يعني  
قال وما خبره

قال حماد اقول الاختصار اني خطبت ابنته هندا ثم ان ابن عم لها يقال له ثعلبة  
يعنى في الحصول عليها وقد قبل والدها ولكن الفداء لا تريه ونظراً لما اعهدت من  
نفوذكم على جيلة ارجوان توعظوا الوان يعطيني الفتاة

فبسم توما وقد تذكر ايمان شهاب وزمن عفو فغدر حماداً وطرب خاطر وقال  
انه امرسل لك عابنا تضاقه فانبسطت نفس حماد ومال الى مشاة هند وتشرها  
بذلك الوعد وهم بائنتان توما ان يرب بكيسة مريم اثناء ذهابه اذا هو قد ابتدره  
فانلاك « فاندبم اليك ان تسرع في مهنتك فتسير حالاً الى مخاض ابي عبيد فاذا  
عقد الصالح وهدأت الاحوال زفنا اليك هداً رضي والدها او لم يرض »

فشكر له حماد شكراً جزيلاً وقد عول في باطن من علي ان يخال في المرور  
خلسة ثم سمع توما ينادي اثنين من حاشيته فانبا فقال لها اعدا مركبة من مركبات  
القصر احملها هذا القباب العراقي الى باب الجاية حالاً وافعلها الباب وليركب  
جواده هناك ولما اتا فانظرا رجوه فتى عاد ارجعوا الى هنا  
فقالا سمعاً وطاعة وخرجوا جميعاً وحماد آسف لمير في المركبة اذ لا يتأني له  
الوقوف عند الكيسة

وتعد برمة اعدت المركبة فركبها فخرجت مسرعة وقد تماثلت فرقتها على بلاط  
الدوارع وخصوصاً الشارع المستقيم حتى اذا دنت من كيسة مريم غنى قلب حماد  
وشاعت عينها وهو يلبث نحو الدواب والدرقات لعله يرى هداً او احداً من اهله  
فغاب رجاءه وشبوازت الماركة الكيسة وهو يصيح بصعوخة ان يناديه احد وتحول

فرقة المركبة دون سماع النداء ولكنه ما لبث ان وصل الى باب الجابية فوقفت المركبة وكان جنوده هناك فكره وخرج والعلم معه حتى اتى معسكر ابي عبيدة فلم يستقبله احد من العرب فمارتوا الى خيمة عداقه وهي في الطريق فرآه جالساً حزينا لا يشغال بالو فمالا وقع نظره عليه بنض مسرعا وضمة الى صدره وسأله عن سبب شياؤهم فقص عليه الخبر فحمد الله على سلامته ثم سأله حماد هل سمع شيئا عن سلمان فقال لا لم اسمع عنه شيئا ولكنني ارسلت دليلا الى بصرى لعله يراه هناك فيخبرني به فمأرنا ولم يعد الدليل بعد . فاندخل بال حماد ولشما رمة يتخادنان في امر جلة وجند فقال عبدالله اظننا اذا تم الصلح بين العرب والروم لا نعدم وسيلة في العثور على سلمان فيها بنا الآن الى ابي عبيدة ثم نهضامنا حتى اتوا فسطاطة فرحب بها فقص حماد ما اشترطه نوما من امر الكنائس من الاموال فقال ابو عبيدة لقد قبلنا بذلك فلهزل من يعتمد من رجاله لعقد الشروط

فودعهم حماد وداد الى دمشق وقد مضى معظم النهار فوصل القصر فرأى امه في هرج وضجة فقال عن السبب فقبل له ان امرأة الطريق توبا ثمخض والطريق عندها ينتظر ساعة الولادة<sup>(١)</sup> فقال امهط الي من بينته رجوعي فأناؤه فخرج اليها ومارات الغنة ظاهرة على وجهه فقال ما خبرك فقال ان الامير ابا عبيدة قبل بالصلح فارسل من تعينه لعقد فامرته من كبار القصر ان يخرجوا في صباح الغد ومعهم حماد وقال لم اتى مستغل في ما تقاسوا به الامبراطور من آلام الخاض وعنى ان ياتي الفرج قريبا

## الفصل الخامس والثمانون

### ﴿ صلح الشام ﴾

وكان الليل قد سدل ثقاله فباتوا تلك الليلة طاصبا وقد نهيا عنه منهم بالالسة الرسمة وحملوا الاعلام والصلبان وساروا حتى اتوا باب الجابية وكان حماد أكثر

الناس رغبة في ذلك الصلح إلا بقرب الوصول الى هند  
فلما وصلوا الباب كان بعض العرب هناك وعليهم ابو هريرة قد قاموا ينتظرون  
وقد الروم فأبناهم حماد بما اتوا من اجلو ففتحوا الابواب وخرج الوفد باعلامهم  
وصلبانهم وقد تكسرت اشعة الشمس عن خوذهم وقلانسهم طردتهم المختلفة الالوان  
وصلبانهم المرصعة بالمحجارة الكريمة مما يهر الا بصار ومشى ابو هريرة ورجاله في مقدمتهم  
حتى اتوا معسكر ابي عبيدة فلما اشرفوا على المضارب اوعز اليهم ابو هريرة ان يتزعوا  
الصلبان <sup>(١)</sup> فتزعوا حتى وصلوا الى فمطاط ابي عبيدة فاستقبلهم بالحفاوة وعقد مجلساً  
امضوا فيه الشرط وفي جلستها ان يتركوا الكنائس على ما هي . وكان في دمشق عدة  
كنائس منها كيسة مرم وكيسة بوحنا المعدان المندم ذكرهما وكيسة سوق الليل  
وكيسة الحار <sup>(٢)</sup> فكتب لهم ابو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيو اسمه ولا  
اثبت شهوداً فتناولوا الكتاب ودعوه لصحبتهم ليدخلوا المدينة معاً فقام ابو عبيدة ومعه  
٣٥ من اعيان الصحابة وسار الجميع وفيهم عبد الله وحماد . فلما وصلوا باب المدينة  
وقف ابو عبيدة وقد تذكر امرأه ما ذاك امة احلته يتو رضي بالصلح وقل بدخول  
المدينة مع عدوه ولم يخافه ريب من غدر او نحو ولكنه لما وصل الابواب ورأى  
الامطار وفوقها المجدد بالالحة تخوف وتحذر فقال لمن معه من الروم انا نطالب منكم  
الرهائن قبل الدخول فبقى منكم اناس رهناً عندنا حتى اذا حدث غدر ذهب ضحية  
الفدر . فتركوا بعضاً منهم وسار القاتون حتى دخلوا الابواب واقتبلوا على الشارع  
المحتفيم وقد تزاوج فيو الناس وفي مقدمتهم الائمة والرهائن فلما دخل ابو عبيدة  
استقبلوه بالاناشيد واعذروا عن تخلف البطريق ثوما لانفساوا باهل بيتو ثم مشوا  
بين يديو على مسرح القعر وقد رفعوا الاناجيل والمناخير وفيها الخوري يصعد دخانة  
حتى حجب عنهم المخر الفارح فساروا يهتفون شكراً لله على حجب الدماء والاعلام  
تخفق فوق رؤوسهم وبينها اعلام المملين والروم معاً

وكان الدمشقيون يطلون من النوافذ وعن الاسطحة والشرقات رجالاً ونساءً ولولاداً  
وكلمهم فرحون بنجاة انفسهم واموالهم لان اهل البلد اكثر الناس نفوراً من الحرب لانها  
عائت عليهم بالمحاصرة في اي حال

لما حماد فكان مفتغلاً عن تلك الضوضاء يعلل نفسه بقرب اللقاء وعبد الله الى جانب وكان الموكب هائلاً يبطه ففد صبر حماد وهو يتعوف من خلال الاعلام والصلبان الى كنيسة مريم عن بعد وقد عوّل على ترك الموكب ودخول الكنيسة خلسة ليرى هذا ويبصرها بانفراج الازمة

## الفصل السادس والثمانون

### ﴿ خصام ابي عبيدة وخالد ﴾

وفيا هو في ذلك تراءى له في آخر الدارع جموع قادمون نحو الموكب فراراً من اناس يطاردونهم فامعن نظره فرأى مع المطاردين اعلاماً اسلامية ورجالاً من المسلمين في ايديهم السيوف والرماح وقد اسعط في الناس قتلاً ونبأ ورأى في مقدمة الاعلام علماً اسود عرف انه راية العقاب لولد بن الوليد ثم ما لبث ان رأى الفارين يتقدمون حتى التفتل بالموكب عند كنيسة مريم ثم دنا خالد فلما رآه ابو عبيدة عجب لامر وناداه قائلاً « كب يا ابا لحان قد فتح الله على يدي المدينة صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال »

فصاح فيه خالد « وما الصلح لا صلح الله بالم وامن لم الصلح وقد فتحها بالسيف وخضعت سيوف المسلمين من دماهم واخذت الاولاد عبيداً ونهبت الاموال »

فقال ابو عبيدة « اعلم ايها الامير اني ما دخلتها الا بالصلح »  
فقال خالد « انك لم تنزل مضلاً وابا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لم حامية فكيف صالحهم »

فقال ابو عبيدة « انني الله ايها الامير والله قد صالحت القوم وقصد السهم بما هو فيه وكنت لم الكتاب »

فاغترضة خالد طرقت الصباح منها وقد شخص الناس اليها واصحاب خالد لا يزالون يفلون وينهبون وكانوا قد دخلوا المدينة من الباب الغربي وهم لا يعلمون يصلح الي عبيدة ولكنهم اغتبطوا الفرصة باشتغال توها ورجالها بالنصر والولاء



فقال ابو عبيدة « وانكلاء حضرت والله ونقض عهدي » وجعل يقسم على المسلمين ان لا يدخلوا ايديهم نحو الطريق الذي جاء هو منه حتى يرى ما ينقو هو وخالده عليه فسكنوا عن النهب واجتمع رجال المسلمين هناك وتنازعوا في الامر فتم الرأي على الذبول بالصنع على ان يخرج توما وهرمس ( وهو دلي على نصف الدمام من قبل توما ) وفيما هم في الجدل جاء توما وهرمس وذكر ابا عبيدة بالمهد وقالوا اذا ايتم صلحنا فاننا نخرج من المدينة ونكون في دستكم نحن واطمنا واسوالنا وبعد جدال طويل قبل خالد بذلك <sup>(١)</sup>

فاخذ توما بئامس للمروج وكان حماد في جملة الوقوف يسمع ما دار من الحديث فلما علم بخروج توما على هذه الصورة ارتبك في امره ولم انة ان يرجو منه نفعاً ولكنه عول على دخول الكنيسة ومقابلة هند فاستأذن عبد الله فقال لم ندخل معاً وتركنا الناس في تراجمهم وعرجا نحو الكنيسة فاذا هي ممتلئة فلتسأ مفتاحها فظن الصليب انها يريدان بها اذية فذكرهما بالمهد فقالا اننا لا نريد امراً غير الزبارة ونحن مسبيون . فلكم فتش لما اناب فسأل ح د عن قيم الكنيسة فقدم اليه قميص شيخ وكان مخفياً في المبهكل وهو يخاف الفلك فلما رأى الرجلين برسان علامة الصليب اطمأن باله فسألهما عن مرادهما فقدم اليه حماد وقيل ين وقال هل يقيم في هذه الكنيسة احد من الغرراء . قال الفديس لم نجر الحادة ان يقيم الناس في الكنائس قال واذا اريد هل يقيم احد في بعض الغرف الناضجة للكنيسة

قال لا يا سيدي ولكن اهل ملك غسان وكلهم من النساء كن منيات عندنا ومعهم الخدم ولكنهم خرجوا جميعاً منذ بضعة اسابيع فاضطرب قلب حماد وقال وقد ظهرت الفتنة على وجهه وإلى ابن خرجوا قال لا ادري ولكن رجالاً جاؤا من قبل الامم رجلة اقاموا هنا ساعات قليلة ثم خرجوا جميعاً . فوقف حماد برهة صائناً وقد نسي موقفة وغلب عليه اليأس وجعل يفكر في ماذا عسى ان يكون سبب رجوعهم . فاعاد السؤال ووضحه فلم ينهم شيئاً آخر فقال وهل تذكر انهم خرجوا من هذا المكان قبل حصار المدينة او بعد قال اظنهم خرجوا قبل الحصار

فبغت حماد وقد اسقط يده ونظر الى عبدالله كأنه يستطيع رأيه فقال عبدالله  
 اظن الملك جيلة انفذ في طلبهم لما سمع بقرب الحصار فصار على اليه  
 فتعاطم الهأس على حماد ومكر في الامر يسيراً فلاج له ان هنذا لا نخرج على هذه  
 الصورة ما لم نترك له خبراً او اشارة وخصوصاً بعد ان كتب اليه لتسجيل قدومه اليها  
 فقال للنفس الا ترشدنا الى المذل الذي كان يقيم به اهل جيلة

## الفصل السابع والثمانون

### ﴿ الاستطلاع ﴾

قال القميس سمعاً وطاعة وخرج بهما من بعض ابواب الكهنة الى زقاق ضيق  
 لكهنة مرصف بمجاعة عطية شأن ارقه مدنى على اختلاف عرضها وانصرفوا من  
 الرقاق الى منزل لا يظهر من ايو ووره انه يلقى بسكى المالك على انهم ما لبثوا ان  
 دخلوا داره حتى تبست لهم منزلة من الاتقان والزخرفة ولكنهم لم يعمدوا غير  
 الماء في بركة تدلت فوقها اغصان الصصاف وفاحت رائحة الازهار لما احاطوا به  
 جوارب المكان من اغراس الرياحين فوقف حماد ومو يتوقع ان يرى احداً او يسمع  
 صوتاً فلم يلبس غير المكوث فشى الى باب رآه في صدر الدار فتمتد وصعد في سلم  
 ومعه عبدالله فانتهى الى رواق مشى فيه فاطل من نافذة مفتوحة تطل على غرفة مقفلة  
 الابواب فتناول بهفو يتطلع ما فيها ورأى شيئاً منزوياً في بعض جوانبها عليه لباس  
 النساء فناداها فصاحت وصوتها يرتجف قائلة ليس في هذا المكان احد من الرجال  
 فاذا كنتم تريدون النهب فاشعقوا على النساء

فاختلج قلب حماد لما سمع ذلك الصوت وتسم منه شخصاً بهرقة فقال لا تخافي  
 يا خاله فما نحن من الاعداء ولا يريد بك شراً ولما نحن نسأل عن اهل ملك غسان  
 فلما سمعت المرأة صوت حماد دنت من النافذة وترصت فوفى عرفانها خادمة هند  
 التي حملت اليه الكتاب في دير مجبراء ولما في محالها عرفت قالت الملك سيدي حماد

فقد كنت التي حنني في انتظارك

فقال انهي الباب ولا تخافي واخبريني خبرك

فتفتحت الباب وسمعت يده فقبلتها وقالت والبغلة لا تزال ظامرة على وجهها وقد  
امنع لونها « لقد خرج اهل الملك من دمشق منذ اسابيع وتركوني هاهنا في انتظار  
قدومك لاطلقتك على خبرهم فقال غيايلك حتى يثبت من لقياك ثم حوصرت المدينة  
ووقع ما وقع فيها من القتل والهيب . ولما سمعت وقع اقدامكم الان حبيتكم من العرب  
الفاصحة فحنفت واخضبت في هذه الغرفة فتمكر الله علي ما حصل »

فقال حماد اخبريني يا حلة ابن سيدتك هند

قالت لقد خرجت من دمشق مع والدتها وسائر الخدم بامر والدتها قبل المحاصر  
قال طين في الان

قالت اظنها في بيت المقدس لان سدي الملك بعد ان انفذ اليها ان تأهب  
للافتران بالامر ثعلبة عاد فكتب الى سدي ان تأهي سريعاً الى بيت المقدس لانها  
ابعد عن الحصار من دمشق والظامرة سمع بعزم العرب على حصارها . ففقد ذلك  
على سدي وخافت ان تأهي است ولا تعلم بمصيرها فاستفتني هاهنا لافص عليك الخبر  
فنظر حماد الى عبد الله وقال ما الراي يا امير

فقال لا حيلة في الواقع يا مولاي فان مقامنا في دمشق لا يجدينا نفعا وارى ان  
نغتنم اول فرصة للخروج الى بيت المقدس

فالتفت حماد الى المرأة وقال لها وانت ماذا تفعلين

قالت اذا بقيت حية سأذهب الى بيت المقدس

قال ان الحرب قد انقضت وتم الصلح فلا بأس عليك ولكنني لا اظنك تستطيعين  
الدخول وحدهك وانت امرأة

قالت انما استطعت ذلك لاني امرأة لان هؤلاء العرب شديدو المحافظة على  
الاعراض فاذا اتيت احدهم كان لي عوناً في ايسالي الى حيث اريد

فقال اوصيك اذا اتيت بيت المقدس وكانت هند لا تزال هناك ان تقر بها مني  
السلام وتخبرها اني قادم اليها على عجل ان شاء الله

قال ذلك ونحوه مسرعاً وعبد الله معه ثم قال طين بالاسراع الى بيت المقدس

قال عبدالله علينا قبل الذهاب ان نعمل استعنا فانها في معسكر ابي عبيدة  
قال لا بد لنا من الاضطرار بما بدأ البال وتسكن الاحمال فودع ابا عبيدة  
ونشكروا على حسن واداءه وتصرف ولعله يصحنا من يدفع عنا خطر الطريق  
فخرجوا من المنزل فلحقا النعيس فودعاه وخرجا الى الشارع وكان الناس قد  
استأمنوا وهدأت الاحمال فمارا نورا الى قصر الحاكم قرأيا المسلمين قد تغفلوه ووضعوا  
أيديهم على ما فيو وامل توما يحملون الاحمال ويخرجون مهرولين وفيهم النساء والرجال  
فأسفا لما انتهت البؤس حال هؤلاء وتذكر حماد انه توما يوم لقيه في ذلك القصر  
فاعبر وتأمل

وقضوا بقية ذلك اليوم والناس في هرج بين مهاجرة وتسلم ولم يستطعوا مقابلة  
ابي عبيدة ليخاطبوا بشأن الذهاب

وفي اليوم التالي دخلا عليه فاذا هو قد ازداد رفعة بعز البصر وكان جالسا على  
علي كاتو وهو يكتب الى الامام عمر بن عبد العزيز فتحيا حتى انتهى من الكتاب فدخلا عليه  
فرحب بهما وش لهما وخاطب حمادا قائلاً انك خدمت هذه المدينة خدمة تستوجب  
الثناء عليها لانك كنت الباسطة في حجب الدماء

فخجل حماد لذلك الاطراء وقال اني لم افعل شيئا يستوجب علي ثناء وان ما  
حصل من الصلاح انما كان من رغبة الامور في السلام ثم حماد ان يذكر له عزمة على  
الخروج الى بيت المقدس ولكنه لم ير شيئا الى ذلك فصمت فادرك عبدالله ذلك فهو  
فخاطب ابا عبيدة قائلاً لقد اتينا بامولاي تهتك بالفتح الذي تم على يدك ونصنا ذلك  
بالانصراف

فقال ابو عبيدة والى انن تصرفون

قال ان لنا في بيت المقدس املاً يريد النزوع اليهم

ففكر ابو عبيدة مدة ثم قال لم يأن زمن الانصراف بعد فاللبط في ضيافتنا اياما  
نحمن وفادتك بعدما عاينم معنا في زمن الحرب ثم تصرفون وبعكم رجال ما حتى  
تبلغوا ما منكم

فلم ينجوا عبدالله على مراجعة ابي عبيدة ولست صامتا على به العود الى الاستبدان  
في فرصة اخرى ولكنه استأذنه في الخروج الى المعسكر ليجنولي على الامتعة

فقال ابو عبيدة ان اتمتعكم وخبولكم في ما من مع امتعتنا في المعسكر ونحن خارجون اليها لانا لانحب الافاق في النصور خوفاً من الانفاس في الترف

## الفصل الثامن والثمانون

### ❀ مهمة خطيرة ❀

وفي الفد خرج الجميع الى المعسكر وقد اقتسموا الغنائم ونزل كل في خيمته وكان عبد الله يتوقع عود الذليل من مهمته التي سار فيها الى مصرى فلم بعد فلم انه انما رغب في الذهاب فراراً من غائلة ذلك المحصر فلما وما قلغان على سلمان وهما محاولا مخاطبة ابي عبيدة مرة ثانية في المسير الى بيت المقدس فلم يلكا فرصة لانتقالوا في تموير الجند لفتح سواحل العام وغيرها من البلاد فصرا ريتا نسخ العرصة فمضت ايام وما طى ذلك حتى اصبحا ذات يوم وما على مثل الجبر في انتظار الخروج الى بيت المقدس يتوقمان حيلة بخرجان بها قرأيا بعض الجند في هرج وساعة فخرجا فاذا هما بهيجان قد دخل المعسكر وعليو غبار الاسفار فعرفا انه رسول من الامام عمر الى ابي عبيدة ثم رأيا به ترجل ودخل فمطاطة فلما ينتظران ما جاء و

وبعد فذهبه خرج الرسول وجاء بعض الفاتمين في خدمة ابي عبيدة والتمط من عبد الله وحامد الذهاب الى فمطاط الامبرحالا . فاجما خيمة اثلا يكون في تلك الدعوة ما يدعو الى التأجيل

فلما دخلا رأيا ابا عبيدة في صدر الفمطاط والى جانبو خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وغيرهما من الامراء فحيام فامرهما بالجلوس

ثم قال لما مخاطباً عبد الله « لقد اتأني في اخي ( و اشار الى خالد ) انكم من اهل العراق ولم اكن اجهل ذلك ولكني دلت منكم من امراء العراق العارفين باحوال تلك البلاد وقد شاهدنا من اخلاصكم في خدمتنا ما دانا الى تكليفكم امراً نتموجون طيو الاجر والخطاب

فازداد عبد الله خوفاً من تلك الدعوة ولكنه تظاهر بالارتياح وقال اتنا في

خدمة الامير طوع اراد تو

فقال لقد جاءنا رسول مولانا امير المؤمنين الآن يدعونا الى نصره اخواننا في العراق وان نغذاهم جيداً من خير تلك الارض<sup>(١)</sup> فاريده ان يسير مع تلك النجدة وفي ذهابكم خير لكم وخدمة مجد الجواد

فقال عبد الله ان امرؤ ولاي الامير مطاع ولو اسديني الى حيث اراد لفعلت ولكنني خرجت من العراق منذ اعطيت ولا ادري ما طرأ عليها من الخير والشر فاشئ ان لا يكون في ذهاني فائدة لكم . وزد على ذلك اننا منعناو البال على بعض اهلنا في بيت المقدس

وكان خالد مصعباً لما يمدون عبد الله وكان يتوقع ذلك الجواب منه فقال له لقد سمعت من خادمك سلمان يوم صلح الحبيزة انك صاحب عتار وكلمة نافذة وقد حبا لك مالك واهلك في ذلك الصلح فكيف تعذر عن الذهاب . قال خالد ذلك وعلامات الغضب تكذب تظهر على وجهه فخاف عبد الله عاقبة اعتذاره فاعذره قائلاً اني لا اعتذر عن الذهاب بل ذلك فرض عليّ ولكي اود ان اتفقد الذين في بيت المقدس ايضاً

فقال ابو عبيدة فليذهب اليك حماد الى بيت المقدس ونحن نصحبك بن بوصلة اليها وسرنا الى العراق وكنت دائماً انا نحافظ على اهلك ولديك محافظتنا على اهلنا لانيك في ذمتنا واعلم ان سفرك الى الباق لا يطول لان الفتح قريب ان شاء الله فاذعن عبد الله صاغراً لعلوا ان تردده ربحاً حاج غضب خالد لما يعلم من شدته وتصارعه

اما حماد فشئ طيب فراق عبد الله ولكي تأسى بقرب مشاعقة همد فقال عبد الله هل يا امرؤ ولاي تسهر ولدي هذا قبل خروجه قال نعم سندبر في القدر ما انت فلا بد من قائك بضعة ايام ريثما يتأهب الجمد للذهاب

ثم خرج عبد الله وحماد الى الحيرة ذابوليان على شيء . وانا تلك الليلة لا حديث لهم الا حديث ذلك الفراق وفكر طويلاً في الفرار ولكنها خافا العاقبة اضلاً عما

حسبها من تجسس العمون وما قد تكون عاقبة العرار لو قبض عليها - ولو كان حديثها مع ابي عبيدة لما انخلص لما يعطون من - سهولة اخلاقها اما خالد فانه - روع الانتقام وفي الفدركب حماد وودع عبدالله وتبعه على اللقا - في بيت المقدس واذا اضطر حماد للخروج قبل محبي - عبدالله فليترك له خبراً في كبسة القيامه هالك - ثم سار حماد الى ابي عبيدة فودعه فقال ابو عبيدة وهو يتهم سر بخرامة المولى وزوجوا ان لاقبك قريباً في بيت المقدس وقد نحتاج الى خدمتك هالك مثل حاشنا اليها في دمشق - فادرك حماد انه يدور الى قرب ذهابهم لحصارها فتجامل ولم يجب فاسرا وعبيدة ببعض الرجال يسهرون معه لحمايو اثناء الطريق فسار وعينا عبدالله تراعيانو حتى تبارى اما هو فلما ابتعد عن دمشق تذكر هذا وحالها وخجل له انها تزوجت بشعبه فارتعدت فرائضه واكته قال في نفسه انها لو كانت تقبل به لما انفذت في طايهي الى دمشق ثم امتنعت خادمتها لاستعدادها الى بيت المقدس ثم فكر في طول مدة غيابها فنجيل له انها يمست من قدوس فاضطرت لجارة والدعا والقبول بشعبه فتضى معظم الطريق في مثل هذه المواجهات

## الفصل التاسع والثمانون

### \* خيبة المسعى \*

وصل حماد بيت المقدس فتزل في دير بالقرب من كبسة القيامه حتى اذا استراح قليلاً خرج للبحث عن هند في دير القيامه نفسه فاخذ يفتش ويمتطلع لعله يتهم خبراً فلم ير احداً يعرف جبلة ولا اهله ولم يكن حديث انوم الا الحرب وعواقبها وكلهم خائفون مما سمعوا عن سقوط دمشق فقال في نفسه لا ذهبن الى فيم ذلك الدير لعله يبيننا نبأ وكان يونانياً فسار اليه فقال له القيم ان اهل الملك جبلة نزلوا هنا اياماً ولكنهم مافروا منذ اسبوع فاجاب حماد وقال هل مافروا جميعاً نساء ورجالاً قال لقد كان النساء فقط عندنا ولكن رجالهم اتوا منذ اسبوع وانما هنا مافات فلهذا ثم اقلعوا جميعاً الى حيث لا يعلم احد

فقال حماد ألم يتركها شيئاً من ائمتهم هنا . قال تركها منها ما لا قيمة له من ثقل الاحمال هبة المدبر ولم يأخذها الا ما خف حمله وغلامته

فبهت حماد لذلك الخبر وقال في نعمو وهل ثعلبة معهم ثم لم يردّ من اعادة الموال فالتفت الى القيم وقال له انتقم اليك ان تعبرني سمك ولا يفل عليك سواي لان هؤلاء القوم بهتي ارمم وقد كنت في دمشق اقاسي عذاب الحصار فلما تم صلحها ائمت لا فتش عنهم فلم تعرفت اشخاصهم جيداً

فاهتم القيم لمحدث حماد عن حصار دمشق وكان شديد الرغبة في سماعه

فقال له وهل عابث الحصار بنفسك ورأيت جند العرب رأيت العين

قال نعم رأيتهم واخططت بهم وسمعت احاديثهم

قال الا قصصت عليّ حديث الحصار

فاضطرب حماد ان يقص طوبى الخبر مختصراً استجابة لرضاء لعله يصبر على استئذنه

فلما انقضى الحديث امتنع لون القيم وهو راغب طاعن في المنّ فقال وما ظنك بهم هل بأنون البنا

قال اظنهم بأنون اذا لم يجدد الامبراطور مرقل الهبة في التجديد والترميم فان

هؤلاء العرب اشداء صبورون على القتال ولكن الله يحمي عباده . فاخبرني الآن عما

تعرفه من امر اهل الملك جبلة

قال اما وقد اصحت لي عن رأيك بعد ان خبرت الامور فاخبرك يا ولدي ان

سقوط دمشق اوقع العرب في قلوب رجالنا فاصبح كل منهم خائفاً لا يأمن على نعمو

ولا اهلوك وكذلك جبلة فانه اسكن اهله في هذا الدبر وفي عزيم ان يعقد لابنته الوحيدة

على ابن عمها . . . . . فله بينك وبينهم قرابة

قال لمست بيننا قرابة ولكن لي مع الامير جبلة شغلاً هاماً قال ذلك وهو ينتظر

بقية الخبر ليرى ماذا تم من امر الاقتران

فقال الراهب ولكنني لحظت من الفتاة نفوراً شديداً من ابن عمها هذا وكان

والدهما قد كنني باقناعها

فارت الغيرة في قلب حماد واصبح كله آذاناً لسمع نهاية الحديث فقال وهل

انقصت



قال كلاً يا ولدي لا يبا كنت شدة النور وكنت اذا سالها اجابني والدموع مل عينيها تعتذر والدعها لا تلومها

ولم يتم الراهب كلامه حتى تناثر الدمع من عيني حماد فضاغل باصلاح كونه و اخفاء لمواطنه وقال لقد عني ارمك ابتداء وارى من الظلم ان تحرمها على الاقتران برجل لا تربك

قال الراهب بعد صدقت يا ولدي ولدك فان السابعة الصمدانية حلت هذا الممكن على امون سهل

فقال حماد وكيف ذلك

قال الراهب ان ابن عمها المزارع او قتل في بعض المواقع الاخيرة فاجل حماد احوال اللغة وقال هل تعلمت ذلك يا مولاي لعل الذي قل هو غير المخاطب

قال بل تعلمت انه مولاي في سمعهم يتحدون بمكائيتهم وكأنهم يهون هذا بذلك فقال حماد الا تذكر اسمك

قال اذكر ان اسمك لعانة

فايقن حماد بخبايا من ذلك لما طر ولكنه ما زال في ريب من مفره ووالدها فقال وماذا فعلت بعد ذلك

قال الراهب وتي اهل حلة عندنا بعد ذلك اباناً حتى شاع سقوط دمشق ونصرة المسلمين فوقع الرعب في قلوب الناس وجاء جملة وممة بدخ الحاشية من رجاء فاسرعوا في حل استنهم ما خف حمة وعلائمة وجرعوا خروج المارين من الموت ولا ادري الى اين

فوقف حماد صامئاً وقد تغير في امره لا يدري ماذا يعمل فمعه ما انتاره الى عبد الله وولاه وهو بعد عنها فاطلمت الدنيا في عذو وضاق صدره فقبض للحال فودع الراهب واصرف الى حجرته وهو غارق في لمحج المحاجس لا يفتة جهة مسرعة



## العصل التسعون

## ﴿ سلمان ﴾

وكان حماد في اثناء مسيره الى الدبر تائهاً في بحار المهلجس بفكر تارة في همد وطوراً في سلمان وطأه في عبدالله حتى عظم عليه الامر ومخل له ان المسالك سدت دونه فضلاً عما كان يمرض سبيله من احوال الحرب وقد اصبح أهل الغمام في هرج على اثر سقوط دمشق واخذوا في المهاجرة زرافات ووجداء الى مصر او بلاد الروم او غيرها فوصل الدبر وهو لا يدري انه وصل حتى اذا كان على مقربة من غمرته رأى عند بابها رجلاً كان جالماً ثم مرةً ملاقاته وحالاً وقع نظره عليه علم انه سلمان فناداه باسمه فترامى سلمان على يده وقبلها وشكر الله على لقاءه فقال حماد اهلاً بك ايها الصديق لقد اطلت الغياب علينا فاذا قمنا من الوحشة مالم يبق لنا صبراً عليه فنجعل سلمان لذلك الاطراء وقال لقد غمرتني ايها الملك بنضلك فدعوتني صديقاً لك وما انا الا من بعض خدمك

فلما سمع حماد لفظ الملك قبلت له حالته وتذكر حكاية النذر والانتقام وما شغلته عن ذلك من شغل الغرام وما انتهت اليه حاله من اليأس حتى كابر الايام قد كسبت عليه الشقاء فلا يكاد يقترب من صيد حتى يفاخته عارض بجول دون مرأى ولا قضت به الحوادث الى ضياع كل آماله بفرام جبله وإلهو الى حيث لا يدري احد ولكن ظلمات تلك المخاوف كان يخللها بعض النور ما يتوقعه من معاندة سلمان ومشورته فزاد استئناسه به ولما رآه ينكر عليه ذلك الاطراء مال اليه وصاحته وقال له لا بل انك صديق وعز من الصديق وما نحن في معرض الانساب وإنما ينضل احداً الآخر بما طبع عليه من مكارم الاخلاق والفتاة وصدق المودة ولقد رأيت فيك من ذلك ما يهزم مثاله

فاطرق سلمان خجلاً ومدياً حتى دخلا النجعة وكل منها يتوقع سماع حديث الاخر فلما اسلم بها المقام قال حماد اين كان مقامك كل هذه المدة وما الذي جاء بك

الى هنا حتى التقينا على هذه الصورة

قال سلمان ان اقام يا سيدي لم يكن على سبيل الصدفة ولكنني قطعت القنار  
واطلت البحث حتى علمت بمرك وجئت على ما ترى . وقبل سرد حديثي الطويل  
ابغرك بموت ثعلبة

فتشهد حماد وقال لقد عرفت ذلك يا سلمان واكلم جاءنا متأخراً وقد كادت  
تنقطع منا الآمال

فقال سلمان وكف ذلك

قال لاني سمعت بمقتل ثعلبة وفرار جيلة في وقت واحد في هذا اليوم

قال سلمان واي فرار

قال لقد تحققت فرار الامير جيلة من بيت المقدس باثنا الى حيث لا يعلم احد  
وقص عليّ مخبر الحديث من يوم نجيت الى دمشق وسقوطها وسماعو بمقام هدي في  
بيت المقدس وما سمعت من قيم الدبر

وكان سلمان شاخصاً بصراً مصيحاً يسمعو حتى اتى على آخر الحديث فامتنع لونه  
وظهرت عليه مظاهر الاسف والبطل ولبت صائلاً كانه اصيب بصدمة وكاد الدمع  
يتساقط من عينيه ثم تهد وقال لم تعلم الى اين سافر جيلة يا سيدي

قال كلاً ولولا ذلك لمكان الاسر

قال سلمان لا تياس يا مولاي اني غير تارك وسيلة لا استخدمها في سبيل البحث  
عنه وبكفينا الآن انا نخضعنا من ثعلبة

فقال حماد وكف عرفت بمقتل وس مذاك الى مكة في

قال متعلم ذلك من مباح حديثي عن سبب تقبي عك

قال اقص عليها خبرك

قال تركتكم في بصرى وجمعت الهمم فشهدت حربها وكان جيلة في الامير جيلة  
المحاربين فلما عقد لواء النصر للمسلمين وقد علمت ان هتدا في دمشق همت بالمحير  
اليهم ثم حدثني فني ان استطاع مقاصد جيلة وكان قد فر الى حصن برجالو وفيهم  
ثعلبة فما التفتيت بهم حتى امرط بالمحير للالقاء المسلمين في اجنادين فسرت اليها  
وشهدت موقعة هائلة وقعت بين الروم والعرب هناك تغيب لوطها الولدان وفي

تلك الواقعة قتل ثعلبة وفذل جند الروم وفر الفاسنة . وكنت قد سمعت بحصار دمشق فآن لي ان اسير اليكم بالمحير فاسرعت الى بصرى فلم اجد احداً منكم فظننت الراهب الشيخ يهتني بمخبركم فسرت اليه فاذا هو قد مات فاضت لوفاته لعلمي انه لو كان حياً لهداني الى مقركم فمكثت في بصرى مدة ابحت عنكم واسأل كل من عرفته فلم يرشدني مرشد فظننت انكم في دمشق ولكنني استبعدت ذلك لما دلت من حصارها ثم ما لبثت ان سمعت بمغوطها فذهبت بالمحير اليها لعلي ارى احداً استطاع منه خبركم وفيها ما اهتم بذلك رأيت جنداً من المحلبين قادمًا الى بصرى فقلت لعلي اتهم منه خبراً فقلت اميرٌ مالك بن الحارث بن همام وقد وجهه ابو عبيدة اميراً على حوران بعد سقوط دمشق<sup>(١)</sup> وكان الحارث بن همام والد الامير مالك قد جاء مع الي عبيدة اميراً في بني مخزوم لحصار دمشق<sup>(٢)</sup> فقتل في بعض الوقائع فلما سقطت دمشق تعين ابنه مالك اميراً على حوران لينجد المجدد الذي يقوم من الحجاز ممدداً لابي عبيدة في حروبه بالشام<sup>(٣)</sup>

فلما وصل هذا المجدد الى بصرى تمكنت بطرق مخدلة من الاجتماع بالامير مالك فاخبرني عما كان من نزولكم على ابي عبيدة في الحجابة والمهمة التي ائتمت بها هذا الامر الى حاكم دمشق الى ان انبأني بمخروجه الى بيت المقدس وخروج الامير عبدالله الى العراق فهرولت حتى انتهت هذه المدينة وما زلت ابحت عن مفرك حتى علمت اليوم انك مقيم في هذا الدبر ولانك خرجت منذ الصباح فذهبت هنا في انتظارك حتى انتهت فاحمد الله على سلامتك وارحوان ملتقي بسدي الامير عبدالله قريباً

فقال حماد لقد فقد الصبر يا سلمان واحتملت من غدر الزمان ما تعلم طراني قد مللت هذه الحياة المحنوقة بالماكره المزوجة بالمدامق وبخال لي ان الله لم يكتب لي نصيباً يهد مع ما نعلمه من تعاقب فاتها . قال ذلك وترفرفت الدموع في عينيه . فثارت الحمرة في رأس سلمان حتى كاد ينفذ غرغرة ونظر الى حماد وقال دع ذلك الي يا مولاي وانكل على الله واذا كنت لك على ابي عبيدة دالة فلذهب اليه لعلنا

( ١ ) تاريخ الايعان في جبل لبنان ( ٢ ) ابوفدي ( ٣ ) والحارث بن همام هو جد الامراء الشهابيين من عشائر لبنان ويقال . هم سوا المشايين سبة الى قرية شيبة من قرى حوران اقام بها مالك بعد ذلك ( ذكره تاريخ الايعان قتلاً عن سبيلات محكمة عيدا الشرعية )

نمتطلع منه خبراً

فقال حماد ان لي طوبى دالة عطى ولقد اصبح بعد ما تم على يدي من صلح  
العام كبير الوثوق بي حتى اشار يوم قدومي الى بيت المقدس الى انه رها يحتاج اليه  
فيها مثل حاجته في دمشق فلا اظني اذا استعنته في البحث عن جيلة الا فاعلاً ما ار بد

قال سلمان طابن هو الآن

قال تركته في دمشق بعث العوث لنفخ ما في من بلاد الشام

قال اذا اذنت ان نذهب اليو غداً فعلنا

قال حسناً

فقال سلمان والاهتمام ظاهر على وجهه اتقدم اليك يا مولاي في امر ارجو ان

تطمينني فيه

قال وما هو

قال ارجو اذا نحن ظفرنا بجيلة هك المرة ورأينا منه تردداً او سمعنا منه وعداً ان  
لا نضيع الوقت في الانتظار طالما طلة عبقاً

قال حماد وما معنى ذلك

قال معنى ذلك يا سيدي ان تأخذ منكاً من بين يديه اراد هو او لم يرد

فضحك حماد وكان قد قضى زمناً لا يضحك وقال ساري في ذلك يا سلمان

ونفضا بقية ذلك اليوم في الاحاديث المنوعة وانا على نية الاهتمام في الركوب

الى دمشق في الصباح

## الفصل الحادي والتسعون

### ❀ حصار بيت المقدس ❀

ولما اصبحنا أخذنا يمينان في الخروج وكان ذلك اليوم من الاحاد فقال حماد هل  
ننا ندخل كهنة القمامة تترك بساع الصلاة قبل ذهابنا فخرجنا حتى اتينا الكهنة فرأينا  
جماعهم الناس في صحن ابنتظرون قدوم البطريرك لاقامة الصلاة فوقنا بهم فلم ينمعا

من احاديثهم الا ما يتوقعونه من قدوم العرب فتفتح بيت المقدس ثم ما ج الناس وتزاحم  
 يساق بعضهم بعضاً فعلم ان البطريرك قادم ولم تنص برهة حتى اطل بموكب يتوكل على  
 عكازه يحف به الاساقفة والقسيسون وقد اوقدت الشموع وقنع الناس طريقاً في  
 وسطهم مر بها البطريرك وهم يتبركون بلمس رداؤه حتى دخل الكيسة فدمع حتى وقف  
 عند الميكل فبدل ثيابه بما يلبسه البطاركة اثناء الصلاة وعلى رأسه تاج مرصع  
 بالمحارة الكريمة وعلى كتفيه قباء موكش بالذهب والنضة وفي عنقه صليب مرصع  
 يتدلى على صدره بملسلة من الذهب وقد اوقدت الشموع واحرق البخور وطلت اصوات  
 الرمنون والمصلين ثم وقف البطريرك على عرشه وهو كرسي من العاج مزين بالنسيفماء  
 الجميلة والتفت نحو الجماهير فاعلموا انه بهم بالكلام فاصطفى اليه فقال بعد البركة

« اعلموا معاشر النصرانية ان رجال العرب انجازيين الذين قد سمعتم بقدومهم  
 هذه البلاد واسملائهم على بصرى ودمشق قد استنحل ارمم حتى تقطع حلب وحمص  
 وبعلبك وقصارية وقصرين وانطاكية<sup>(١)</sup> وغيرها وقد باعني في هذا الصباح امم  
 قادمون الى هذه المدينة المقدسة بمجد كبير وقد بلغكم على ما اظن خروج مولانا  
 الامبراطور هرقل من بلاد الشام الى القسطنطينية لاحوال اقتضت ذلك وقد فوض  
 اليها التصرف في امر هذه الحرب بالتي هي احسن فتفاوضنا حاكم هذه المدينة فرأينا  
 من الحكمة ان لا ندع لاولئك العرب سبيلاً لتقريب شيء من ابنتها المقدسة فان  
 فيها كموز النصرانية بل ندافعهم بالامر الممكن فاذا رأينا خطراً في مقاومتهم عقدنا معهم  
 صلحاً نحفظ به الارواح والاموال ونمنعني كرامتنا لا كما فعل اهل دمشق فاطلينا الا  
 ان نصلي الى الله ان يؤيدنا بالنصر في الدفاع عن قبر ابنو المخلص وهذه حصوننا مثابة  
 وعندنا العدة والرجال فانبطح الدقاق وطبطح اولي الامر واعلموا ان الله لم يكن هؤلاء  
 العرب من بلادنا الا لما اردنا من الانفاس في دنياها والانتقال عن طاعة الله  
 بالحق والانتقام فلتنجس قلوبكم ولندافع جهده طاعتنا والله يفعل ما يشاء »

فلما انتهى البطريرك من خطابه وضع الناس وهم بين مصوب ومخطف أما حماد  
 فلما انقضت الصلاة خرج وهو يقول للمعان لم قد تمت حاجة بنا الى دمشق فانتا  
 لا نليك ان نرى ابا عينك هنا وبأوج لي انني سأخدم في هذه المدينة خدمة اعظم

شأننا من خدمتي في دمشق لان اهلها على ما يظهر اقرب الى الصلح من الدمشقيين . وسارا الى مرتفع من المدينة بطل على ضواحيها وقضيا قبة ذلك اليوم يتسوقان لهما برمان جند العرب قادمين واهل المدينة يتأهبون للدفاع وفي صباح اليوم التالي رأيا انفجار يصاعد في الافق وبانت من تحت اعلام المسلمين وفي مقدمتها راية العقاب فلمل حماد انهم رجال خالد بن الوليد وفي اليوم التالي جاءت فرقة اخرى نزلت في جانب آخر من المدينة وما زالوا يهرون كل يوم فرقة تأتي باعلامها وحماتها وتنزل في ناحية من المدينة حتى صارت عدة الفرق سبعا كل واحدة منها خمسة آلاف وجلة المجند ٢٥ ألفا عليهم سبعة قواد عرف حماد بعد ذلك انهم خالد بن الوليد وشريحيل والمرقال وهزبد والمهلب وقيس المرادي وعروة بن مملهل<sup>(١)</sup> فلما تحقق حماد ولما انحصار المدينة على هذه الصورة جعل يمينان عن ابي عبيدة املة جاء معهم فلم يرا رايته هناك ولكن حماد آ كان يظن ان لابد من حضوره فتح تلك المدينة

وقضيا اياما يترددان بين اسوار بيت المقدس والدير يستطلعان مقاصد الروم قرأيا الخوف مستوليا على الخاصة أما العامة فكانوا لا يزالون مصرين على الدفاع فرموا المسلمين بالنشاب عن الاسوار فاجابهم المسلمون بطلها وضمت ايام والحرب سجال بين المجانين حتى مل حماد الانتظار وعزل على الخروج الى الشام للقاء ابي عبيدة وسؤاله عن جلة فقال له لسان ان الطريق لا يتجاوز من الحطار بامولاي واخشى اذا خرجنا من المدينة ان يستشفنا اهلها فيريدوا بنا - وها - والافلوكن خروجنا بجلة فترضا بضعة ايام وهم في كل يوم ينفان في مفارب المدينة بطلان على ما وراء الاسوار من السهول والممالك قرأيا يوما جملها جديدا قادمًا من جهة دمشق عرفا انه جند ابي عبيدة وفيهم رايته فاستبشر حماد وقال نداءن الوقت يا لسان فلنمض في سبل الى الخروج فإ الرأي

قال الرأي ان يحرص حاكم المدينة على تحاييل العرب بفان الصلح فلملة ان يأذن بخروجها او يخرج احدا للمحاربة  
قال حماد ومن يوصلنا اليه ولا اعرفه ولا هو يعرفنا ولا يلقى بنا

(١) الواقدي . وذكر ابن الاثير عمر بن الماس وبين روايتي ورواية الواقدي تباين

وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة للهجرة

قال سلمان دع ذلك اليّ فاني اديره باذن الله . واطلعه على ما ينوي اجراءه .

## الفصل الثاني والتسعون

### ﴿ صلح بيت المقدس ﴾

ورجعا الى الديرو ليس سلمان احسن لباسا . وصار يلتمس الحاكم فقيل له انه عند الطر برك في الكهنة فصار اليه فرأى الخدم والحاشية وقروا امام غرفة الاستقبال لا يهاذون لاحد بالدخول فتقدم الى كبيرهم وقال له اني آت بمهمة ذات بال الى حضرة الحاكم فاستأذنه بالدخول طيو . فاستأذنه فأذن له فدخل سلمان فاذا هو في غرفة قد خلا فيها البطريرك والحاكم وطلّ وسهرهما دلائل البغنة وكأنهما كانا في جدال فوجد بدخلوا امام البطريرك فقيل يديو ثم قبل يدي الحاكم ووقف متآخيا فأذن له بالجلوس فجلس فقال له الحاكم وهو مقطب الوجه ما غرضك

قال ان غرضي بامولاي . سلامة هذه المدينة من سلاح الاعداء وصيانة قبر السيد المسيح من الامانة والاحترار

قال ومن انت

قال اني تابع لامير من امراء العراق كان في جملة من شهد فتح دمشق وتوسط في صلحها بين الروم والعرب ولولا توسطه لاهرقت الدماء وخربت تلك المدينة وله مع امراء جند المسلمين معرفة ودالة

فقال الحاكم اتريد ان نلتصم الصلح من بعد اقتننا ونحن لم نبد دفاعا بعد فقال سلمان كلا يا سيدي انما اعرض طلبكم الا بر عرضا ولا غرض لي بيو سوى حجب الدماء

فقال البطريرك بورك فبك يا بني ولكننا لا نرضى بما رضى يو اهل دمشق فان بيت المقدس قبر سيدنا ومخلصنا وما تسليمها بالامر السهل

فقال سلمان اذا امر مولاي بساع رأيي لا اظنه الا راضيا يو

قال قل

قال اري انكم اذا خابتم هؤلاء العرب بامر الصلح ان لا ترضط بعقد على يد احد



منهم اجلاً لتمام هذه المدينة المقدسة وحفظاً لمنزلكم ولكنكم تطلبون ان يتم ذلك على يد امير المسلمين الاكبر وهو سلطانهم وخليفتهم ومقامه في يثرب بانجاز فاطميط ان يكون الصلح على يد فاذا رضوا به وأنى الخليفة بنفسه من كرسي ملكه الى هنا كان في ذلك حفظ لكرامة هذه المدينة وامتيازها عن كل ما فتح من مدن الشام قبلها

فامعن البطريرك بفكره قليلاً ثم قال ابن هو مولاك الامير

قال هو في منزله هنا فاذا امرتم باستقدامه فطلعت

فامر باستقدامه فذهب سلمان وقد سرّ بنجاح مهمته حتى اتى حماداً وكان في انتظاره فلما قص طوبى ما دار من الحديث نهض فلبس لباس الامراء وسار مع سلمان حتى دخل على البطريرك والحاكم فلما رأياه استأنسا وتطلمت وما يجلي في وجوه من المهابة والجلال فاذا بجلسوا ثم قال البطريرك لمن تعرف قائد جند هؤلاء العرب

قال نعم اعرفه حماداً ولي معه صداقة

قال هل انباك تابك بما استقدمناك بدأ نو

قال نعم وهو الامر الذي اراه انا ايضاً وقد شهدت حرب هؤلاء في دمشق وبصرى وغيرها ورأيت من ثباتهم وصبرهم ما لا اقول ان الروم يجيرون عن مثلو ولكنهم قد يفلتون راحة الناس فتتف حركات الاعمال بلا فائدة وخصوصاً بعد ان رحمت أقدامهم في كثير من البلدان وزد على ذلك ان السهيل الذي تطلون بخابريهم يو بحفظ مقام هذا المدينة وكرامتها الى الابد اذ لا يخفى على حضرتكم ان امير المسلمين المقيم في يثرب رجل عظيم جداً قد اقر بظنه القريب والبعيد وهو عديم في ارفع منزلة بعد نبيهم لانه خليفة والفاطم بأمره ولم يسبق انه قدم هذه البلاد لمثل هذا الشأن فقدومه بنفسه على ما ذكرت اعتباراً خاص ونظراً لما لي من الصداقة لدى الامير ابي عبيدة كبير امراء هذا الجند - احب اليه ان يحجب طلبكم ولا اظنه الا فاعلاً

فالتفت البطريرك الى الحاكم كأنه يستفسر فقال الحاكم لا بأس من ذلك غير

الى لا ارضى ان ينهم هؤلاء انا خائفون او اننا نطلب الصلح ليجزنا عن القتال

فابتدرو حماد قائلاً لا تخف يا مولاي فاني اذا خارتهم انا اجعل ذلك من

هند نفسي على احلوب ليس عليكم منه بأس غير اني اتيسر ان يصحبني من يخرجني من

الاسوار فلأ استغني احد من رجالكم

فقال المحاكم لك علينا ذلك ونحن نطلب ان يبقى ناصك هذا هنا ريفنا نعود  
قال لا بأس بذلك وخرج حماد حالاً فركب جواده ومعه بعض اهل النضر  
حتى اوصلوه الى باب المدينة فخرج الى معسكر ابي عبيدة فلما رآه ابو عبيدة استنقله  
باسماً ورحب به وقال له أهلك جنت بهمة اخرى

قال اني لا آلو جهداً يا مولاي في كل ما يأول الى حجب الدماء

فقال ابو عبيدة هل جئنا اهل بيت المقدس الى السلم

قال نعم يا سيدي اظنهم يريدون الصلح ولكنني فهمت انهم رفعة لمقام هذه المدينة  
المقدسة يريدون ان يكون صلحها على يد خليفتكم الامام عمر من الخطاب ألا ترى  
انه يقدم اليها سنسوه وهي مدينة مقدسة يحترمها كل طوائف الناس  
قال لا اظن الا قالاً بذلك وما بعد قولك

قال اذا اكدت لي قوله جعلت الحارة في ذلك رأساً بينكم وبين حاكم المدينة  
او بطريركها على مشهد من الناس واني انا جئت توطئة للامر بهمة خصوصية  
فأتى ابو عبيدة عليه وقال له لقد سمعت سعيماً حساً بورك فبك واذا تم  
الصلح وقدم امير المؤمنين الى هاهنا قدسك اليه واذكر له شهادتك  
قال ان ذلك شرف كبير احببني سعيداً اذا حصلت عليه وانقدم الى مولاي  
الامير بسؤال ارجوان لا ينقل عليه

قال قل وما هو

قال اتعرف جلة من الائمة امير الفساسة الذي كان يجاربكم مع الروم

قال نعم اعرفه وما حديثه

قال ان لي معه امراً بهمي وكنت احببه في بيت المقدس فمضت كما علمت فلم  
اجد ولا احداً من اهله وقيل لي انهم كانوا هناك وخرجوا خروج النارين لا يعلم  
احد بمقرهم فهل يعلم مولاي شيئاً عن هؤلاء الفساسة

قال ابو عبيدة ان الذي اعرفه من امر هذا الامير انه خرج من بلاد الشام جملة  
هو واهله وقد بعثت العيون عليه فاذا عرفت مقره انبأتك به وربما سمعت بقتلو  
بسيننا الا اذا سلم صاغراً

قال وكيف تقتلوه وهو انا بجارب بسيف مولاه الامراطور ولعله اذا خير لا  
بجناز غير التسليم

قال اما اذا سلم هو في دمناءه ما لنا وعليه ما علينا وأأ فان السيف بينا وبينه  
واخشي مع ذلك ان يكون قد قتل في بعض الاماكن ولم يعلم به احد

فاضطرب قلب حماد وحاف ان تلك الحجارون بجلة واهلوا اذا التقوا بهم في  
مكان فوق في حيرة وبصر الى ابي عبيدة وهو بهم ان يخاطبه في الامر ويوقفه الحذر

فلطم ابو عبيدة ذلك فيه فقال ما لي اراك تحاذر ان تخاطني فهل يسوءك قتل جلة  
قال نعم يسوءني يا سيدي

قال وهل بينكما قرابة

قال وقد تلحج في الجواب نعم بيننا شه قرابة

قال واي قرابة بينكما واست من لحم وهو من غسان فالظاهر انها قرابة المصاهرة  
فقال وهو مطرق نعم يا مولاي ثم رفع نظره اليه وقال هل يا ذن لي الامير بأمر

أقدم اليه فيه

قال قل ما مدالك

قال ان امر حلة بهمي كثيرا وحائنه احدىها بحاي

قال وما معنى ذلك اني لم افهم انسر ماذا كانت بينكما هذه العلاقة فما بالك لم

تدافع عه في شيء ولا ذكرته امامي في مثل هذا المعرض قط

قال ان الاحوال لم تلجني الى ذلك قبل الآن اما وقد آتست فيك هذا

الاعطاف فأتحاسر في شك امرأ بهمي كنهاته الآن ولكنني اسطة لديك عمامه ان

يعود علي بالماننة

قال قل ما هو

قال اعترف لمولاي الامير ابيد الله ان لي في جلة مأرنا بهمي كثيرا ولا اخفي

عك اني خاطب اسنة وقد قضيت بضعة اعوام في انتظار وقت القران فحالت المحروب

بيني وبينه وكان آخر عهدي بالامر ان اجتمع بوبأهلو في بيت المقدس فلما جئتها

رأيتهم قد رحلوا الى مكان لا يعلمه احد فبحثت استنهم عن مكائهم قال ذلك وقد

ظهرت على وجههم علامات الاهتمام بمازجها الحياء

فقال ابو عبيدة وهو ينظر الى وجهه براعي حركاته « كيف هات على ملك غسان ان يزوجك ابنته وانت غريب ولست من سلالة الملوك »

فتغير حال حماد وعلا وجهه الاحمرار لما تذكر من حقيقة نسبه ولكنه تجاهل وقال « لقد عايينا في سبيل ذلك مشقة ولعلنا السبب في تأخير الاقتران الى اليوم »

فقال ابو عبيدة طب سآ يا حماد واعلم اني نصيرك في الحصول على مرامك ولا يحق لجيلة ان يفاخرك في النسب وانت شهم هام قد رفعنك ههنا الى اعلى من مقام الملوك وما اني باث الغبون والارصاد للبحث عن جيلة وساحلة على ما تريد قهراً

فأثنى حماد على غيرته وشكره وهم يوداعه على ان يعود الى حاكم بيت المقدس نتيجة الرسالة . فقال له ابو عبيدة تمهل ربما اشاور الامراء في الامر

وامر حماد خالد وسائر الامراء وخرج حماد معقد ابو عبيدة مجلساً شاور فيه اصحابه فلما ائص المجلس استدعي حماد فدخل على ابي عبيدة ولم يكن في الخيمة غيره فراء عاساً فقال له ما مال مولاي مقطب الوجه

فقال ليس بي بأس ولكنني لقيت من الامراء رغبة في اجراء الصلح على بدنا استعمالاً للفتح . لان استفدام الخليفة من المدينة يستغرق زمناً طويلاً وقد يمنع عن الحية لما يحول بينه وبين ذلك من المتاعل الهامة

فادرك حماد ان الداعي في ذلك الرأي خالد بن الوليد لما يعلم من عجلته ورغبته في الغفر فقال اظن الامير خالد اكثر الامراء ميلاً الى هذا

فلم يحب ابو عبيدة في بادىء الرأي فصمت حماد ولبث ينتظر الجواب فقال ابو عبيدة عد الى حاكم ايلياء <sup>(١)</sup> وقل له اساقبلنا باجراء الصلح على يد امامنا الخليفة امير المؤمنين واذا جاءهم احد من الامراء فغير ذلك فهم محبسون في القنول او غير

فنهض حماد فودعه واوصاه بالسعي في البحث عن جيلة ثم خرج يريد بيت المقدس فلقية حماد فآخذه الخبر فصر لبحاج مهتو وقال له هلم بنا الى الحاكم فصارا اليه فلما اقتلا عليه استطلعها الخبر فقص حماد ما دار بينه وبين ابي عبيدة

فقال الحاكم لا يصالح احداً غير الامام

فقال الطربرك ( وكان حاضراً ) وكيف نميز بين الامام واحد الامراء لوجاءنا باسمه  
فقال سلمان ابي عالم بصة امامهم وقد شاهدته بنسي غير مرة في المدينة يوم شهدت  
فتح مكة وكان لا يزال اميراً كسائر الامراء.

وفي اليوم التالي صعد الطربرك والمحاكم الى اسوار المدينة ومعها حماد وسلمان  
متكرين فلبثوا ينتظرون ما يكون من امر العرب فجاءهم رسول على جواد خاطهم من  
اسفل السور يطلب اليهم التسليم فقال الطربرك انا قبل الصلح اذا كان على يد  
اعظم امرائكم

مضى الرسول وبعد برهة عاد معه فارس آخر علموا من لباسه وحالائه من  
الامراء فقال الرسول هذا هو كبير امرائنا فصالحوه

فغضب حماد فاذا هو ابو عيبة بنفسه فلم ان رأي امرائه غلب على رأيه فجاء  
يطلب الصلح بنفسه فلما رآه الطربرك استطلع رأي حماد عن الرجل فقال هذا هو  
ابو عيبة كبير امراء جند الشام

فقال اليس هو ملكهم الكبير

قال كلاً

فغضب الطربرك الى ابي عيبة وقال انا لا نصالح احداً غير خليفكم المقيم في  
المدينة فاستقدموه واحجوا الدماء

فعاد ابو عيبة وفي اليوم التالي جاءهم خالد بن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب  
واصرطوا الا ان يأتهم عمر بن الخطاب وكان الفصل شتاء وقد تكاثرت الامطار والعواصف  
فامتنع على المسلمين الثبات هالك مثل ثنائهم في دمشق النيام لان اهل بيت المقدس  
مقيمون في البوت والعرب في الحيام على انهم صرطوا على ما جرتهم اربعة اشهر بين  
حرب وضال ومحاربة والروم مصرثون على ان يكون الصلح على يد الامام عمر فلم ير  
ابو عيبة بدا من استقدامه فكتب اليه بذلك

اما حماد فكان يتردد الى معسكر ابي عيبة يستطلع ما حدث من امر جلة  
ويستخبر ابا عيبة على استقدام عمر فقاماً نوحه فضت الاشهر الاربعة ولم ينف لجللة  
على خبر

اما سلمان فانه لم يطلق صبراً في انتظار ابحاث ابي عبيدة فخرج بنفسه يستخير الناس من طين انهم يعلمون شيئاً عن جيلة واهلها فلم يسمع الا اخباراً متضاربة من قائل انهم فروا الى العراق او مصر او غيرها وقال آخرون انهم لا يزالون محبطين في بعض بلاد الشام ولكن الاكثرين على انهم فروا الى العراق فعاد الى حماد بتلك الاخبار المتضاربة فلم تغنوه شيئاً فاشتد اليأس وضاعت دونه السبل ولم يكن برّ تعزية الا بلقاء ابي عبيدة . فبما هو عنه ذات يوم وسلمان ينتظر خارجاً اذ دخل عابو رجل منبسط الوجه كأنه جاء بشاره فقال ابو عبيدة ما وراؤك

قال ان بالباب رسولاً من امير المؤمنين جاء بحبراً يقدموه

قال فليدخل فدخل الرجل وانار السمر بادية على وجهه وعلي ثيابه

فقال له ابو عبيدة اين تركت امير المؤمنين

قال تركته راكناً من دمشق واسرعت لشاركتكم

فقال ابو عبيدة ما باله ابطأ علينا

قال انما ابطأ لما اعترضه في طريقه من المسلمين يستفتونه ويتفاضون اليه وهو

لا يرى الا سماع اقولهم والعدل بينهم

قال هكذا يكون الامراء يورك يبطن حملك يا عمر . ثم بعث الى خالد وسائر

الامراء بجأه فأتاهم يقدمون عمرو قال فلذهب للقاءه واتمت الى حماد وهم في

اذيوهم ساء لعلنا نسمع من اهل المدينة خيراً عن صاحبك جيلة

فركب الامراء وركب حماد ومعه سلمان وقد شطط ركونه هذا عن اهتمامه بجيلة

وخبره وكان الامراء لباس الدياح والحريز " " وقد امتطوا خيولاً فوقها السروج

الفضة " " ما غمموه من دمشق الشام وغيرها الا اما عبيدة فقد كانت على قلوصة

( باقة ) وفوقه عمامة قطاوية وخظام الناقة من الشعر وساروا وقد تركوا المجد في

مكائهم حول اسوار بيت المقدس . وكان حماد مشتاقاً لمشاهدة عمر بعد ان تولى امر

المسلمين وهو يتوقع ان يراه في موكب حافل كما تعود ان يرى او يسمع عن ملوك

الروم والفرس ما يهر النظر ويستوقف البصر فكان كلما مشوا قليلاً تشوف عن بعد

لهلة يرى الغبار او نحوه ما يتقدم الموكب فلم ير شيئاً

## الفصل الثالث والتسعون

### \* الامام عمر بن الخطاب \*

وفيا هو يشنوف رأى هجماً قادمة فقال في مسو هذه هي طليعة الموكب قد جاءت ستارة فلما اقتربت رأى في مقدمتها هجماً احمر عليه من الجبانين غرارتان وامام الرجل قرمة الماء ووراءه حمة للزاد وقد امسك بخظام الناقة بدويًا مانس . وعلى الناقة رجل ابيض الوجه مع حمرة تملوه تنديد حمرة العينين حسن الخدين والانف خفيف العارضين ضخمة الكراديس على رأسه عمامة وعلى كتفيه عباءة من صوف عليها نضع عشرة رقعة بعضها من الجلد والبعض الآخر من الصوف<sup>(١)</sup> يحمل بيده درة في عارة عن سوط عريض من الخلد . فخرج حماد في امر هذا الهجان والتفت الى سلمان فاستدركه قائلاً هذا هو الامام عمر يا مولاي ثم ما لست ان رأى انا عبيته ترجل عن ناقته واسرع نحوه وترجل عمر ايضاً وتعاظما فحقق حماد انه الامام عمر فعجب لرهقه ثم ما لست ان سمع عمر يهتبر بعض الامراء فتقدم ليسمع كلامه فاذا هو يؤايمهم لما اتحدوه من لباس الدباج والمحرير وقال لهم ما بالكم تمسكنم بالدينا وغفلتم عن الآخرة ما هذه الملاسل ايها السة اهل الترف وانتم في سبيل الجهاد قال ذلك وحسا عليهم التراب فقال ابو عبيته ايم يا امير المؤمنين انما اتحدوه كساخارجياً وتحنه السلاح<sup>(٢)</sup>

ثم نادى ابو عبيته حماداً فاقتل فقدمه الى عمر وقال له انه شاب من امراء العراق كان لنا نصيراً في حصار الشام واسطة في صلحها فمرحب به وعمر والتفت الى ابي عبيته وقال لقد اذكرني بمجلة من الايام العسافي ألم يهلك كنتاني مناً نو

قال كلاً يا مولاي وما خبه

قال له خير طويل سأقصه عليك بعدئذ وهلم بنا الآن الى بيت المقدس وركبوا جميعاً

أما حماد فلما سمع اسم عمو جلة خلق قلعة وثاق لسماع حديثه ولكنه لم يجسر على

التماس ذلك فاضطر للانتظار الى فرصة اخرى

وما زالوا سائرين حتى اشرقوا على بيت المقدس وحولها معسكر العرب ورأوا الاعلام عن بعد ولما اقتربوا من الحيام سمعوا صييح الناس ورأوا جماعات منهم مهرولين للملاقة عمر فرحب بهم واتى على غيبتهم وشكرهم لحسن جهادهم وذكر ما فتح من المدن على ايديهم حتى اذا وصلوا معسكر ابي عبيدة رل عمر في فسقاط من شعر نصن له هناك ورل الامراء معه وزاحم الناس للنبيس بمشاهدته وسامع كلامه . اما هو فيجاس على التراب وجلس الجميع معه وحماة يعجب لرهبه وتواضعه ثم نهض واتى عليهم خطباً ثم جلس الجميع يتحدثون بامر الله وما لنوه من الجهد وما كان من فوزهم وكلهم فرحون وامارات الافتخار ظاهرة على وجوههم وكان حماد ينتظر ان يجري حديث حيلة لعل عمران يقص خبره فاشتغلوا عن ذلك باحدث التبع ثم يودي بالصلاة

فخرج حماد وقد مل الانتظار فقال ما قولك يا سلمان هل نسأله ليقص علينا خبر حيلة قال لا حاجة بنا الى ذلك ولما يكفيننا ان نسأل اما عبيدة وهو يطلب اليه قال حسناً وساراً الى ابي عبيدة بعد الصلاة فلما وقع نظره على حماد قال له غداً نسمع حديث امير المؤمنين عن حيلة واهل بيته اما الآن فاطلب اليك ان تسير الى حاكم هذه المدينة فتسأله بتقديم امير المؤمنين وقل له ليجري للصلح ومتى عدت من هذه المهمة قدمتك الى مولانا الخليفة فتعال معه ركة وحظوة

فخرج حماد وسلمان فابياً الحاكم والطيريك بتقديم عمر فخرج الطيريك على الاسوار وطلب ان يرى عمر رأي العين

فعاد حماد والبحر مركب عمر نائقة ومرفعة وتقدم نحو الاسوار وابو عبيدة الى جاسوه وكان حماد قد عاد الى الاسوار وانتار الى الطيريك انه هو الرجل فاستغرب ما رآه من سذاجة لاسوه وكثرة زهده واعتبر بما انفس فيه الروم من الترف والرفاء وما اراد الله من خصوصهم لاولئك العربان ثم نظر الى اعيان المدينة وكانوا وقوفاً معه على الاسوار وقال « اليكم يا اهل بيت المقدس هذا هو الرجل الذي تنفع بلادنا على يد فخر جليل اليه واطلوا صلحه واعتقدوا معه الامان والذمة »<sup>(١)</sup> ففتحوا الابواب وكابوا



قد ضاقت ذرعا عن احتمال الحصار وخرجوا افواجا وفيهم الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وصاحوا بصوت واحد يستغيثون فلما رآهم عمر على هذه الحالة تخشع لله وسجد وهو على قنب بعين ثم أراح نافقة ونزل وقال للناس عودوا الى منازلكم ولكم الذمة والعهد

فعادوا ولم يقتلوا الا مواب وعاد عمر الى معسكره وفي صباح الغد دخل عمر المدينة والناس يرحبون به وقد رفعوا اصولهم بالترتيب والترتيب وفيهم النفس في ايديهم الماخرا حتى اتى سراي الحاكم قرب كعبة القيامة واجتمع اليه الحاكم والبطريرك وكبار اهل الدولة وعقدوا صلحا اقرطوا به على اداء الجزية واوصى بهم الامام عمر خيرا وهذأت الاحوال وسكنت القلوب <sup>(١)</sup> الا قلب حماد فانه ما زال يتقلب على جمر الانتظار والتردد

## الفصل الرابع والتسعون

### ﴿ جيلة بن الایم ﴾

ومكث عمر في بيت المقدس عشرة ايام لم يحل يوما واحدا من الوفود من سائر النحاء سوريا وخصوصا عطاء الداد التي خضعت للمسلمين فاهم كانوا في اشتياق لرؤية الخليفة . وفي اليوم الخامس من دخولوه وهو يوم الجمعة خط عمر عمرانا في المدينة وفي موضعه بني جامع بعد ذلك ففي ذلك اليوم سار حماد الى ابي عبيدة وشكا اليه قلقة ورغبته في سماع حكاية جيلة عن لسان الامام عمر فاستهله الى الماء وقال له ان امير المؤمنين يخرج من المدينة بعد صلاة انصر ليصلي العشاء مع باقي الامراء في فسطاطه وستنضي السهرة هاك فينص عليا الخبر

وفي المصخر خرج حماد ولمان الى معسكر ابي عبيدة حتى اذا كان العشاء وصلى المسلمون سارا الى خيمة الامام عمر فلقبها بالحاجب فاستاذن لما فدخلوا وجلسا في بعض جوارب المكان وكانت الخيمة كبيرة وفيها زهاء خمسين رجلا

وكان الجميع جلوساً على الثرى ثملاً بامامهم الخليفة وبعد ان قرأ القراء بعض السور وتبرك الناس بذلك المساء تقدم ابو عبيدة الى الامام عمر ان يقص عليه حكاية جيلة بن الاعمى ملك غسان وما كان من امره

فقال الامام عمر ماذا تعلمون عنه انتم  
قال ابو عبيدة نعم انه قرأ باهل منزله الى مكان لا نعلمه

فبسم عمر وقال انه لم يفر ولكنه جاء المدينة بعد فتح دمشق بلبس الدخول في الاسلام فقبلت منه ذلك فاعتنق الاسلام واقام بيننا في اهل منزله معزاً مكرماً وإذنا له ان يبقى على ما اعتاده من فاخر اللباس من الحرير والديباغ وركوب الخيل مسرجة بالسروج الثمينة عليها سلاسل الذهب في اعناقها وإذا ركب وركبت حاشيته عقدوا اذنان الخيل فسارت تخطر بهم حتى لا تبقى واحدة من نساء المدينة الا وتخرج لمشاهدتهم (١)

ولكننا ما برحنا نرى فيو روح الاستبداد والظلم ما يأثقه على الاسلام لان هؤلاء العرب المنتصرة عاشروا الروم واعتنقوا ديانهم وتخلعوا باخلاقهم ولا يخفى عليكم ما في دولة هؤلاء الروم من التفاوت بين طبقات رعاياهم فكل القوي منهم الضعيف بغير وجه الحق فاراد جيلة ان يسير على ذلك فاوقفناه عند حد

وما دعانا الى ايقافه خاصة محادثة جرت لرجل من فرارة مع جيلة وذلك اننا خرجنا مع الحج وفيما نحن نطوف في البيت ومعنا جيلة وجمع غدير من المسلمين وفي جملتهم رجل من فرارة فوطئ الفزاري آزار جيلة فاخل ازار فغضب جيلة ورفع يده وضرب الفزاري فبهم انه فجاء في هذا الرجل بشكوا الى يوفعت الى جيلة فاتي فقلت ما هذا قال نعم اتي فبهم انه لانه تعمد حل ازاره ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عيني بالسيف

فلما قال ذلك طمت انية يريد الاستبداد فقلت اعلم يا جيلة انك محطى وقد اقررت بما ارتكبه فعليك اما ان ترضي الرجل ولما ان يفعل بك مثل فعلك به . فعظم ذلك على الفسائي واستغربة وقال وما ذا . قلت امر بهم انك كما فعلت

فقال كيف ذاك يا امير المؤمنين وهو سوقة واما ملك  
قلت ان الاسلام جعلك واباء فلست تنضله بشيء الا التقي والعافية  
فقال وقد خاب ظنة « كنت ظننت يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام امنع  
مني في الجاهلية »

فقلت دمع عك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك  
فقال اذا انتصر

فقلت له ان تصرت ضربت عنقك لاني قد اسلمت فان ارتددت قتلتك  
فلما رأى ابن الایم ما صميت عليه سكت ثم قال لي اني ناظر في ذلك ليلي هذه  
قلت انظر ما شئت ثم اصرف ولم اعد اراه ولا ادري مقره . وقد كتبت اليك  
بشأنه والتمست ان تبحث عنه فهل علمت عنه شيئاً  
قال ابو عيينة كلاً يا مولاي انا قصينا اشهرًا ونحن نبحث عنه فلم نلق له  
على خبر

## الفصل الخامس والتسعون

### ﴿ مشورة وذكري ﴾

وكان حماد يجمع حديث عمر وهو شاخص بصره يتناول بعينه وقبلة يخفق في انتظار  
آخر الحكاية فلما اتى عمر على آخر كلامها قبضت من حماد وعظم عليه الامر وم  
مخاطبة عمر يستطلعها ربة في مصير جيلة واهلها فاعدته هيئة المجلس ومقام الخليفة وما صدق  
ان ارفض الجميع حتى خلا سلمان ووقفا بالقرب من معسكر ابي عيينة فقال حماد  
يا رأيك يا سلمان

قال لقد هان الامر يا مولاي والرأي عندي ان نبحث عن جيلة في الطريق بين  
المدينة والشام اذ لا اظنه اذا فر من الهجاز الا قادمًا الى اطراف الشام او البلقاء او  
مكان آخر لم يفتحه المسلمون او لم يلهي بخبيء في بعض الديور ولا بد له في كل حال من  
المروء بدير مجبور ولو متكرراً فلنبحث عنه ونستقراهل الدبر واذا اشكل الامر أكثر  
من ذلك قصدنا ناسك حوران فان له معرفة وكرامة

فتأفف حماد وتذمر ولكنه فكر في الامر فرأى كلام سلمان مغفولاً فظل صامناً  
برهة وسلمان ينظر اليه ويتأمل حاله فرآه غارقاً في بحار المواجه و قد تولاه الانقباض  
وغلب عليه اليأس فقال له ما بال مولاي لم يعتد بكلامي العلي محطى في ما اقول  
قال لا اقول محطاً ونعم الرأي رأيك ولكنني افكر يا سلمان في هـد كيف طال  
هذا الامد ولم يصلي منها علم ولم اسمع عنها خبراً مع عليها بذهاني الى بيت المقدس  
بعد فتح الشام

قال لا تله يا سيدي ألا تعلم انها فتاة لا تستطيع المجاهرة بامرها فضلاً عما كان  
فيه اثناء فرارهم من الخوف والاهتمام واقاموا في المدينة غرباء ثم عادوا فارين كما قد  
رأيت فهل تستطيع هـد امراً

فقال حماد لا ادري ولكنني اراني مقيد الفكر مغلول اليدين والامير عبد الله  
بعيد عنا لا يعلم خبر ولا ما لاقاه في العراق

قال سلمان اما الامير عبد الله فانت تعلم انه من الحكمة والتعقل في ما لا يخشى  
عليه معه بأساً ولا يلبث ان يعود اليها وقد نال حظوة في عيني المسلمين  
ولكن ... وصمت

فقال حماد ما بالك صمت قل ما في نفسك  
قال سلمان ماذا اقول ونحن كآقلت مقيدوا الفكر مغلولوا لايدي  
قال وما ذا تعني

قال اعني يا مولاي اسأ شغلنا مجروب التام والتاس ملك غسان عن امرنا  
انينا هـد البلاد من اجله ولولاه لكان مقامنا في العراق معاً مدافع عن دولة الفرس  
دفاعنا عن انفسنا

فاتبه حماد الى حكاية النذر وحقيقة نسي وما له من التأرعلى الفرس فقال  
لقد صدقت يا سلمان اتنا تقاعدنا عن ثأرنا وانشغلنا بهام انفسنا عن وصبة والذني  
ووالله لو اني فرغت من مشاغلي المتهاجرة وخلوت بنفسي يوماً واحداً لما بقيت في هـد  
الدبار بل كنت اول شاخص الى العراق اشهد فتح المدائن عاصمة تلك الدولة الظالمة  
واني لو انني بقرب سقوطها لما نعلت من بطش العرب وفساد احوال الفرس وانقسام  
حكامهم بعضهم على بعض

فقال سلمان اذا نسيرا الى العراق

قال حماد بصوت مخنق ونفس صغيرة « وهند » ونظر الى سلمان فكان لنظرته وقع السهام على قلب سلمان فنظر اليه وتسم ثم همّ يو وضعه الى صدره وقال له ان هندا في المقام الاول يا مولاي ثم التأثر

فتنهّد حماد وقال لابل الاتهام للملك النعمان قل كل شيء هكذا او صا بصوته المنبعث من ظلمات القبر ولكن ..... قال ذلك وترقرقت الدموع في عينيه

فابتدري سلمان قائلاً ان كلا الامرين مستدرك فلنبحث أولاً عن مقر هند فاذا التقينا بها وكان السفر الى العراق مستحيلاً وكان اجل الفرس قريباً أجلت الاقتران الى ما بعد الرجوع منه لوسقوط دولة الفرس والّا فانك نتزوج ثم نسير فقمنا الى بيت المقدس وغداً نستطلع اخبار العراق ثم نسير للبحث عن جيلة واهله في اطراف الشام وهوران وبفعل الله بما يشاء

فقال حماد حسناً ترى ولكن ذهابنا الى بيت المقدس في هذا الليل لا يخلو من المذقة فضلاً عن الخطر وقد دعانا ابو عبيدة للبيت عند فلتبت هه الليلة وغداً لناظره قريب

قال حسناً وتحولاً نحو السطاط وقيل الوصول اليه سمعا اصواتاً عرفاً انها اصوات الفراء يتلون القرآن والباس يصلون فتنبها رفة حتى فرغوا من الصلاة فدخلوا على ابي عبيدة فقال لما اين ذهبتما وانا ابحت عنكما منذ خروجتما من مجلس الخليفة فقال حماد لقد كنا في شأن جيلة وخبره ولم يزدني حديث امير المؤمنين الا تليكاً فلا ادري اين هو هذا الرجل الآن

فقال ابو عبيدة سمعت عنه في سواحل الشام لعله يقم في مكان هناك او اذا كان قد خرج منها الى بلاد الروم او مصر او غيرها عرفنا خبره

فقال سلمان ونحن رى ان نفتش عنه في اطراف الشام وهوران لعلنا نسمع عنه شيئاً في بعض الديور - قال ابو عبيدة نعم الرأي رأيت وسيكون بحضنا وبحكم معاً فمن استطاع امرأ اطالع الآخر عليه

فقال حماد وماذا تعلمون من اخبار العراق وفارس فان والدي لم يكتب اليّ شيئاً منذ سفر

فقال ابو عبيدة ان ما اتانا به مولانا امير المؤمنين يسر كل مسلم فان النصر معقود لاولئك لجنود المسلمين حينما ولوا وجوههم وقد كان الامام عمر على موعد من موقعة هائلة بين المسلمين والفرس في القادسية فخرج من المدينة وهو في انتظار البريد بخبرها وقد ابطأ عليه فاورع الى نائيه في المدينة اذا جاء بريد العراق ان يفتك اليه في بيت المقدس حالاً فحين تنتظر ورود البريد<sup>(١)</sup> انتظار الظآن لموارد الماء - وكلنا على يقين من نصرة رجالنا مهما تكاثرت جنود الفرس واقبالهم ودوابهم فاهم اشد وطأة من الروم بل نحن اشد وطأة على الفرس ما على الروم لان هؤلاء اهل كتاب قد اوصينا بهم خيراً واما الفرس فانهم محبوس يعبدون النار<sup>(٢)</sup> فضلاً عن اختلال احوال مملكتهم وتنازع دعاة الملك على كرسيمهم فقد نوالى على ايوان كسرى بضعة ملوك في عام واحد بعضهم نساء والبعض الآخر من الرجال وملكهم الآن يزيد جرد بن شهر بار ابن كسرى انوشروان وهو ضعيف الرأي لا يستطيع القيادة فهل يفعل ان جند يغلب جند امير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلى كل حال ان موعداً من اخبار النصر قريب ان شاء الله

ثم امر بعض رجاله فاعدوا خيمة للضييفين فباننا تلك الليلة واصبحا وقد قام الامام للخطابة والصلاة فاذن المؤذنون وصلى المصلون ففتحي حماد وسلمان ومشيا خارج المعسكر يحدثنان في تلك الشؤون فوقع نظرهم على عجين قادم من عرض الافق بسرعة البرق فقال سلمان هذا هو صاحب البريد على ما اظن فوقنا فاذا به دار حتى اتى معسكر ابي عبيدة وتزلزل عند فسطاطه فاسرعا الى الفسطاط فقرأ يا ابا عبيدة خارجاً من خيمته ومعه العجبان وهولا يزال بغباره وقد مشى وهيمته وراه حتى اتوا فسطاط عمر فدخلوا جميعاً ودخل حماد وسلمان معهم فرحب بهم وخاطب صاحب البريد قائلاً ما وراك يا رجل - فقال ما ورائي الا النحر - ومد يده فاستخرج من بين اثوابه صندوقاً ففتح واستخرج منه ملقاً من جلد ناوله الى الامام عمر فقبضه ودفعه الى بعض خالصتي وقال اتله علينا لنرى ما كان من امر المسلمين في العراق

فتناول الرجل الكتاب ووقف واخذ يقرأ والناس سكوت فاذن فيه :



## الفصل السادس والتسعون

### \* وقعة القادسية \*

« الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من سعد بن مالك امير جد العراق اما بعد فاني اكتب اليك تنصلي واقعة القادسية التي فاز بها المسلمون على اهل فارس واليك هي . جئنا يا امير المؤمنين بحمود المسلمين من تعلم مع ما انضم اليهم من جند الشام وجملتهم جميعاً ٢٥٠٠٠ وزلنا في القادسية بين العقيق والخندق بحال القنطرة والقادسية يا امير المؤمنين واقعة في راس بحيرة وراها مضيق من البر يصل بين البحيرة والفرات فاقمنا هناك شهرين ندافعهم نارة ونطاردهم اخرى حتى ملوا منا فكتبوا الى ملكهم يزجرجد وشكوا ما يقاسونه وقالوا انا اخربنا ما بيننا وبين الفرات ونهبنا الدواب والاطعمة فبعث يزجرجد الى رسم كبير قواده والحق عليه ان يقدم هو بنفسه لقتالنا فجاه وعسكر في ساباط . وقد كتب اليك بذلك في حينه فكبت اليانا ان لا يكرهنا ما يأتينا عنهم فاستعنا الله وارسلنا نداء من المسلمين الى يزجرجد في المدائن يدعونه الى الاسلام او الجزية او السيف فاستقدم رسم اليه واستناره فيما جاؤوا من اجله فلما سمع مقالهم عهدهم ونوعدهم ثم وعدم بقوت ومال وكساء فاجابهم بكلام شديد فاخرجهم من المدائن مهانين فلما رأينا ذلك منهم جعلنا نفرو وما حولنا من البلاد والقرى نسوق اغنامها وانقلها واسماكها ولها . فلما بلغ رسم ذلك حمل بجند عدده مئة الف وعشرون الفا<sup>(١)</sup> اربعون منها يقودها رجل اسمه الجالبينوس والباقيون يقودهم رسم فجاؤونا في هذا الجند الثقيل ومعهم الخيلة والحجول وكانوا لا يبرون سيلة الا اساقا اهلها وشربوا خمرها . واكثرنا من الفساد فيها فنقم الناس عليهم وقد علمنا من بعض اسراهم انهم قضا في انتقام هذا من المدائن الى القادسية اربعة اشهر فلما وصلوا القادسية عسكرنا بجبالنا ورأينا معهم فيلة بعضها مشهور عدم بالفتك كالنيل المسمى فيل سابور الالبيض وغيره . فنظم رسم جيشة فحمل من الافعال ١٨ في الوسط و٥ في المجهنين ثم انفرد هو في مكان مشرف ينظر منه الى جدنا وبصت اليانا ان

نوافية برجل منا بكلمة فارسلت اليه واحدا فاخبرني لما عاد انه دخل على رسم فاذا هو جالس على سرير من الذهب وبين يديه البسط والنفار والوسائد المنسوجة بالذهب فلما وصل رسولا بعباءة ودرع وسيف لم يبهروا ما رآه هناك من بهارج الدنيا فقاد جواده فوق البسط وشق وسادتين ربطه بهما فسأله ان يضع سلاحه فأبى حتى اقبل على رسم فاندبه ترجانه وهو من اهل الحيرة واسمه عبيد فساله عما جاء من اجله فاجابه بالدعوة التي تملونها فعظم ذلك عليهم وقالوا « كيف تطلون فتانا او الجزيرة وقد كنتم في قنف ومعيشة سيئة لا تراكم شيئا وكنتم اذا غطت ارضكم استعطيتمونا فنا مر لكم بشيء من الثمر والشعير وردكم ولا نظنكم قادمين علينا الا من الجهد فانا امر لامرهم بكسوة وبقل والف درهم واكل منكم وفر تمر وتصرفون عنا » فاجابه الرسول بما اسكنه وبعد جدال طويل غضب رسم واقسم ان النهار لا يطلع قبل ان يقتلنا اجمعين فقال له الرسول من يقتل منا يدخل الجنة وارسلت اليه رسلا آخرين يدعونه الى ما هو خير لنا وله فاجابهم بمثل جوابه الاول فلم يجدنا ذلك نفعاً

« وفي اليوم التالي جالس رسم على سرير و ضرب عليه طيارة وعين الاقبال كما ذكرت واتخذ في ابصال خبر الحرب الى ملكه يزجره طريقة اعجبني ولعلي متخذها في بعض حروبي ان شاء الله وذلك انه جعل بينه وبين يزجره رجالاً على كل دعوة رجلاً او ثلماً على باب ابوانه في المدائن وآخرهم عدد رسم فكل ما فعل رسم شيئاً قال الذي معه للذي يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا الى ان ينتهي الى يزجره في اسرع وقت . وكنتم يا أمير المؤمنين مصاباً بدمامل وعرق النساء فلا استطع الجلوس وإنما كنت اجلس مكباً على وجهي وصدري فوق وسادة على سطح القصر اشرف على الناس وارى قتالهم ولكن الله اعانتهم وكرمهم فاننا لما رأينا الفرس يتهاون للقتال بعثنا المخطباء في الجند وقرأ ما سورة الجهاد ثم صلبنا الظهر وكبرنا اربعاً فرحف الجند وتلاحم الجيشان والله يا أمير المؤمنين لقد كنت ارى جند فارس يذالون كالسيل وفيهم الاقبال كالامواج المتلاطمة وهي تشور فتلتفت الرماح والنبال بجراطينها وتدوس الناس والخيول تحتها فهاهي امرها قتلت يا قوم اما من حيلة لما فرماها بعض المسلمين بالنيل فقتل ركابها وتقدم آخرون فازاحل عنها



توايتها فلبكت حركاتها وفسد نظامها فجاء المساء وقد قتل من الفرس جند كبير وفي اليوم التالي وصلتنا نجدة اهل الشام انني ارسلها ابو عبيدة فهاجمنا الفرس حتى كدنا نقبض على رستم ولكنه نجح وفي اليوم الثالث لقي الجند ان شدة وجهه اما نحن فواصلنا العمل في الليل وكانت ليلة سيبها ليلة الحرير لان رجالنا لم يكونوا يتكلمون وإنما كانوا يهرون ممرًا فقلنا الجند الى مكان يأخذ العدو من خلفهم ففعلنا ذلك وهم لا يعلمون

« ولما اصبحنا هاجمنا اعداء الله من كل جاسب فقتلوا واخذوا نظامهم ووصل بعض رجالنا الى سرير رستم وقد اطارت الريح الطيارة عنه فاستظل بظل بطل فقتلوه وقتلوا المجاليينوس فانهزم الفرس شر هزيمة فتعقبهم رجالنا وغنمنا اسلحتهم واتصرونا نصراً مبيناً<sup>(١)</sup> ونحن سائرون الآن لنفتح المدائن بعون الله تعالى » انتهى  
فما فرغ القاري من قراءة الكتاب حتى ضج المسلمون بالتكبير والشكر لله على ذلك النفع اما حماد فانه صبر على سماع الخبر رغماً عنه فلما تفرق الناس خرج حماد وسلمان فقال سلمان يظهر ان اجل الفرس قريب وسيفتح المسلمون عاصمتهم فبذلك عرشهم ويكون ذلك جزاء ما كسبت ايديهم من قتل الابرياء  
فقال حماد ولكننا لم نسمع شيئاً عن الامير عبد الله ولا عن جيلة ألا تظن صاحب البريد يعلم شيئاً عن ذلك

قال ربما كان على علم فلم بنا نستطلعه وسارنا يبعثان عنه فاذا هو قد خرج الى خيمة بعض الجند للاغتسال والوضوء وتناول الطعام  
فقال سلمان اظن صاحب البريد يحتاج الى الراحة بعد سفره الطويل فلدعه وشأنه على ان نعود اليه في صباح الغد  
قال حماد لقد احسنت رأياً واصرفنا الى خيمة للاستراحة



## ﴿ فتاة غسان ﴾

## الفصل السابع والتسعون

## ﴿ ويا تيك بالاخبار من لا تصالنه ﴾

تركنا حماداً وسلمان وقد انصرفا الى حمية يلتصقان الراحة ربنا يتمكنا من مقابلة  
ساعي البريد واستطلاع حرجولة وعد الله وفيما هما سائران الى احبيمة رأيا محموراً  
جدياً عليها سات العفر وعمار الاسمار قادمة نحوهما تنوكان على عكاز وقد آنت راسها  
بجوار فظاها من المنسولات فلم يمسأا بها وظلاً في طريقها حتى دخلت الخيمة وليس  
فيها سواها وما لسا ان جلسا حتى رأيا تلك العجوز قد شئت حجاب الخيمة بعصاها  
ودخلت بلا استئذان فصاح بها سلمان ما غرضك يا خالة

فلم تجبه وظلت داخلة حتى دنت من حماد وحسرت اللثام عن وجهها فاذا هي  
خادمة همد التي لقيها في دمشق لمحنى قلبه لرؤيتها وشعر ما عطف محوها وقد تنسم منها  
رائحة حبيته فبغت وصاح بها ما خرك وابن همد

قالت نهمل ربنا استرجع فاخرك الحبر وقد جمت اللاد ونعصت العصاد واما في  
هذا الري اجئت علك فلم اقف لك على خبر وقضيت حول هذه المدينة اياماً لا يحبرني  
احد عن مقامك ولا انا استطيع المجاهرة باسمك لان حالنا تدعو الى الاستئثار -  
قالت ذلك وهي تبحت عن وسادة تجلس عليها وتظر الى خارج محانة ان يسمها احد  
لمجلمت وعينا حماد تراعيها وقد همد صبره في استطلاع حال همد فقال لها اخبريني  
عن همد قل كل شيء هل هي في حير

قالت كن مطمئناً انها في خير وسلامة لا ترجو الا افاءك

فقال امين هي

قالت لا ادري امين هي الآن ولكنني اعرف الخطة التي ستمير فيها فاذا قصصت  
عليك الحديث من اوله هان عليك فهم الحقيقة

قال قولي باختصار - ولست صامتاً مصغياً لما نقوله

فقالت نركني في دمشق بجوار كبسة مرم فاسرعت الى ما بين يدي ما

يُجمل وأكثر بيت بعله ركنها حتى أتيت بيت المقدس . وكالت سيدي هند ووالدتها  
وسائر اهل القصر متعبين في دير هذه المدينة فاسألتهم يستوط دمشق فغافلو ولكنني طأنت  
هدأ واملتها ففرت محبتك فهان عليها كل عسير ولنا تنتظر ذلك اليوم . ولكن الامر  
جاء بالعكس فان سيدي الملك جلة بعث اليها في اليوم التالي ان تأهب للرحيل - رآ  
ثم جاء هو وامر ان يسير على عجل بما خفت حمله وعلائمه ولم يجسر احد من اهلوا ان  
يسأله عن حقه المسير ولولا ذلك لقيت اماها لآخرتك بمكانهم رحا وقد اسررت  
مولاتي هدا الي انها حالما تعرف المكان الذي سنقيم فيه تبعته بمحبتي اليك

فسرنا اياماً وليالي ولم نخط رجالاً الا في المدينة مقام خليفة المسلمين الذي سمعتم  
الكتاب يتلى بين يديه الآن وقد كنا في خوف عظيم ولكننا آسأا اكراماً وحسن وفادة  
ولطمني ان سبب سلامنا اعتناق سيدي الملك ديانة هؤلاء الناصحين . فلما ظننا المقام  
استقر بنا لم يبق على سيدي الا ان ننبذ اليك بذلك وقد فاني ان اخبرك وفاة ثعلبة  
اولئك سمعت به فلاً

قال حماد لقد سمعنا خبر رحمة الله

قالت ولم تكذ شوم الراحة ونحبي الامل حتى جاء ما سيدي الملك بعلته وفتنة كما  
فعل يوم خروجا من هنا فأتاها وحرها في ليل داس خفا فيو خوفاً شديداً ولكن  
معص حبراسا اليهود من اهل المدينة تأولنا عوناً في مسيرنا الى ما وراء اسوارها . وفي  
اليوم التالي تخفنا اساقصودن بلاد الشام فرأيت في سيدي هدا ارتياحاً الى هذه  
الوجهة على رجاء ان نذهب ففصينا في طريقنا هذه من طلال امدها ونحن نسير لئلا  
منكرهم ونخشي نهاراً ولا نقيم الا في الديور لانها امن مبيت او مقام لاهل الصراية  
وكنا نمكث في بعضها اياماً واساع . قالت ذلك وخننت صوتها لئلا يسمعا احد  
وجعلت تتطلع من باب الخيمة خوفاً من يحمس او يسمع . فقال لها لسان تكللي لا  
تخرجي فان ليس في هذا المعسكر من يظن بنا سوءاً ولكن اخفي صوتك

قالت وآخر مكان انما فيو دير مجبراء ولا تقل عن حالنا لما اطلنا قل ذلك  
على صرح القديروستانو وميداو وما امنوا على اولئك المجازيون من المغارس  
والانية التي بناها الملوك الفاسدة منذ احوال وقد رأيت في وجه سيدي الملك  
علامات الغضب والبخل حتى كادت الدموع تنثال من عينيه لولا عين النفس . اما

سيدتي سعدى وهند فقد نكنا وإظن هذا انما كنت لذكرها امرا وقع لما في ذلك الصرح . والحلاصة اما لمصل دير محبراء حتى اخذ البأس من سيدي الملك كل مأخذ لما دافعه من دل التكر في ملاد كانت طوع اشارته لا يبره بها الا محتوفا بالجلود والاعوان فتصب له الاعلام وبجئنا اهلها قدومه فكيف يبره الآن متكررا يخاف ان يعرفه احد ( قالت ذلك وشرقت بدموعها فمسحتها بظرف خمارها ) . فتأبر سلمان وحماة نكلامها وغم عليها ما آلت اليه حال الفساسة ونصوّر حماد ان حال ملوك الحيرة سناول الى مثل ذلك فشكر الله في ماض سره لان ستوطهم سيكون على يد غير يد

وانت المرأة حديثها فقالت . ففي ذات ليلة دعا سيدي الملك سيدي سعدى وهذا وخلا بهما في حديث طويل وفي الصباح التالي دعاني سيدي همد وأسرت الي ان ابحت علك في بيت المقدس فاحولما حتى اقف على مكانك وإطشك عنها وإخبرك انهم ساروا الى العراق وسيفيرون في دير همد بعيدين عن الشام واللقاء لانهم لا يستطيعون صدرا على ما خرج من ايديهم ان يرون كل يوم رأي العين وإيدي الغالين فوقه فلما سمع ذكر دير همد أجعل وقال اي دير تعين

قالت دير همد في ضواحي الحيرة

فظهر الى سلمان وقال اعهد دير همد في الحيرة وليس خارجها فاما هذا الدير فقال سلمان ان في الحيرة ديرين يسمان الى هند احدهما الاصغر وهو في الحيرة والآخر في ظاهرها اما الاول فقد سمي باسم اخلك همد سنة لما قص كثرى على المرحوم والدك الملك النعمان في اوائل حكمه وحسنه قل ان تولد انت ماعولم وذرت شقيقتك هذه ان رده الله الى ملكوان تتي ديرا وتسكنه حتى تموت فلما اطلق سيل والدك فعلت ذلك ومكثت في ذلك الدير (١)

واما الدير الاكبر وهو ما يسمى دير همد الكبرى فقد سنة همد بنت الحارث بن عمر بن حجر آكل المزار الكندي بظاها الحيرة (٢) وهي من كنة وليست من لحم والدير كبير اذكر اني زرته غير مرة وكان رهامة يرددون على مرل سيدي الامير عدا الله للمداولة بشؤون تتعلق ماملاكه هناك . يا أم هذا الدير اناس من جهات

العراق وغير يفهمون فيه اباناً وفيه ما يتباحون اليه من الراد ونحوه  
فظهر حماد الى المرأة وقال هل تطلين هداً في ذلك الدبر الآن  
فالت لا ادري اذا كانت لا تزال هناك لانها اوصني بما تقدم منذ بضعة اسابيع  
قصبتها في اللح عك . ولكن سيدتي - عدى اسرت الي بعد خروجي من بين يدي  
هدان مولاي الملك حلة اما يريد النحوص الى القسطنطينية ليقم بقرب امراطوره  
هرقل معزراً مكرماً . وانه سيجعل طريقه في العراق ومهراً في البلاد التي لم يصل  
سيف المسلمين اليها اما سواحل الشام فانها في ايديهم لا يحلو المرور بها من الخطر .  
وقالت لي انها اقنعت ان يقيم في دير هدمه ليري ما يكون من حال جند العراق .  
فادا طال غيابي عنهم اظلم بقصدون القسطنطينية وذاك آخر مكاتب بقصدونه  
فاعمل ما بيدولك

فلما سمع حماد ختام الحديث اقنعت منه بحافة ان يقصد العراق ويذهب  
سعيه ضياعاً وادرك سلمان فيه ذلك فقال له الا ترى يا مولاي ان يسيرنا الى العراق  
مجهزاً فنصيب صيدين انمكن في حاجة للحث عن - يدي الامير عبد الله في العراق  
يسيرنا الى هناك مجرعنا به وهدان تشاء الله

فقال حماد الم تسمع ما تنبي عليا اليوم من خبر واقعة القادسية وهي بالقرب من  
الحيرة الا نضن على الحيرة خطر

قال سلمان ان الحيرة يا مولاي دخلت في صلح المسلمين منذ اعوام وكنت شاهداً  
صلحها سمي وزد على ذلك ما نعلمه من حياة الدبور عد المسلمين  
فقال حماد وهل تعرف الطريق الى الحيرة

قال نعم

قال وامت ماذا تفعلين يا خالة

فالت لا ااضي استطيع المسير معك لما انا فيه من الاستعجال ولكي اسعك في  
طريق آخر اوافي في دير بجيرا . انتصرا خيراً من عدكم



## الفصل الثامن والتسعون

## ﴿ هند في دير هند ﴾

دير هند الكرى نام واسع شاذة هندست الحارث الكندية مجبارة ضخمة في سنان خارج الحيرة يشرف عن بعد على بحيرة كانت هناك وفي احديقة أنواع الرياحين والازهار وحولها كروم العنب والبن وغيرها من العاكلة . يأوي اليه الرهسان من اهل العراق وفيه منازل للاضياف في دار الضيافة ينزل فيها العرباء من المارة او نحوهم فيقيمون اياماً ثم بهصرفون . ورئيس الدير راهب شيخ سرياني اصله من ساسا . وقد جاء جند المسلمين العراق وحرى ما حرى لهم من الوقائع والديري ما . لم يصب نسوة واهلة آمنون

ومن يستقل باب الدير ووجهه يقرأ على عتبة قفلاً هذا نصه " بنت هند البعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وام الملك عمرو بن المنذرامة المسبح وام عبد وست عبيد في ملك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمان مار افرتم الاسقف قالاله الذي ست له هذا الدير يعبر خطبتهما ويرحم عليهما وعلى ولدهما ويقل نفوسها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر " (١)

في ذات ليلة بعد انقضاء واقعة القادسية وسكون الناس الى الراحة سمع اهل الدير قرع الاحراس وهي اجراس تعلق سبيان بعض الديور حتى اذا مر غريب دفقا فيقفوا له فيبيت هناك يتناول الطعام او نحو . فلما سمع خدام الدير الدق هروا بعضهم الى الباب وكان الشاب تقبلاً مضجاً بالحديد وفيه المسامير الضخمة فاطل من فوقه غرفة صغيرة فرأى ركبا على افراس ومعهم الخدم والامتعة فتل الى الباب فتفتحه ورحب بالقادسين واسرع الى قيم الدير بمجد . قدوم ركب كبير قد خلوا برؤسهم المشاة والرسان فلما وصلوا الى ساحة الدير ترجل الرسان وقدم بعض المشاة فامسكوا نازمة الخيل ووقفوا كما لا يبع أحد منهم بكلفة . فلما ترجلوا جميعا تقدم واحد منهم وهو لا يزال ملتصقا حتى دنا من قيم الدير فمس في اديه فاسرع وسار الكل

وراءه الى غرفة تناول فيها تلك الليلة واهل الدبر يخذنون في من عسى ان يكون هؤلاء الناس الذين لتنتهم لا يعرف النساء فيهم من الرجال ولكنهم عرفوا من فيافهم وسروج افراسهم انهم من اهل الشام وكانوا قد سمعوا بحروب المسلمين هناك فترجح لديهم انهم بعض كبار الغساسنة وهم بالحقيقة جلة واهله فاقاموا هناك مستترين اما حماد وسلمان فلما عرفا على العراق سارا لوداع ابي عبيدة فاذا هو يتأهب لوداع الامام عمر وقد تم بالرجوع الى المدينة فوقنا ريتنا ودعاه فامتطى عمر جملة وركب معه بعض الامراء وودع الناس وتحول نحو المدينة وسلمان وحماد بنظران اليه ويعجبان بما اوتيوا من رفعة المنزلة مع رغبته في الزهد والاقتصار على سائط الاشياء ولما توارى الامام معاد الامراء الى معسكرهم وفي مقدمتهم ابو عبيدة فانتظر حماد وسلمان ريتا خلا بسهم فصارا اليه واستأذناه بالاخصاف

فقال الى اين .

قال حماد اننا سائر الى العراق لعلنا نلتقي بوالدي فقد طال غيبته  
قال ثقلوا بسلامته وصحتوه فانه متيم على الحرب والسعة وهل سمعتم خيرا عن جلة  
قال لم سمع خيرا بعد ولعلنا نعرف عنه شيئا هناك  
( قال ذلك وهو يعلم ان ابا عبيدة اذا علم بمكائدهم من يقض عليه عملا  
بارادة الامام عمر فاكبر مكانه )

فقال ابو عبيدة اظنكما تعثران عليه في العراق فقد سمعت من بعض الناس انه سار الى هناك وزمما يقيم في دير هند الكبرى خارج الحيرة  
فلما سمع حماد ذلك اجفل ولكنه تخلد ونجامل وقال سنبعث عنه جهد الاستغاثة وهل نظن عليه مأسا اذا عرف مكانه .

قال ان امير المؤمنين كتب الى عماله في الشام وفلسطين والعراق كافة ان يقضوا على الرجل حيثما وجدوه لانه اسلم وارتمى وخرج من المدينة فارا  
فشكر حماد لنفسه لانه لم يبع بمكان جلة ولكنه خاف عليه من الرقباء ومال الى العجلة في المسير الى العراق فاستأذن ابا عبيدة وودعه سلمان وسارا الى خالد وغيره من الامراء ودعاهم وخرجوا يتأهبان للمسير



## الفصل التاسع والتسعون

### وادي الفرات

وبعد بضعة أيام حملاً ما استطاعا حملة من المتاع وخرجا من بيت المقدس وفيما هما في الطريق قال حماد لانظما اذا اتينا العراق عائدتين الى هذه البلاد فلنأخذ امتعتنا التي تركناها في بصرى وخصوصاً الدرع فانها كثر ثمين عندي وقد احتاج اليها في دفاع او هجوم . فمرا بصرى فترلا البت حملا منه ما طاب لهما من خفيف الحمل وغالي الثمن وخرجا الى دير بجمرا ودخلا الصومعة فلما ابتهوناتها فتذكر حماد اياماً مرت به هناك فهاجت فيو ذكرى هند وتنبت اشجاره وتاقنت نسمة الى العراق للملافة حبيبته قل ان يصبها سوء ولقيا في دير بجمراء خادمة هند فسلأها عن حالها فقالت انها ستسير في اثرها مع قافلة من قوافل العراق

اما هما فاصطحبا خادماً او دليلاً يسوس الخبل ويدهما على الطريق وسارا وهما نارة يمران بغياض وطوراً برمال وآونة بحمال واردية وتارة يصحور وعرة وكات اكثر الفاع متفة عليها صحراء الشام وفيها بقايا مدينة تدمر العظمى وبعد بضعة عشر يوماً اطلأ على وادي الفرات من اكمة مرتفعة فاداهو سهول مبسطة يجترقها الفرات وفيها القنات والعيارات ينبتا المغارس والسماتين والمرار وكان وصولهم الى هناك قل الغروب فوقهما والخدام يصب الخيبة على نية المبيت فوق ذلك الدل اما حماد فوقف وهو على متن جواده والتمت الى تلك السهول الخصة وما يظلمها من القرى والمدن وفيها الماشية عن بعد وشجر الخلل كانه جند واقف لالقاء الحجية فتذكر والدك العمان وقال في نفسه هذه هي البلاد التي كان يحكمها والدي . ومررت بذكريات خيالات حمة اكثرها مخيف ولكن صورة هند كانت تظللها كلها فتزيل المخاوف على انه ما لك ان تصورها في حال الضيق فهب من اعماق تصورات وعاد الى قلقو

أما سلمان فكان يساعد الخدام في نصب الخيمة واعداد معدات الراحة فلما فرغ من ذلك جاء الى سيد وطلب اليه ان يترجل فترجل فساق الخادم النرس ووقف حماد وسلمان ينظران معاً الى وادي الفرات



فقال حماد وابن موقع الحيرة يا سلمان  
قال ان الحيرة اول مدينة تستفلك قبل وصولك اليرات واظنا بشرف عليها  
غدا وبينها وبين القادسية بضعة عشر ميلا

ثم جلسا للعشاء وابصرهما بعد الرقاد لان التعب اخذ منهما مأخذا عظيما . وفي  
الصباح التالي نكرا وركا وحمادا يصدق انه يشرف على الحيرة ويرى دير همد ولو  
عن بعد وبعد ظهر ذلك اليوم اشرفا على بحيرة من الماء كثيرة طيها حماد لاول  
وحلة بمرافق ما هدا سلمان قال هذه بحيرة الخف بامولاني وعلى صماها حرت واقعة  
القادسية التي سمعا خبرها في معسكر ابي عبيد ووراء هذه البحيرة شمالا مدينة الحيرة مقام  
المناذرة اجندك ووراء الحيرة شرقا نهر اليرات . واما دير همد فهو خارج الحيرة وربما  
اطلقا عليه بعد قليل . ولا يخفى عليك ان معظم الكروم والساتين المجاورة للدير في  
صواحي الحيرة هي من املاك الامير عبد الله ولا تدري ماذا جرى فيها بعد واقعة  
القادسية واما كان مولاي الامير من شهد الواقعة فاطلة بتدري في حظها وحمايتها

فقال حماد الا تري اذا اطلقا على الحيرة الآن ان سميت في الدير الليلة  
قال لا اطبا تستطيع ذلك والمسافة بعيدة ولا تدري ما هنالك من العفشات  
فقد سميت الليلة في مكان على مقربة من الحيرة وفي الغد سير الى الدير

قال حماد . وفي الغروب ظهرت لها الحيرة بابينها ولكن الظلام غشيها قبل ان  
يتبيننا فاننا تلك الليلة واجمنا وحماد لم يبق الا قبلا لثمة قلنق ونشوق فكان كلما تصور  
ملا فاته هدا احتج قناة فوصلا صواحي الحيرة عند الظهر فاطلا على دير همد فلما رآه  
حماد تذكر انه يعرفه من ذي قبل ولكنه لم يدخله فمشيا بين الكروم ومغارس الناكهة  
والزيتون وسلمان بدلة على ما يملكه الامير عبد الله منها وحماد يزيد استئناسا ولكنه  
ما زال حاجسا بهد لا صرلة على لثامها ثم وصلوا الى قناة من الماء تظللها شجرة عظيمة  
وحولها الاشجار بارعة يثرها النسيم اللطيف فتسرع لاوراقها حينا يطرب المع بما يارجة  
من خريف الماء الجاري فوق الحصاة . فتقدم سلمان الى حماد ان يستريحا هاك ويتناولوا  
الفداء وفي الاصيل يدخلوا الدير

فقال حماد لا صبر لي على ذلك كيف يكون قرب الدير ولا تسرع اليه  
قال سلمان اري والامر لمولاي ان تستريح انت هنا والحامد يدير لك الطعام  
وادهب انا الى الدير اجمد عن همد واعود اليك بالخبر

قال لا اراني قادراً على ذلك ولا لى من المسير معك فلنترك احمالنا تحت  
هذه الشجرة مع الخادم ونذهب الى الدبر  
قال افعل ما بدا لك فدرنا وغسلا ايديهما ووجهيهما من العار وهما بالمسير

## الفصل المئة

### ﴿ الفصل ﴾

ركبا وسارا بين الاشجار والشمس فوق الرؤوس فلم يفهم طلي الاغصان الا  
قليلاً حتى انتهيا الى باب الدبر ومجاد قد مد صدهُ . وكان سلمان عارفاً بالجرس المعاني  
هناك فاجذب الحبل فدق الجرس ودق قلب حماد معه موقفاً رمة لم يتبع لها احد فاعاد  
الدق وبعد قليل اطل من فوق الباب راهب وقال مستهياً . من انتم

قال سلمان روّار للدبر

قال من اين انتم قادمون

قال من جهات الشام

فقال الراهب بلبهة النور « لا حمل للريادة عندما » وتحول الى داخل الدبر  
فناداه سلمان فلم يجب فكلمه سلمان اهل الحيرة معاد الراهب وقد تذكر انه يعرف  
ذلك الصوت فاطل ثانية من اعلى الباب وقال من انتم

قال سلمان اسما من اهل الشام وابما نحن عراقيون مثلكم افعلوا لنا فتدس الراهب  
في وجه سلمان رمة ثم جذب سسلته ممدودة بالفاقة ففتح الباب فدخل حماد وسلمان  
وفرسهما وراءهما فاخذ الراهب برحبهما ويظهر الى سلمان لعة يعرفه

فقال له سلمان اتعرف هذا الثياب يا حضرة الاب . وأشار الى حماد

فالتفت اليه وقال اليس هو الامير حماد بن الامير عبد الله

قال بلى هو فهل رأيت والدك في هذه الاثناء

قال رأيت مراراً وهو الآن مع جند المسلمين في خبر ولولاه لأصابنا ضحك وربما

قتلنا فقد كان لنا عونا ومجبا مورك ميو ومرحبا ماسو  
وما رالوا سائرين حتى اتوا دار الضيافة وحماد يطر يمة ويسرع وقد شاعت  
عياء لعله يرى شيئا ينسم منه راحة هدم لم ير الا رهبا ومحنة فدخل دار الضيافة  
وتناول الدرسين بعض الخدم فساقوها الى الاسطبل وبعثوا من يدعو الخادم  
لباقي بالاحمال

اما حماد فتعاطف قلقة ولم بعد يستطيع صبرا فادرك سلمان فيه ذلك فاندر  
الراهب بالاستبهاهم عما مة من فتح الباب لما حالا وما الذي يحافوه من اهل الشام  
فقال لمنس من الامير حماد عدرا على توقنا عن استقباله برهة وما ذلك الا  
لانا وقعنا منذ ايام في ورطة بسبب ضياف راول عدما وكاوا قادمين من الشام  
فقال سلمان ومن هم اولئك الاضياف

قال جاء ما جماعة راول في هذا الدبر ثمرا ونحن نحميهم من اعيان الشام فما لنا  
ان عرفنا انهم جلة بن الايهم والرائة واسعة وبعض خدمه  
فلما ذكر جلة واهله خفي قلب حماد وخاف ان يسمع خبرا بسوءه وقد عودته  
حوادث الايام ان يسي الثال في كل مستقل فاصاخ سمعه ليرى ما تم لم واكتفى  
باصغافه حاشا للراهب على اتمام حديثه وكان بعض الرها قد جاوا بالمواعين  
فيها الماء ليقتل الضياف فلم يثبت احد منها اليها وطلا مصغيين

قال الراهب : فاقام الملك حلة يسا اياما على الرحب والسعة ونحن لا نخسه الا  
من بعض امراء الشام . على انا كما نحب لاحتجابه في الدبر واحنا من عن العيون  
ونحن تنوس من خولو وخدامه انه محب للصيد والروسية . ولكن الامر انكشف لنا  
بغثة فجاء ما جماعة من جند المسلمين في عشارى بعض الايام وفيهم الرسان والمشاة  
وفرعوا الباب فها لم ونحن غير خائنين لما تعلمه من اليهود التي خصصوا الدبور  
والكنائس بها . فخرج الرئيس المحترم لاستقبالهم فقالوا لا خوف عليكم ولكن عندكم  
عدوا قرا في حرب الشام وكان قد اسلم ثم ارتد فلا بد من القبض عليه وسوقه  
الى الامير سعد بن مالك

فساله الرئيس عن ذلك العدو فقال انه جلة بن الايهم ملك غسان وكان جلة  
قد رأى الرجال وعلم انهم قادمون للقبض عليه فترى ولو كان وحده لتمكن من

الفرار ولكنه لم يجد اليوسيلآ . ففعلوا عليه وساقوه حالآ ولم يهلوه ريتا يلتفت وراءه .  
فقطع سلمان الحديث قائلاً هل ساقوه وحتأ  
قال ساقوا معه امرأة والحكم

قال حماد وماذا جرى لابتو . قال ذلك وهو مضطرب الخواس  
قال الراهب اما اسنة هذ فكات قد خرجت في صاچ ذلك اليوم لمرارة دبر  
هد الصغرى في الحيرة على ان تنضي نهارها هناك وتعود في المساء . فلما أخذ والدها  
لم تكن في هنا فلما جاءت في المساء اخبرناها بما كان فاجنلت ولطمت خديها  
وبدت والدها ثم وقفت تنكي نارة وتكر أخرى حتى قاربت الشمس الزوال  
ونحن نحف عنها فسالنا عما قاله لنا والدها قبل ذهابه فاعندنا ما لم يستطع كلاماً  
لنرسل ما الحوا عليه بالذهاب . فاسرعت الى جواد لها كان باقيةاها فركبت وترملت  
بعاءة من الحرير المزركش كانتا فارس مغوار واستنهمت عن المجبة التي ساروا فيها  
بولدها فاشربا اليها فهرت العرس وخرجت تنهب الارض نهياً ونحس لا نعهد مثل  
ذلك في السات . ثم لم بعد نعلم عنها خبراً

فما اتى الراهب على تمام الحديث حتى اشقت من حماد ولتقدت الغيرة في قلبه  
وتولاه اليأس فالت صامقاً كأنه اصيب بضمة ثم التفت الى سلمان فاذا هو صامت يفكر  
فاستغرب الراهب ما ألم بها من الفتنة وعهداً بالحميين يسرون بما يسوء الفاسدة  
لما يسها من الضغائن القديمة فقال لها ما مالي ارى حديث جلة قد همك الى هذا الحد  
وهو غساني العلكا من غسان

فقال سلمان لم يهنا حديثه ولا يهنا امر الفاسدة كلهم ولكننا نكر في تلك الفتاة  
المسكية . فهل مضى على ذهابهم مدة طويلة  
قال لا تزيد على بضعة عشر يوماً  
قال وهل سمعتم عنهم شيئاً بعد ذلك  
قال سمعنا اخباراً متعارفة من فائل ان سعدا امير جد المسلمين قتلهم حالآ  
وقاتل انهم قتلوا قبل وصولهم اليه وقاتل انهم لا يزالون احياء  
فازداد اضطراب قلب حماد وم بالتهوض فاقعد سلمان وقال للراهب متجاملآ  
وماذا سمعتم عن ابنتو المسكية

قال لم سمع شيئاً عنها منذ خروجها ولعلها اقتضت آثارهم الى معسكر المسلمين  
فلم يعد حماد يستطيع صبراً فذهب الى حواشي وتبعه سلمان . وكان خادم حماد  
قد وصل الدبر بما معه من الامتعة وحملها في ما من . فامردا في مكان  
فلما خلوا قال حماد دعني يا سلمان اتقي اثر حلة فقد حاق صدري وتحدثني  
بسي سوء اصلهم جميعاً . افنت نهاية آمالي ونتيجة انعمائي . قال ذلك وحرق اسنانه  
ونلأث الدموع في عيبيه . واكنه تحاد تحاد الرجال وقال عليها السعي يا سلمان وعلى  
الله التدبير . فما الرأي

قال الرأي ان نقصد معسكر المسلمين ويدخل على سعد بن مالك اميرهم فساله  
عن مولاي الامير عبدالله وهو عند من كبار المشيرين كما تعلم فاداء اتياء اعاسا في البحث  
عن حلة واهله واداء كان حلة لا يرال حياً وسطحا الامير عبدالله بالعموعة  
فقال مع الرأي رأيك ولكن هذا ابن في

قال نظمتها معهم وهب ان والدها قتل مني لا تقتل لان المسلمين لا يؤذون  
الاساء فقد تكون عدم في حفظ وخصوصاً اذا كان سيدي الامير عبدالله قد راها  
او عرف مقرها

فقال حماد لا نظمهم بخدوهم سيرة . اعود بالله قال ذلك وم بالجواد مركبة  
فقال سلمان نهل يا مولاي ربما نلاقي رئيس الدبر وبسأله عن معسكر المسلمين لئلا  
يذل السعي والوقت عثاً . قال حسناً وتحلدا ودخلا على الرئيس وكان قد عرف قدمها  
فرحب بها وقبل حماداً وامر لها بمائة قتالا لا يستطيع طمأنناً لاسا خارجان على عمل  
لامرهم اما وقد جئنا لوداعك . قال اتودعائي قل ان يلتقي  
قال كذلك قضى عليها وانهم تعلمون ان سيدي الامير عبدالله في معسكر  
المسلمين وفي بينا ان يذهب اليه فابن هو معسكرهم

قال ان المسلمين معسكرون الآن تجاه المداين في بهرشير <sup>(١)</sup> واطمكم تعرفونها  
وفي الخففة قسم من المداين فاما في الغرب والمداين في الذرق وبينهما دجلة .  
فقد رل المسلمون على بهرشير وحاصروها شهرين ورموها بالنال والمجاذق حتى  
فجحت . فاحتلوها وهم عاملون على فتح المداين <sup>(٢)</sup>

فقال سلمان اني أعرف بهر شير حيداً ويسهل علينا الوصول اليها اذ لا يحول  
بيننا وبينها الا الفرات وبعض السهل

## الفصل الحادي بعد المئة

### \* فتح المدائن \*

فودعنا الرئيس وولنا الى الفرقة التي أودعنا الامتعة فيها فليس حماد درعه ورداء  
والله الملك العمان وحمل خاتمة بين امواه وسلمان يظنر اليه مسألة عن سبب لسه  
ذلك الرداء فتمد وقال - الساب داهين الى المدينة التي قتل فيها والذي العمان  
قال بلى

قال أسأ في شك من فاء هدية

قال الله اعلم

قال حماد ونحن نعلم ايضاً انها قد تكون حية او ميتة اذ لا يعرف احد مكانها وقد  
سبق والدها الى القتل لا محالة فاداكات لحقت به قال يجلو امرها من احد خطر بن  
اما ان تكون سبية او قتيلة وكلاهما موت فهل أذيع بعد ذلك في الحياة وقد آن الوقت  
الذي يجب علي ان انتقم فيه لوالدي وهذه حدود المسلمين على ابواب المدائن فاني محارب  
مهم حتى ادخل الابواب سبي فاقفل كسرى يدي فاذا قنلت في اما خير من هـ ولا  
عيش لي بعدها وإذا حبيت فذلك امر الله بقدرة الحكمة لا عليها قال ذلك  
وقد علاه العصب وتخلت في وحيه مهانة الملوك فاقتطع اسرته وما زال يلبس درعه  
وصليل حديد مسموع الى الخارج - فتهيب سلمان من مطر ولست صامتا لا بدري  
مايقول ثم قال الا ترى يا مولاي ان تشكر بري المسلمين لئلا يستعصونا في وسط المعركة  
فيجسونا من الفرس او من عرب الحيرة احلهم

قال لقد رأيت حسناً - وكان بين تياب سلمان كثير من تلك الانوار لما كان  
يجتاح اليه من التكر فاستخرج نوبس لس كل منها ثوباً وتعماً بعمامة امل المجازحني  
لا يشك الناظر اليها في انها حجازيان

وكانت الشمس قد مالَت الى الاصيل وهم اهل الدبر بتمتة طعام المساء فشاهدوا جماعات منهم عائدتين اجمال الانذار والاخشاب من بساتين الدبر ثم ركبا واطلنا الاعنة للجواري فقصيا مئة صامتتين وافكارها ساجدة في ما سمعناه يستوقف مجاريها اصوات حوام الخيل واغام وقعها بين قرقة على الحجارة وهمس على الرمال وهالا يتكلمان فامسى عليها المساء وراء الخيمة فانا في كبسة هناك واصبنا راكبين مررا بحيف نعد بها رم خيول وحمال والعض الآخر جنث آدميين معترفة في تلك السهول م يى منها غير انقطاع الصحة التي لم تقدر على قصها السور فتذكرا ما وقع هناك من اخروب الهائلة بين المسلمين والفرس . ثم قطعنا العرات على جسر من السنن وفي اليوم التالي اشرعنا على المدائن وقصورها عن بعد فرأيا فوقها ضبابا كثيفا يكاد يبعجها عن الانصار فقال سلمان لقد هي امر هذا الضباب فاني اطعم غدار الحرب ويخال لي ان المسلمين بها حون المدينة في هذا الصباح . ثم وخرنا الجواردين حتى وصلنا نهر شير فادا هي في هرج والناس فيها بين فارس وماش يهرعون نحو النهر فسألا عن سعد بن مالك فقيل لهما انه يحوض النهر يحشو لفتح المدائن والمسلمون يقتنون اثرا ويتنازعون الامير عبد الله فلم يبقها بحمد احد فصعدا الى اكمة اشرقا منها على المدائن ودجلة فرأيا المسلمين يقطعون النهر باراسهم والرماح مشرعة في ايديهم ' ' ' وبعضهم قد بلغوا الضفة الاخرى يحملون الاعلام . ونظرا الى المدائن فاذا بعض حاميتها قد خرجوا من الـ واراميلهم واوراسهم واعلامهم بنأ هون للقاء المسلمين وقد علا الصبح حتى استكنت المسامع وتساعد الفار حتى حجب السماء . فهاجرت عواطف حماد وجرى دم الملوك في عروقها وثارت الحمية في رأسه فنظر سلمان اليه فراه قد احمرت عيائه وهو يتعرس في ساحة القتال كأنه بهم بالنوب اليها فقال له ما بال سيدي في شغل .

« فخر حماد اليه وقال « اراني يا سلمان راغبا في زول هذه الساحة » فقد آتت ساعة الانتقام لوالدي هؤلاء م قتلة النعمان ، المذر قد رمل لقتال المسلمين فلا اراني صابرا عن مشاركتهم ووصية والدي خارجة من ظلمات القبر . ولا ريب عدي يا سلمان ان نفاعدي عن القيام بتلك الوصية من اول الامر هو الذي عرقل مساعي

وحرمني من هد لان طاعة الوالدين واجبة وقد تهاولنا في هذا الواجب فحوزينا بالنصب والشقاء والشغل والنسوط الم تكن هـد طوع ارادتنا ان يكن والدها راصياً في ينتظر ساعة القرار . فما ناله انجم ونعيم من يوم قرأنا تلك الوصية المقدسة وعولنا على اغلالها ذلك اول قصاص للماء وما زالت تنوالى عليها الاحن وتنف في سبيلنا العقبات من ذلك الحين حتى خرج العيب من الدنيا او كاد وكان الله سبحانه وتعالى قد جرنا الى هذه المصاحبة ايزكرها بما ارتكبتها لعلمنا رعووي وصنع بالامر وكأني بوالدي ياديبي باعلى صوته من اعناق قبه واطمة ما املك بتعل ذلك منذ اعوام ولكن كما يعيدني عن مدعو ولم سمع الداء . وتحدثني سبي يا سلمان ان انازل هؤلاء الررس في حملة المارليس وعلي برد العباس من المذمر ويدي خاتمة فاما ان اقل شهيد الفار المقدس واما ان احيا بعد الصر واطر بجذبيبي فيطليب لي القرآن عملاً بوصبة والذي فقد اوصاني ان لا اقضي امراً مثل هذا الا بعد الاستقام له » وما اتى حماد على آخر كلامه حتى ارتعشت امامه وبارت عواطفه ولم ينالك عن ان همز جواده نحو النهر محاض الماء وخاصة وللمان في اثير حتى انيا الصمة الاخرى قرأيا المسلمين يضاردون الررس حتى دخلوا المداين فدخلوها في اثم . واوغل المسلمون في المدين وحماد في حملهم حتى انوا ايوان كسرى فدخلوا حديقته وخبواهم تدوس الارهار والرباحين ورماحهم تحترق اعصان الالبون والازدرخت حتى وصلوا باب الالبان فكان حماد اول داخل وقد عول ان يقتل كسرى بيد . والالبان قاعة كبيرة <sup>(١)</sup> طولها مئة ذراع وعرضها خمسون منية . هالاجر وابحص سقنها عقد واحد قائم على عمد من الرخام المنقوش وفي صدر الالبان عرش يجلس عليه كسرى تعلو قبة مرصعة في داخلها مروحة من ريش العمام والى جاني العرش مجالس الاعوان والوزراء من المرازنة والكهنة وجدوان الالبان وسفنة مزينة بالرسوم وفي جملة ذلك رسم كسرى اوشر وان وعيون من الاكاسرة العظام وايات من الشعر الفارسي مكتوبة بالحرف الكداني وفي سقف الالبان رسوم الافلاك والاجرام فلما رأى حماد تنمة في وسط الالبان ووقع نظره على ذلك العرش اسرع نحو وهو يحسب كسرى جالساً عليه فاذا هو خال وليس في المكان احد من الررس لقرارهم



جميعاً الى حاورن<sup>(١)</sup> ولم تمض لحظات حتى اءلأ الابوان بالمسلمين وقد اخذوا في تكبير التنايل وغرق الحور وكان العرس قبل خروجهم قد حملوا معهم ما خف حمله وعلائمه وفي مع ذلك ما لا تعدد فينبه من الذهب والتمارة الكريمة والقياب المروكشة والاسلحة المذهبة والتيجان المرصعة

اما حماد فلما تحقق سقوط المدائن لم يعد يتغلة شاعل عن الناس الامير عبد الله فلم يره بين الهاحين فانتعل باله عليه فاورع الى سلمان ان يساعد في طلبه وكان سلمان اكثر قلقاً عليه من حماد فقال لحماد لا تعد است عن هذا الابوان فاني ذاهب الى سعد بن مالك امير هذا الجند لعلني اسمع منه خيراً عن سيدي الامير قال حساً وفي حماد في حلة الجند لا يستغسه احد حتى سكنت الغواة وهو يظفر الى ما يجمله الصاخون من التحف الثمينة وفيها التيجان والسيف المرصعة فسمع قائلاً يقول هذا هو سيف النعمان فلما سمع ذلك خفق قلبه وود لو ياله هو ولكنه لم يجسر على التماسه فقال في باطن من هذا هو سيف النعمان وهذا ابن النعمان وهذا رد النعمان وهذا خاتمته قد شهدوا حرب العرس معاً ورأوا سقوط دولتهم رأي العين وذلك ما نمناه والدي ولم يبق لي في الحياة مأرب الا اذا طيرت بمنيتي ومنيتي اربي ولم يكذب تذكر هذا حتى عادت انيو اشجاءه وسي موقته والباس في شاعل عنه مهر جواده واخذ في البحث عن عبدالله فتذكر موعده مع سلمان فوقف حتى عاد سلمان فاذا هو مفدص الوجه فقال له حماد ما وراءك قال لقيت بعض حاشية سعد من مالك وسألتهم عن الامير عبد الله فقالوا انه كان معهم ولكنه خرج من المعسكر اول الدارحة ولم يعد

فقال هل سألتهم عن جنة

قال سألتهم فقالوا ان موعداً امر بقتله مذ قرض عليه

فقال هل علمت اذا كانت هدمه عند قتله وما ذا جرى لما

قال علمت انها لم تكن معه ويظهر انها لم تصل اليه فقد قال لي مخبر ان جنة سبق اسيراً ومعه امرأته فقط وعلى كل حال لا نظننا شين الحقيقة الا من سيدي الامير عبد الله

وتركا المدينة والمسلمون يحسونها من جملة جدم لما تنكروا به من الري الحجازي  
حتى اذا صاروا خارج المدائن قال حماد لقد قضي الامر يا سلمان وسقطت عاصمة  
الفرس وان يكن ملكها يزود جرد فر ولم يقتل بعد ولكنه مقتول لاحالة ما قد انقذنا  
وصية والدي ولكننا ما لنا ان سمعنا بمقتل جيلة ونحن في ريب من امراهلوا ولا تعلم  
مفر هند . قال ذاك وحرقت اسامة واطرق

فقال سلمان لا اظن هداً الا في بعض الديور وعلى كل حال اسنا لاستطيع  
امراً قبل مواجهة الامير عبد الله

قال حماد وما العمل

قال ارى ان نعيش عه

قال اخاف ان يكون قد اصاب حنقه ايضاً

قال لا اظن ذلك لانه لم يكن في المعركة وقد علمنا انه كان في المعسكر قبل  
المجوم فلعله التجأ الى مزرعة من مزارعه خوفاً من الحرب  
قال أنعرف له مزرعة قريبة من هذا المكان

قال اعرف مزرعة له على بضعة اميال ما فلندهب اليها لعلنا نغف على جرمه من  
بعض الملاحين هالك

قال حماد سر است في هذه المهمة ودعني اعود الى الحيرة اجدد البحث عن هدا  
لعل احداً من اهل الدبر ينهني بخبرها ولنضرب موعداً نلتقي فيه بمكان نعيه  
قال لقد رأيت رأياً حسناً وأرى ان نلتقي في دبر هدا الصغرى في الحيرة بعد  
ثلاثة ايام فمن استطاع خيراً قصة على الآخر . واقتربا



## الفصل الثاني بعد المئة

﴿ ابن هند ﴾

فاطلق حماد لجواده العنان وعاد فحاض دجلة واغرب بلباس الثياب فقطعة  
وسار قاصداً دير هند الكبرى وات في الطريق ليلة ورل على الدبر في اصل اليوم  
الثاني ففرع الجرس فتخلوا له وم يحسوه مسلماً لتكره بلباس التجازين فرحوا به  
ولشوا ينظرون ما يفتقروا فلم يكلمهم وظل قاصداً الرئيس وقد عرف غرفته فاستقبله  
احسن استقبال وبالغ في اكرامه فلم يصدر على تكره فاطلعه على حقيقته فساء له عما  
لقبه فقص عليه خبر المداين وفتحها فذكر الله وقال لقد توسمنا قرب سقوط الفرس  
منذ اشهر لانه سبحانه وتعالى لا يفتي على عنة النار فان هؤلاء الماتحين وان لم يكونوا  
نصارى فهم يعبدون الله ووجوده ويؤمنون بالامياء والرسول ويذكرون عيسى  
ومريم بالخير في انتصارهم نصرة للدين القويم

ولم يكن هذا الحديث لهم حماداً ولكنه صر حتى فرغ الرئيس من كلامه فقال  
له هل سمعت شيئاً عن جيلة سعد دهلي

قال لم نسمع عنه شيئاً ولكننا سمعنا خبراً عن استو

قال وماذا سمعتم عنها

قال ان بعض رهاسا ينزلون الحيرة مرتين في الاسوع يحصرون سورها يستبدلون  
ما يفضل عددا من غلات ارضا بما يحتاج اليه من الاسحة او الآلية او نحوها  
فاتفق للذين رلوا على اتر خروج جيلة واهلوا انهم رأوا تلك الثناء في بعض طرق  
الحيرة على انهم اختلفوا في حقيقتها فانكروها منهم واصر الآخرون على انها هي في بعضها  
فلا تدري ايها مصيباً

فلما سمع حماد ذلك قال لا يزال حضرة المحترم لاستقدام اولئك الرهبان لعلني

اتحقق الامر بمنسي

قال حياً وكرامة . وصنف فجاه راهب فامر ان يدعوا راهبين سماها وبعد هنيهة  
جاء الرهبان فسألها حماد عن تلك الثناء فقال احدها رأيناها قبل ان تدخل الحيرة

نرب بحيرة هاك ويحال لي انها ابة جيلة ولكن اخي هذا ينكر علي ذلك  
فقال الآخر لا اظنها هي لاني لم اتوسم فيها ما عهدناه من الاتفة والعزق فقد  
عرفناها ها وفي وجهها هابة الملوك وفارقنا على جواد كأنها من امهر النرسان والفتاة  
التي شاهدناها لا اقول انها لا تشبهها ولكنها اشبه بعامة الناس منها بالملوك  
او الامراء

فلما سمع حماد كلامها تخبر في امره ومال بكليته للسير الى الحيرة يتفقد هندا  
بنفسه فتظاهر بالاكتماء بما سمعه **ع** بالتهوض فدعاه رئيس الدبر للمبيت عدم تلك  
الليلة فاعذربا يدعوه الى سرعة السير وودعه وخرج والخمس قد مالت نحو المغرب  
وجعل الحيرة وجهته ولم يكد يتوارى عن الدبر حتى اشرف على الحيرة ورأى غديرها  
المحصل بالجيرة وقد عابت الشمس واخذت الكواكب في الظهور فاطلمت الدنيا  
في عينيها فالتفت فاذا هو على ميل ونض الميل من المدينة ثم اشتد الظلام ولم يعد  
يرى الطريق فتبين له عن بعد نور مزدوج عرف من خفقانه انه وقود عبد الناطق  
العكس سوره في الماء فظهر مزدوجاً فقصد وقبل ان يصله سمع صوتاً يناديه بلغة العراق  
« من أنت »

فقال غريب لا اعرف الطريق ومن أنت

فقال يا هلا بالضيف يا هلا بالفارس

ثم رأى حماد الرجل قادماً ويده خدشة مشتتة يستضي بها فتعرج فيه فاذا هو  
شيخ طاعن في السن قد استرسلت لحية وشاب شعره ولكنه لا يزال في نشاط الشباب  
عليه عباءة خلفة ويده عصا كبيرة فعرف حماد من مجمل مظهره انه راع على انه ما  
لست ان شم رائحة الزريرة وسمع معاء الماعز ففحق ظنه ولكنه لم ير حوله بناء ولا خيمة  
فترجل وسلم والراعي يتعرج فيه وينظر تارة الى وجهه وطوراً الى لسانه  
ثم قال له ما مالي ارى لسانك حمارياً وكلامك عراقياً

قال لي من كليهما - وقطع الكلام - فسكت الراعي وتقدم الى الدرس فقاده بعاه  
وليس في ذلك المكان غيرها فتمتيا لا يسمعان صوتاً غير معاء الماعز وبقى الضمادع  
حتى انها الى كوخ صغير مبني من سعف النخل وقد روض عند بابو كلب كبير الجثة  
ظل رابضاً هادئاً كأنه ادرك ان البازل ضيف لا خوف منه على القطيع

## الفصل الثالث بعد المئة

### ❀ أين الشجي من الحلي ❀

اما حماد فلما وصل الكوخ واشتم رائحة الرعاة استنكف من الدخول اليه فقال  
 الشجي دعنا نجلس هنا فان ذلك امرج لنا  
 قال مرحباً بك حينما جلست . وإناه . مرو . من جلد الماعز جلس عليه وذهب الشجي  
 بالرس الى عود وراء الكوخ شدة اليه واخذ في ررع السرج . وفيما هو يفعل ذلك  
 سمعه حماد يغم ويقول اقول لا لم يههها  
 فساداه فلم يحجة فاعاد الداء فجاء الشجي واللجام يبع فطر حماد اليه ماذا هو يتيسم  
 فبات لثمة ولم يبق فيها الا سن مارة الى الاعلى  
 فقال له حماد ما يصحك يا اخا لحم  
 قال انما استعكي ما رأيته في عنة هذا الجواد ما يشه عنة فرس تعودت ان اراه  
 كل ليلة من ليالي الاسوع الماضي بركة فارس قد اعجني فيه ما اعجني فيك  
 قال من هو ذلك العارس وما الذي اعحك فيها  
 قال لقد اعجني فيكما التكر فان ذاك كان يا بني في كل صباح مانماً وعليه  
 عاءة من المحرر فيكلمي بصوت النساء وعليه رداء الرجال وابت جفني لباس  
 انجاز وكلام العزاق فلا ادري تغيرت الارض واخطط الناس ام كيف  
 فتذكر حماد هدأ وما سمعه من ترمها بالعبادة يوم خروجهما من الدبر فاستأس  
 بجديت الرجل فهم باستيضاحو فاذا هو قد تركه وتحول نحو الزريرة فاستندمة  
 فاجاب انه آت على عجل فنت حماد كأنه على مقالتي المحرر حتى عاد الراعي وفي يد  
 قصعة من الخشب قد أكد اوتها من تولي السنين على استخدامها . لا غسل وفيها لن حلة  
 من ماعزه وقدمها له ليشرب

فاعتذر حماد مائة لا يحتاج الى طعام

فقال الشجي لقد زلت ضيفاً ما عليك الا ان تناول الطعام واذا كنت ملائ  
 الخوف تمهل ربنا آتيك ببعض المحرر قال ذلك وتحول نحو الكوخ وعاد بقصعة فيها

خمر فقدمها لحماة وهو يقول اليك هذه الخمر فانها من غلة كرمنا هذا العام . فتناول حماد النضعة لا رغبة في الشرب ولكنه ذاق اذا اعتذر ان يأتيه السج يشي آخر ثم جلس الراعي بجانب كلو ويد على رأس الكلب يلعب باصبعه بين اصابعه وهو ينظر الى حماد

فابتدره حماد قائلاً ذكرت لي الفارس المتكرو لم نمت حديثك . قال هذا هو كل حديثي عنه . ما انا في . منذ بضعة عشر يوماً فاقف حواذه عد هذا الكوخ وسألي الذهاب الى دير هـد لاستنهم له على اساس قادمين من الشام هل راوا الدير ام لا . وكنت اذا نظرت اليو رأيتة فارساً مثلاً فاداً نكلم خنته امرأة فسألته ان يجسر اللثام عن وجهه فأبى ودفع اليّ دياراً فاطمعت امره ووعدتني بالجواب في المساء فعاد في المساء وهو يضني ذهبت لاسناد مهمته ولم يدري اني لا استطيع التخلي عن ما بقيت وليس عدي من اعهد امرها اليو . فلما سألي اجنته اني سألت اهل الدير فقالوا ان لم يأتهم احد . وما زال يكرر رياراته ودفع الدبابير ولما اجبت جواً متشابهاً حتى اذا كان منذ بضعة ايام استغلني بدر المانية والسيدة مريم ان آتية بالحجر اليفين . فمرت الى الدير فسألتهم فقالوا انهم لم يأتهم احد وهب ان احداً من اهل الشام جاءهم فلا يقبلون زيارته . فلما احست الفارس هذا الجواب غصبت وبنم وكاني سمعته بلعلم ثم تحول عني ولم اعد اراه من ذلك اليوم فدمت لاخلص الخدمة وافاد المهمة بالصدقة . فلما رأيتك ولأنت ما آتت من المشابهة بينكما ضحكت وعولت على ان لا اصدق في خدمتك

فلما سمع حماد ذلك تخفق ان السائل هـد بعينها فقال الشيخ ألم تعلم الجبهة التي سار فيها ذلك الفارس

قال لا . وهب اني اعلم فما انا صادقك

فمد حماد يده واستخرج ديارين دفعها اليو فتناول الشيخ القدين وهو يفرس فيها ويحك ثم قال اما اذا شئت ان اصدقك الخمر فاعلم ان الفارس سار محاذياً لهذا الشاطئ قاصداً النخبة فلما بعد عني وصار على مقربة من الدببة رأيتة نرجل ووقف مدة فظننته عائداً اليّ فاشتغلت عنه برهة ثم التفت فلم أره فاستولى القلبي على حماد وعجب لمرجلها ووقوفها ولبت صامتاً بعكر ثم قال ومتى

حدث ذلك

قال حدثت مند اسوع

اما النخ فلما آتس من حماد بدلاً حاول المبالغة في أكرامه فجعل يقدم له  
الخمر واللبن فلما رآه لا يترب شيئاً وقد مضى بعض الليل دعاه للرفاد في الكوخ  
فقال حماد لا احتاج الى رفاد

فقال اذا كنت تحفر كوخي وقد تعودت المدام على الاسرة فاني معذ لك فراشاً  
من الحرير . ودخل الكوخ ثم عاد وفي يده ملاءة فرشها له ففجب حماد لوجود تلك  
الملاءة عند فمهمس فيها فاذا هي عباءة مزركشة فأجل لرؤيتها ومد يده فتناولها  
ونظر اليها بضوء القمر فاذا هي عباءة هند وكان كثيراً ما يراها عليها اذا ركت  
فصاح في الرجل وأنى لك هذه العباءة . فصحك الراعي ضحكة يمازجها خوف ولم يجب  
فتقدم حماد على ما ناداه به من الجبناء وقال بهتيراً لقد اعجبني لطيفك وحسن  
ومادتك فاني يا عباءة لا استطيع القيام بحق شكرك على هذا الاكرام الا تحبرني من  
اشعت هذه العباءة

فسكن روع النخ وأشار الى كلبه وقال انها من صيد هذا الكلب

قال وكيف ذلك

قال اعتقدت ان ذات صباح لم احضه وكان قد تعود السرح في بعض الايام ثم  
ما لبث ان عاد وقد عص على هذا الرداء ببيوه وجاء يحضه وراءه  
فازداد قلبي حماد وقال ومن اي جهة قدم به

قال من جهة الشاطئ

فقالي الا تغتنيها العباءة التي كان ذلك العارس ملتجئاً بها  
فتفتحن وتنشغل عن الجواب وحرك حاحبه وكتميه كما انه يقول لا اعلم



## الفصل الرابع بعد المئة

### ﴿ المناجاة ﴾

فتحقق حماد انها عبادة هند مخاف ان يكون لوجودها هناك سبب يحزن محقق قلبه ونشأه وحدثته حسه ان يتبع الشاطئ لعله يقف على اثر آخر ثم تردد مخافة ان يتوهم عن الطريق والوقت ليل يحاول الانتظار الى الصباح ولكنه نظر الى السماء وتأمل مواضع الاراج فعلم انه في نصف الليل فاستعد الاجل . وكان القمر قد طلع حتى تكبد السماء فامار البحيرة وشاطئها واسية الحيرة . وفي اول تلك الالنية قصر الخورق الشهير . فعول على مغارة الراعي والمسير على الشاطئ فتظاها بالصخر والقلق وقال له اراي لا استطيع رقاداً الآن فاحفظ بالدرس ربما أنمى على هذا الشاطئ مرة اهل النعاس ان يأتيني واعطي العساء القنم فتقبني من الرد.

فقال افعل ما بدا لك

فساؤل حماد العساء ونزل بها وسبى الى حيوة قمرعة وعلقه بمنطقه لئلا يطرق الارض فجحدث صوتاً بعترض مجاري تصوراتي وسار الهويتنا محاذياً للشاطئ وقد سكن الهواء واوت الطيور الى اوكارها فعداس مشي برهة وفقد والتمت وراءه فاذا بالزريبة قد توارت عنه فطفر الى ما حوله فعلم انه على مقربة من الحيرة وبينه وبينها المغارس والكروم واماء البحيرة وقد هدا ماؤها وبور القمر يعكس عن سطحها فينبألاً كالرجاج والطبيعة هادئة ساكنة لا يتخلل سكوتها الا بقى الضنادع . فجلس على صعر هناك واطلق لتصوره العيان فمكر في ما هو فيه من المهاجس وتصور هدا وعاءها وما الذي اوصل ذلك الكلب اليها . فاعترضه فكر اقشعر منه بدنه وخيل له ان هذا لما يشت من لغائو القت تنسها في ذلك الماء فبقيت العساء على الشاطئ حتى حملها الكلب الى الزريبة ولما تصور ذلك اقبضت منه واحس كالك صبت عليه ماء بارداً وم بالعبادة بقلها ويتنسم رائحة هند منها فغلب عليه الوجد فاخذ في البكاء وجعل يحاطب العساء وهو يبكي ويتند وتقول

اخبريني يا عبادة هند اين تركت هدا هل انت خلعتها ام هي خلعتك وقد غرقت في هذا الماء وتركتك ذليلاً بمصرها آه من طواري الجذنان آه من تقلبات



الزمان ابن هند الآن ألعها لا تزال في قيد الحياة ام هي غارقة في هذا الماء وقد اكلت  
لحمها الاساك . . . كيف تموت هد وحماحي برزق . . . وسكت رهة ثم قال العلي  
قصرت في البحث علك حتى بثست من لقائي من يخبرني ابن است . . . هند هند . . .  
ابن است ألسني درعا لتفني وثقتي نسلك قمع الله رأي والدك وضعف عريته  
لقد جرّ عليها الشقاء ساعده الله اذا كان لا يزال بين الاحياء . من يخبرني ان هذا  
حية او ميتة فاذا تحققت موتها استودعت الدنيا ولحقت بها لعلنا نلتقي في ظلمة الابدية  
. . . ثم سكت رهة وسمع دموعه ونظر الى ما حوله فاذا هو منفرد ليس من يسمعه  
او يراه فاطلق لنسوة عنان الكاء وعاد الى العساء فالت بها وجهه وجعل يشمها ويقبلها  
ويشهي في الكاء حتى كاد يفي عليه

ثم رفع العساء عن وجهه ووقف نغمة والتمت نحو الحيرة فاذا بيوتها ساكنة هادئة  
فقال . . . هؤلاء اهل الحيرة يام لا يرعهم طيف ولا يفلهم خيال . هل يعلمون ان  
على شاطئ بحيرتهم ملكا بيكي كالطفل هل يعلمون ان ابن ملكهم النعمان صبّ هائم  
يبحث عن حبيبته في اكنافهم هائم ايها الراقدون اخبروني ابن هي هند ابن است  
يا هند ابن فامتك ابن عيماك ابن است اجيبي فاخبرك ان دولة الفرس قد سقطت  
واشقت لوالدي تعالي نجتمع ونسي الاحرار والانتعاب لقد آن زمن الراحة . . .

ولكن آه ابن الراحة من متى مات والدك قل ان يولد هو واتصت زهرة عمر  
وهو لا يعرف اسمه حتى اذا عرفه وأن له ان يسترجع بكية الرمان بضايح حبيبته آه --  
يا ليتني لم اعرف ذلك السب فان معرفته حرت علي كل هذا اللاء -- ما احلى  
الحب وما اسعد الحبس اذا التقي ولو عاشا في كوخ مثل كوخ هذا الراعي واوغل  
في الكاء وهو يقلب العساء بين يديه ويقبلها ويشم رائحتها حتى يلها وقد تعب وخارت  
عزمته فالتكأ على الصخر ففعل الدرع فتوسد الثرى والتى رأسه على حجر فغلب عليه  
النوم والنعاس فغمضت اجامته وهوين البقطة والمنام

ثم استيقظ مدعورا كأنه سمع صوتا يناديه فنظر الى ما حوله فلم ير احدا فعلم  
انها احلام اقتضتها هواجسه وشكوكه . ولكن ذلك اصوت ما زال يرن في اذنيه وقد  
اضطربت حواسه وخجل له فلدوا المكان وسكون الطبيعة انه في عالم الارواح وان  
ذلك الصوت خارج من القبور فاقشعر جسمه

وكان البرد قد قرس والععب انهمكة على اثر ما فاساه من الركوب نهاره كله مع ما لم يوهج والكدر في ذلك الليل فالف بالعباءة جيذا ونهض ومضى بالشاطئ وهو يجاذر ان تسمع خطواته كأنه يجاف احدا ثم رأى النجوم تتوارى رويدا رويدا حتى لم يبق منها الا القليل وقد تضاعل ضوءها فعلم ان العجر قريب ثم بدا الشفق من وراء الافق بطارد اشعة التمر وهو سابع في النضاء كأنه يودع الليل على موعد ورأى الاطيار خارجة من اوكارها بين مغرد ومرغم ومصق ومرفرف ومحنق فمضى حماد العامة على رأسه وقد فسد هندامها لما قاسته من صدمات العباءة . اما العباءة فجعلها على كتفيه وشدها على صدره بقي البرد بها ولم تمض رهة حتى سمع دق الاحراس من كنائس الحيرة وادبر بها فاخذ يتفرس في الشاطئ لعله يقف على اثر آخر من آثار هند ثم خاف ان يزل احد من اهل الحيرة ليفتسل او يستقي فيراه في تلك الحال مهم بالرجوع وفيما هو يقول سمع وقع حوامر فأجل والنفت فرأى فارسا خارجا من سور الحيرة كأنه يطلب الحيرة ولم يقع نظره على الفرس حتى خنق قلبه لانه يشبه فرس هند ولكنه لم يبر فوقه سرجا وقد ركبه غلام يشبه ان يكون خادما فوقف حتى دنا الفرس منه فتامله فاذا هو فرس هند بعينه فغمت واستشر وصاح في الغلام فوقف

فقال له الي يا غلام

عالمنا رأى الغلام العامة المجازية خاف واسرع نحوه

فقال له لمن هذا الفرس

قال هو للامير فلان

قال ومتى اقتناه

قال اول النارة

قال ومن اشتراه

قال من بعض الرهبان عرضه للبيع في سوق الاربعاء

فقال ولاني للرهبان مثل هذا الفرس وهو من خيول الشام

قال لقد تعودنا مشاهدة مثل هذه الخيول يا سيدي منذ قامت الحرب فكل

فتيل لم يكن له وارث واهت امتعة وسلاية للادوية تنفخها في سبيل الرقمة من

فارس قتل وظل فرسه تائهاً فاستولت عليه الديبور وباعته  
فلما سمع حماد ذلك ايقن موت هـد غرقاً في تلك البحيرة وتحول عن العلام خشية  
ان يرى مكاهه واطلق لدموعه العنان والشمس لم تشرق بعد . اما العلام فلم يصدق  
انه نجى من ذلك التجاري فحول عمان الرس وكان قادماً لبسقية فعاد ولم يسق  
فلما خلا حماد سوسه وقف عند الماء . والاعاءة تظلل ونظر الى السماء وتند وقال  
أطع بعد ذلك بالقاء . . . لمن احيا وقد فقدت حياتي اأشرب الماء وقد غرقت  
في حيتي . . . ما الذى حملك على الانتحار يا هند أياك من لقائي فصطت اللعاق  
في الى دار الابدية وقد ظلمت اني سفكت اليها . فمن على كل حال لاحق انرساق  
ولكن وبلاء انترق اعزاًمنا ونحن في جهاد وشقاء فاذا آن اللقاء وزالت العراقيل  
امتنعت علينا الحياة . . . ثم سكوت ونظر نحو الشمس فاذا هي لم تطل بعد فقال أنتظر  
شروقك اهلك تأتيني بشارة ام است لا تحبيلين الا اللاء والثناء . دعيني اتوسد  
الماء قبل ان ارى وجهك . ونظر الى الماء امامه فاذا هو رفيق لا بفرقة فحول الى  
مضراًه تائهاً فوق الماء على منفة منه وقال الاولى بي ان التي تنسي من فوق ذلك  
الصخر فمشى نحوها وفيها هو ذاهب شعر مجاذب في نسو بمسكه عن الانتحار فاعتبر ذلك  
من قبل الضعف الذي يتولى الاسنان اذا تحقق دنو الاجل

## الفصل الخامس بعد المئة

### لقاء هائل

فلما وصل الصحر صعد اليه ومشى نحو حافته فزلت قدمه وتعثرباد باله فوقع وفيها هو  
يتجهز للهبوط حات منه القنانة فرأى اشباحاً خارجة من ضواحي البحيرة تطلب البحيرة فقال  
في نسو فلا عجلن الاجل قبل وصولم فتقدم فاحس بما يمكنه عن ذلك العمل واستولى  
عليه الضعف الطبيعي فتجلد ونظر الى تلك الاشباح فرأها تقترب نحو الشاطئ فتأملها  
فاذا هي اشباح نسوة احداهن تحمل جرة والاخرى سلاً واخرى تسوق بعيراً وكلهن في  
زيم واحد فاستغرب البسمة المشابهة وكلها سوداء وعلى رؤوسن اغطية سوداء مهممة  
امرهن وعلم ان تلك الالبسة لا تكون الا في الديبور . فحيل له امهن راهبات خرجن قبل

النهر للاستقاء وقطاف الاثمار والبقول من مزروعات الدير فحسد من على سذاجين  
 وخلو قلوبهم من لواعج الحب ورأى حاملة الجرة تقترب نحو الشاطئ. ثم ما لبثت ان  
 دبت منه حتى كرت راجمة كأن احداً بطاردها فاستأسس بخطواتها لمشايبتها خطوات  
 هند ولكنها أضعف منها كثيراً فعلق ذهبه بئلك الفتاة وود لو انه يراها لحظة اخرى  
 فظل يتبعها بظفر حتى رآها وقتت الى رجل يحطب لحاطنة واشهرت الى حماد  
 فانشغل بال حماد ومال الى معرفة سر ذلك الخطاب ثم رآها آتية مع الفتاة يعرجها  
 والرجل بماسو

فلث ينتظر وصولها فتقدم الرجل اولاً وجهاً حماداً وتلطف في السلام عليه  
 وحماد ينظر الى الفتاة وهي منصرفة نحو الشاطئ. لعلاً حريتها فقال الرجل لحماد انا ذن  
 لي سؤال . قال قل . قال مع ابن اشتريت هذه العاءة

قال وما يعينك من امرها

قال لانها مسروقة من صاحبها فاذا اخبرتنا عن ماعك اباه طالبتنا بها

قال وما ادراك ان هذه هي بعينها ان العبي قد تنهاب

قال ان صاحبها رآها بعيو وعرفها وله فيها علامات

قال ومن هو صاحبها

قال الفتاة التي رأيتها الآن فانها حاملة راتك عادت اليّ بالخبر وقد كنا قصينا

ثلاثة ايام ونحن نبحث عنها

فلما سمع ذلك الكلام ظن نفسه في منام فمسح عيبيه والتمت الى ما حوله واستشهد  
 وجدانه فتحقق انه في بقطة فظفر الى حاملة الجرة فراها قد ملأت جرتها وعادت  
 الى رفاقها فجعل يتأمل خطواتها فاذا هي خطوات هند ولكن الجسم نحول . فقال للرجل  
 ما مال صاحب العاءة لا يطالب بها بتمسو

قال لان صاحبتها من راهبات دير هند الصغرى ولا يؤذن لمن بحاطة الرجال .

ولما انا من خدمة الدير المكلفين بمثل ذلك

فقال حماد ( وقله يكاد يطير من الفرح وهو يملك نفسه ويبتعد ) وهل صاحبة

هذه العاءة قديمة في سلك الرهنة

قال لا تزال حديثة وقد دخلت في طور الابتداء فاذا مضى عليها بضعة اشهر

نحت الاختار رسموها ولذلك فقد وهبت الدبر كل ما كان معها من الثياب والمصاغ والدواب فابقن حماد انها هدد ولولا عمامته ولباسه المحازي لعرفته لاول بظفر وهي لولا ثوبها الاسود ونحوها لعرها . فلما ايقن انها هي نفسها ارتعدت فرائضه لما كان فيه من الخطر وحده الله لتجاءو على هذه الكيفية وحدته معه ان يسرع الى هدد فيطلبها على حقيقته فخاف عليها من الغنة مع ما آسسه من صعبها فصبر معه . وخاف من الجهة الثانية ان تكون قد بذرت العمة فلا بقي له اليها سبيل فقال للرجل وهل بذرت العمة قال لا تذرها قبل ان تنقضي مدة الابتداء .

فاطمان ناله ونظر فاذا بالفتيات لا يرلن في شوارعهن بعيدات لا يسمعن ولا يرين صاحبة الجبرج قد ونمعت حرتها على الارض وجالست على حجر مفردة تنتظر رفيقائها ليرحمن الى الدبر معاً . فقال حماد للرجل اذهب الى صاحبة العدة وقل لها اني لا اعطي العدة الا تملأ يدها .

قال قلت لك يا مولاي انها لانه تطيع ذلك

قال اليك هذا الرد . وخلص رد النعمان عنه من العدة ادعته اليها بدلاً وقال فتناول الرد وتامله فاذا هو انثى من العدة كثيرة فاسرع هو حتى أتى الفتاة وهي لا تزال جالسة وحدها فدفعها اليها وقال لم يعطني العدة . ولكنه دفع الي هذا الرد . فحالما رأتها صاحبت الحال حماد حماد . . . وتركت الحن وأسرعت نحوه وكان هو . اقبحا ليري ما يبدو منها فلما رآها نهضت وأسرعت نحوه لم يبق عنده ريب بشأنها فاسرع للاقائها وقد زرع العامة عن رأسه فلما التقيا وقعت هدد معبياً عليها فاستلقت على جنب حماد فانهضها وكان خادم الدبر قد رآها تسرع نحو حماد فلما اغي عليها اسرع بالماء ورشها فافاقت وهي تقول حماد حماد حماد . . . وهو يقول هدد هدد حييتي هدد أنت حية والم احسك غريبة في هذا الماء . ولو تأخر قدمك لحظة اخرى لذهب حماد طعاماً للاسماك

فالت حماد الله يا حيبي . ثم غلب عليها الحياء . فغطت رأسها بالثياب الاسود وجالست منأدبة وقد امتنع لوبها وتولاها المزال . فقال لها اين والدك يا هدد . قالت اما سمعتم خبره انهم قتلوه واظهم قتلوا والدتي آه من قلبات الایام . واوغلت في البكاء .

قال هل تحققتِ مقتلُهُ

قالت لم أراه ولكني سمعت به ولولا ذلك لرأيتني معه حتماً كان لابي لما تبصروا علي وعلى والدتي استطيت حواذي وتعفت ارجاء فوصلت الحيرة فست في هذا الدبر وقد كنت اتردد اليه قليلاً فاشارت عليّ الرئيسة ان اتى عدها وابعت من يستطلع الخبر فعاد المخبرون وقد أكدوا مقتلها فلم يبق لي نصير الا حبيبي حماد ومن يخبرني قدومو فان الخادمة التي كنت ارسلتها للبحث عك في بيت المقدس لم تعد بعد فاستخدمت راعياً بالقرب من هذه المدينة كنت اتردد اليه متسكئة ليسأل عن قدومك الى الدبر فنفطع املي من دخولك الدبر لان اهله لا يقبلون فيه واحداً من التام فصفت ذرعاً واستولى عليّ اليأس ولم يبق لي في الدنيا مطمع بعد فقد والدتي وصياع حبيبي وزوال عر الملك وخسارة الاموال والفقر ولا انكر عليك اي هممت بالانتحار غير مرة ولكن قلبي لم يطاوعني لاني لم اياأس من لفائك بعد فلم احد وسيلة غير التهرب في دبر اعرف رئيسته وبعض راهباته فطلعت ذلك فقلوبني متدية تحت النخرة فوهنتهم كل مالي من الثياب والفرس ولم احفظ شيئاً غير الاساور وهي عرو من الخدة بيننا فانها حياء بين اثوابي وكنت قد اضعفت عيالي في هذه اثناء رجوعي المرة الاخيرة من عد الراعي لمرط قلبي وهو احسني على اني لم اتر ما انا في به من خبر الدبر فوقعت العناء عني ولم انسه فبحثت عنها في اليوم التالي فلم اجدها وهو اليوم الذي طلعت فيه الانضمام الى الرهبة فاختبرتهم اني فقدت هذه العباءة فاذا عثروا بها كانت حلالاً للدبر وهذا هو اليوم الثالث من دخولي وقد كلفوني تجارب كثيرة محملت الاحمال واشغلت الاشغال الشاقة فرادني ذلك ضعفاً على ضعف

## الفصل السادس بعد المئة

﴿ دبر هند الصغرى ﴾

وكان الخادم واقفاً وقد ذهل لما رآه فقدم الى هند فاوآ اليها ان عليها هذا مخالف لشروط الرهبة فقالت دعها يذهب الى الرئيسة مهبط ونهض حاد ومتبها لمقابلة الرئيسة وفيما هي في الطريق سألتها عن سبب تنكرها وما مرّ بها حكايته

بالاختصار حتى اتى الى حديث المدائن والبحث عن والدها فلما بلغ الى هناك تنهدت همد  
وقالت آه يا حبيبي انى سبعة بلفياك ولكن حظي غير تام لما قاسيته من فقد والدي  
فقال لها اننا لم نتحقق مقتلها وقد كلفت لسان بالبحث عنها وموعدا الالتقاء في  
دير همد هذا في الغد وهو اليوم الثالث من افتراقنا ومن عرف خبرا اطلع الآخر عليه  
فقد فرحت بطريدي فعمى هو ان يفوز بمن يبحث عنهم ولا ميرعد الله معهم  
وكانا ماشيين في وسط المدينة لايتهما استغراب الناس لمسيرهما معاً بل كانا  
في شاكل من تجاذب القلوب لا يكادان يريان الطريق فلما وصلا الدير اسرع  
الخادم الى الرئيسة فاسأها بما شاهدت من جرأة ذلك التجاري على الراهبة المتديبة ما  
يحالف اليهود المعطاة من المسلمين فاطلعت الرئيسة من باب الدير فرأت همدًا وحادًا  
قادمين وكان حاد قد روع عمامته فعرفت من ملامح وجهه انه عراقي فارادت  
استطلاع السر فدخلت بهما الى غرفة مسعدة فهم حاد قتل يد الرئيسة فعرفت انه  
مسيحي فسالته عن امره

فقال اذا ادست فاخبرك ان هذه الفتاة خطبتي منذ اعوام وقضت حروب الشام  
بافتراقنا لا يعلم احداً بكان الآخر حتى ادرك الله باجماعنا على يدك  
ونا ملكت الرئيسة بوجه حاد وهو يكلمها فاست في وجهه همة وجلالا فقالت  
الست عراقيا

قال نعم ومن بني لحم  
قالت ويخال لي ان هذا شامية من غسان

قال نعم  
فقال وكيف اجتمعنا  
قال كذلك قدر الله

اما همد فتذكرت اول معرفتها حادًا وتذكرت والدها وياسها من حياتها  
فترقررت الدموع في عينها

فلحظت الرئيسة فيها ذلك فقالت لهما ما بالك تكين يا ابنتي وكان حاد قد  
ادرك سبب بكائهما فقال اظنها تبكي لضباع بعض اقاربها في اثناء حرب الشام  
فجعلت تحفف عنها وتغنيها وتذكر حاد الامير عبد الله ولسان فصر نفسه ليرى

ما يأتي به الغد وقال للرئيسة على ترين ما يمنع خروج هند من سلك الرهبة  
 قالت لا ارى مانعاً لانها لم تنذر العنة بعد  
 قال فلتنقِ اذاً يوماً آخر في ضيافتك لاسي على موعد مع خادمي باللقاء هنا  
 غداً وقد ذهب للتفتيش عن ضائع لما فاحتفظي بها ريثما اعود فاني ذاهب الى راعٍ  
 في ضاحية الحيرة تركت فرسي عندك البارحة  
 ثم نهض فليس العامة اثلاً بكنز الراعي وترك العشاء عند هند وم بالخروج  
 فامسكتة قائلة لاتذهب فاني لست تاركتك لحظة بعد هذا اللقاء فقد كفاي ما فاسيته  
 فلا يفرق بي وبلك الا الموت

قال والنرس

قالت دعنا من الافراس او ارسل من يأتي به فانا راضية بذهابك ولا نخرج  
 من هذا الدبر الا معاً اما الى القتل واما الى الحياة  
 فعذرهما والتفت الى الرئيسة فطلب اليها ان تنفذ رسولاً من قبلها يستقبل العرس  
 فبعثت واحداً يعرفه الراعي ويثق به واطلمعه حاد على علامة يتقدم اليها وبعث اليه  
 دينارين ولبث يتعطر عوده

اما الرئيسة فقالت لحاد لا يحق عليك يا سيدي اساءة في دير راهبات لا يؤذن  
 للرجال دخوله الا اذا نزلوا في دار الاضياف واما اجتماعهم بالراهبات فمحظور فاذا  
 رأتك الراهبات مع هند ومن لا يعرفهن علاقتكما ساء والظن فهل تنصل فتبزل في دار  
 الاضياف ريثما يأتي الغد

قال افعل ما تأمرين وودع هذا ورل يصحب الخادم الى دار الاضياف  
 فمرّاً بربط الخيول فرأى امراساً شاهد يثبها فرساً يشبه فرس سلمان فاستبشر واسرع  
 الى الدار فلقبه سلمان فهم احدها بالآخر وهما يتسلمان فاستشرا معاً فقال سلمان هل  
 ظفري سيدي يهتد

قال نعم ولكنها راهبة في هذا الدير

قال وهل نذرت العنة فضحك حاد وقال لا وانت هل ظفرت بالامر عبد الله

قال ظفرت به وبجيلة وامرأته

قال ابن م



قال سيطلون اليها الليلة او غدا وسيأتون متكرين لانهم كانوا غنبيين عد سدي الامير عدا الله ولولاه لكان حموك جنة في عالم الاموات ولكن الامير عدا الله حالما علم بالنقص عليه استرضى الذين امسكوه واطهر للناس انه قتل وخيأه في منزله بتلك المربعة ربما يتمكن من العثور على هده او الاحتجاج بك فلما وصلت اليهم وأنسأتم بخرك امدني لانشئك واساعدك في الحث عن هده ربنا يقدمون هم اليها فاشرح صدر حماد ايما استراج وحمد الله على انقضاء الازمة التي في احس ولم يملك صبرا عن تشوير هده مفاء والدها حيا

وم بالرجوع الى الدبر رأى هدا واقفة في الشرفة تطل على دار الضيافة لانها لم بعد يرتاج بالها على حماد الا اذا كان امامها فلما رأته عاتدا وعليه امارات الدهشة اوامأت اليه فظفر اليها وصحك فصحك في وقد انرق وجهها وسبت كل متاعها وقالت ما وراءك

قال هسا ان والدك والدتك قادمان اليها غدا

فارت اسرتها واسرعت لاقائه عند الباب ولم تعد تعبا تقوانين الدبر فلما اثبتت مدت يدها اليه وصاحته وضعت كل منها على يد الآخر صفطة ما ادراك ما وراءها ولا نسل عن حديث القلوب وجواذب العيون

فالت هده هل انت متحقق قدوم والدك

قال هدا سلمان قد جاء بالخبر اليقين ولكمهم قادمون ومعهم الامير عدا الله متكرين فاحذري ان يلحق احد ما نحن فيه لئلا تقع في شر اعمالنا فتكون الليلة النائية شرا من الاولى

فالت وسأخبرك خبرا جديدا حدث ساعة خروجك من غرفة الرئيسة قال وما ذلك

فالت ان خادمتنا الامية التي كانت تسعى في احتجاجها ولولاها لا ادري ما تم لنا قد وصلت الدبر الآن بعد ان قضت اباما بالحب والفتنة ولم تكن عالمة بوجودي هنا ولكنها جاءت تنسم الاخبار من الراهبات فلقيني وسررت بها لانها ذات فضل علينا قال لند اذكرتي بفضل سلمان الشهم الغيور فلا ادري بماذا اكافئه على مروءته وحسن صنيعه ثم قال فاذهي الآن الى الرئيسة ودعها على ان تفارقها غدا بعد

وصول والديك والامير عبدالله واحذري ان تسي اسم احد منهم  
قالت لا تخف من ذلك

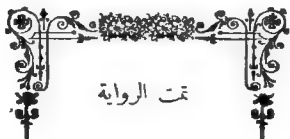
وتحولت وتحول هو الى دار الصيوف ومكث هاك الى صباح اليوم التالي

## الفصل السابع بعد المئة

﴿ قرآن سعيد ﴾

فاستحسن حماد الخروج للملافة القادمين في الطريق صرح وسلمان معه على  
الخيول وهند لا تعلم وقطعا يسافة حتى وصلا عين ماء لا يد للقدام من المدائن الى  
الحيرة من الوقوف عندها فترجلا وجلسا ولم تنص رة حتى رأيا هدا وخادمتها  
قادمتين مسرعين على الاقدام وهند بنوبها الاسود الجديد فيهما وصاح حماد ما الذي  
اتي بك يا هند . قالت سامحك الله الم اقل لك اني لم اعد استطيع العاد عنك لحظة  
مخافة ان نعود الى ما كنا عليه من الفراق . فشكرها وجلسوا ولم يكذب يستب بهم  
الحلوس حتى رأوا الفار يتصاعد من جهة الرات فتقدم سلمان لتفتي القادمين فعاد  
ضاحكا مبشرا فنهضوا جميعا ونهبا ولا استقبال القادمين ولكن سلمان عاد فاخير  
الركب ان حمادا وهذا ينتظر انكم هنا فقبل وصولهم الى العين ترجلوا جميعا ومجلة  
مسرعاً الى حماد فضمه الى صدره وجعل يقله والدموع تساقطه من عينيهِ واسرعت  
سعدى الى هند وجعلت تقبلها وتبكي ثم تادل جبلة وسعدى فقبلت سعدى حمادا  
وجبلة هدا واما عبدالله فقل واقفا يتأمل في ذلك المنظر المؤثر فلما انتهت سعدى  
من تقبل حماد تقدم اليه وصمته الى صدره وجعل يقله ويبكي بكاء مراً ولم يستطع  
احد ابعاده عنه حتى خافوا عليها وهم لا يعلمون سبب ذلك وبعد رة انفصل عنه  
وقد تباينت عيانه وقال لا نلوموني على ما رايت من شدة تعالي بحماد وان ما ترونه من  
دموعي انما هو دموع الفرح فان حمادا ملكي ولدي وصديقي وفجري وسندي وما  
زادني تعلقاً انه قد اتمم لوالك وشهد سقوط دولة العرس ومحا العار عن لحم ورفع ثقلاً  
عن عاتقي حملته منذ ينف وعشرين سنة ثم تقدم عبدالله الى هند فقبلها والجميع يكون  
بكا الفرح وسلمان ينظر اليهم وقلبه يكاد يطير فرحاً فلما سكث الجميع وهذا روعهم

وقف سلمان وقال اسمعون لي بكلمة أقولها بين ملكين وملاكين . لقد شاركتكم في  
 مرحكم بهذا الاجتماع السعيد فشاركوني فرحي بمقتل ثعلبة الخائن الذي كان سبب كل  
 هذه الانعاب . ثم نهض حلة والدموع لا تزال في عيونه وقال اما انا فلا اقدر اصف  
 نخلي من ولدي حماد لما سبته له من الشقاء وما بذله هو ورفيقه او قل والد الامير  
 عبد الله من الجهد في اقاذنا من الموت فضر سلمان الى جيله وقال الا تزال سدي  
 هـد تنزع على سدي حماد ومن يا ترى افضل لديك حماد ام ثعلبة . فضحكوا جميعاً  
 ثم نهض عبد الله وقال اعلوا ايها السادة انا في خطر عظيم الآن ولم يعد يحل  
 لنا المقام في هذه البلاد لا اعداء العرب بالطبع واعداً المسلمين بالعمل لما ارتكبنه  
 من مخالفة اوامر اميرهم فلا شك انهم سيخونوننا وبذلون كل سعي في التنبض علينا  
 فقال سلمان لقد نضفت بالصواب واريد على ذلك ان لا يرح الحيرة قبل ان  
 نعقد للعروسين ثم يذهب حيثما نشاءون ولوزعل حماد وهـد . . . فضحك الجميع  
 فقال حلة ذلك هو الرأي الصواب واذا استحسنتم فلتكن وجهتنا القسطنطينية  
 دار الامبراطور هرقل نضي قية العمر هـاك اذ لم يبق لنا مقام في الشام ولا العراق  
 قالوا حساً ونهضوا الى كيسة قرب الدبر عقدوا للعروسين بالاخصصار  
 ولا يحتاج القاري الى تقدير قيمة تلك الساعة السعيدة فانها من ساعات العمر  
 وبعد الاكليل ركب الجميع وساروا متكرين نحو القسطنطينية فوصلوها بعد بضعة عشر  
 يوماً واقاموا فيها حتى قضى الله بما شاء .



تمت الرواية



# إيماننا بالمصرية

❖ رواية تاريخية غرامية • الطبعة الثانية ❖

« تأليف جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب »

تشتمل على أهم حوادث التاريخ الإسلامي وأكثرها تعلقا بالقطر المصري أعني ظهور الإسلام وفتحاته وخصوصاً فتح مصر وبيان حقيقة أسباب ذلك الفتح وما كان من حال القبط مع الروم وشرح أحوالهم وعوائدهم وأخلاقهم وملابسهم منذ ثلاثة عشر قرناً أو هي عبارة عن تاريخ فتح مصر في صدر الإسلام مع تمثيل حركات الجند وملابسهم وملبوسات

القواد في خيامهم وقصورهم وماجال في خواطرهم مكتوباً على اسلوب حكاية  
 يقرأها المطالع ولا يمل بل يزداد اشتياقاً لمطالعتها وهو يحب ان يقرأ قصة  
 فكاهية فلا يأتي على آخرها الا وقد فهم تاريخ الفتح وحوادثه كأنه شهده  
 بنفسه ومن ابطالها عمر بن العاص والمقوقس حاكم مصر والاعبرج قائد جند  
 الروم فيها وغيرهم وفي هذه الطبعة فضلاً عما في الطبعة الماضية فتح  
 الاسكندرية وخروج الروم من القطر المصري مدحورين ثمنها ١٠ غروش  
 مصرية واجرة البريد غرشان ولا بأس من ارسال القيمة طابع بوسطة



## اسْتَبْرَاحُ الْمَمَالِكِ

✽ رواية ادبية تاريخية - الطبعة الثانية ✽

( تأليف جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب )

تتضمن هذه الرواية حوادث آخر القرن الماضي وقد مثلت فيها  
 احوال الامراء الممالك ومعاملتهم للرعية وعلاقتهم بالدولة العلية وداخل  
 الروسية ومن ابطالها نالي بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب والشيخ ظاهر  
 العمر وغيرهم - ثمنها ٨ غروش مصرية واجرة البوسطة غرش ونصف













